# الخمر

# في الحياة الجاهليّة وفي الشعر الجاهلي



رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

اعداد
بادية حسين حيدر

اشراف
الاستاذ الدكتور احسان عباس

حزيران ١٩٨٦

# WINE IN THE PRE-ISLAMIC ARAB SOCIETY AND LITERATURE

By

BADIA SULAYMAN-HAYDAR

A Thesis
Submitted to the
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

In partial fulfillment of the
requirements for the degree of

Master of Arts

June 1986

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Title:

# Wine in the Pre-Islamic Arab Society and Literature

# الخمرة في الحياة الجاهلية وفي الشعر الجاهلـــي

By

Miss Badia Sulayman-Haydar

(Name of student)

Approved:

Prof. Ihsan Abbas — Advisor

Prof. Muhammad Najm — Member of Committee

Prof. Nadeem Naimy — Member of Committee

Member of Committee

Member of Committee

Date of Thesis Presentation: June, 1986

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Release Form

I, Miss Badia Sulayman-Haydar

___✓___ authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals upon request.

________ do not authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals upon request.

Signature: [signature]

Date: 9/7/1986

## تقديم

تتناول هذه الدراسة الخمر في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والأدبية في الجاهلية . فقد شكّلت الخمر إحدى اللذات الأساسية بين العرب ، فشاعت وانتشرت بينهم ، وتغلغلت في كثير من مرافق حياتهم . وكانت في أحيان كثيرة دافعاً هاماً لممارسة فضيلتيْ الجود والشجاعة ، وهما من صلب المفهوم الأخلاقي القبلي . ولعلّ هذا من الأسباب التي جعلتها مقبولة بين العرب ، وهو بالتالي يفسر انتشارها بينهم الى حدّ بعيد .

والمقصود بالخمر هنا خمر الأعناب وكافة الأشربة المسكرة . فالعرب لم يطلقوا اسم الخمر إلاّ على تلك المصنوعة من الأعناب ، ولكنهم عرفوا أصنافاً مختلفة من الأشربة المسكرة المصنوعة من التمر والقمح والذرة والشعير والعسل وغيرها . وقد جاء في كتب الحديث أنه لما أنزل تحريم الخمر عمد الناس الى الجرار والمهاريس فكسروها ، فجرت الخمر في سكك المدينة . وفي هذا إشارة الى صناعة العرب للخمر وللاشربة المسكرة واستعمالهم لمختلف أوانى الانتباذ لذلك ، وفيه إشارة كذلك إلى وفرة هذه الأشربة بينهم .

وقد كانت صناعة الخمر وسائر الأشربة ممكنة بفضل زراعة العرب للمواد التي صنعوا منها أشربتهم . أما خمر العسل فقد يسّرتها أمكنة في الجزيرة اشتهرت بوفرة العسل و تميّز أهلها في عملية اشتياره . ومن ناحية أخرى شكّلت الخمرة إحدى أهم السلع المستوردة ضمن التجارة البرية لقوافل قريش ، واحتلت مكانة هامة في تجارة العرب الذين أولعوا بالخمر المستوردة .

وفي الفصل الأول من هذه الدراسة بحث لدور الخمر في حياة العرب الاقتصادية أي في الزراعة والصناعة والتجارة .

ويتناول الفصل الثاني الخمر ودورها في حياة العرب الاجتماعية والدينية وأثرها في اقتران فكرة الهروب من الموت بمعاقرة اللذات عندهم . ولهذه الفكرة دورها في انتشار الخمر بينهم ، وفي تفضيلهم لها على سائر لذات الجاهلية .

أما الفصل الثالث فيبحث في الصور الخمرية في الشعر الجاهلي ، ونصيبها في رفد نسيج هذا الشعر وتلوينه ، وفي قابلية هذه الصور لخدمة غالب أغـراض الشعر الجاهلي ، وفي أثر الصور الخمرية في بنية القصيدة الجاهلية وتطويرها . ثم تجيء خاتمة بأهمّ الاستنتاجات التي توصّل اليها البحث لتنظيم الفكـرة الأساسية وتخليصها من شتات التفصيلات الكثيرة المتشعبة .

وفي نهاية الرسالة ملحق باسماء الخمر حسب صفاتها ومصادرها . وقد قسّمت هذا الملحق أقساماً حسب صفات الخمر : كاللون والطعم والتعتيق وغيرها ، ثـم أدرجتُ أسماء الخمر حسب الترتيب الهجائي ضمن القسم المناسب تسهيلاً للطلب ، واختصـاراً للوقت . وقد اعتمدت في تنظيم هذا الملحق على مصادر الحياة الجاهلية المختلفة ، الاّ أنّ الاعتماد الغالب كان على المادة الشعرية .

وإنّي لأرجو أن تُوفّق هذه الدراسة في إيضاح هذا الجانب من جوانب الحياة العربية في الجاهلية ، وأن تُسهم في إبراز الملامح الحضارية للعرب في تاريـخ جاهليتهم ، والله الموفّـق .

# الفصل الأوّل

## الخمر في الحياة الاقتصادية

١ - الزراعـــــة :

زراعة الأعناب والنخيل والحبوب ( التي تصنع منها الخمر ) في الجزيـــرة العربية :

أ - في اليمــن :

تضمّ الجزيرة العربية مناطق عرفت منذ القدم بالخصوبة ، وبوفرة المياه ، وبمناخ ملائم للزراعة ، وتعدّ اليمن من أهم تلك المناطق حتى لقد سمّيـــت باليمن الخضراء " لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها " [١]. وفي هذه المناطـــق الخصبة قامت حياة زراعية منذ القدم ، احتلّت فيها زراعة الكروم والنخيـــل والحبوب مكانة تختلف في أ همّيتها بين منطقة وأخرى .

وتتكوّن اليمن من قسمين بارزين متفاوتين في المساحة : الأوّل هـــو ما يسمّـى بتهامة اليمن : وهو سهول ساحلية منخفضة يتراوح عرضها ما بيـــن خمسة وعشرين ميلاً ، وخمسة وأربعين ميلاً ، وتمتدّ على طول الساحل [٢]. والثاني يتكوّن من جبال تتّصل بتهامة اليمن ، وتمتدّ لتشكّل غالبية مساحة البـــلاد ويقطعها عدد كبير من الأودية العميقة .

وقد تميّزت أرض اليمن بالخصوبة ، ويذكر استرابون أنّ جنوب اليمـــن

---

(١) - الهمداني : صفة جزيرة العرب ( تحقيق محمد علي الأكوع ، ط. بيـــروت: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ) : ٩٠ .

(٢) Encyclopedia of Islam, (EI), 'Al Yaman', (1st ed. Leiden, 1913) vol. IV, p. 1156.

الأقصى يُزرع مرّتين في السنة [1] ، ولعلّ الواسعي يشير إلى ظاهرة قديمة إذ يقول إنّ " وديان تِهامة وعُسير تُزرع في السنة ثلاث مرّات "[2]. أما السفوح الشرقية للتّلال الداخلية فكانت تُزرع باستمرار لوجود مياه وينابيع دائمة ، وعلى أطراف هذه التلال بالقرب من حافة الوديان تقع واحات النّخيل وأبرزها الجوف ومأرب [3].

وأما المناطق الجبلية فقد أدرك أهل اليمن القدماء صعوبة استغلالها في الزراعة بسبب شدّة الانحدار ، وصعوبة ريّها بشكل دوري ، ولذلك أقاموا المدرّجات الزراعية في الجبال من جهة ، والسدود والخزانات لتجميع مياه الأمطار ، وحبس مياه الأنهار من جهة أخرى . وتلك المدرّجات ليست سوى مصطبات زراعية أقاموها في الجبال حتى قممها العالية ، ودعموا جوانبها بجدران من حجارة منعاً لانهيار تربتها . وقد تراوح طول الجدران بين ثمانية أقدام ، وخمسة عشر قدماً في القمم [4]. وأُطلقوا على تلك المدرّجات اسم " جروب " في المُسند [5]. كما أنّهم " لم يتركوا وادياً يمكن استثمار جانبيه بالريّ إلّا حجزوا مياهه التي تكثر في مواسم الأمطار ، وتنعدم في غيرها . وهكذا تكاثرت السدود كبيرها وصغيرها حتى تجاوزت المئات "[6] ، " وذكر الهمداني

---

(١) - Strabo, Geography (Harvard and Cvillian Henemann Ltd., London, 1954) 16.4. 1-2, p. 309.

(٢) - الواسعي : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن (المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٦هـ) : ٢٨٩ .

(٣) - EI : Al Yaman, vol.IV, p. 1156.

(٤) - Semple, E.C, Influences of Geographic Environment, (London, 1947).567.

(٥) - جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ( المجمع العلمي العراقي ، ١٣٤٥ هـ - ١٩٥٩م) : ٨ : ٢١٥ .

(٦) - عدنان ترسيسي : اليمن وحضارة العرب ( ط . بيروت ) : ٦٠ .

في " يُحْصَب العلو " وهي إحدى مخاليف اليمن ثمانين سداً " [١]، ومن المعروف أنّ أحد هذه السدود وأشهرها على الاطلاق سد مأرب الذي كان يشكّل العمود الفقري لعملية الريّ في اليمن قديماً .

وقد رافق بناء السدود بناء الخزانات المائية التي عرفت بـ" الكرف " ( جمع كريف وهو خزان ماء ) ، وكذلك حفر الأقنية المائية ومدّها في الأراضي الزراعية [٢]. وكانوا يحبسون المياه في هذه السدود ، فاذا شاؤوا الري فتحوا الصمامات التي تدفع بمياه السدّ الى الاقنية [٣].

وبهذه الأساليب تمكّن اليمنيون القدماء من استغلال كل بقعة من أرضهم في الزراعة مما أدّى إلى وجود نظام مطرّد للزراعة الكثيفة عندهم [٤] . وقد ساعد المناخ في اليمن على تنوّع المنتوجات الزراعية تنوّعاً واسعاً ، فالمناخ " يختلف باختلاف المناطق الطبيعية الرئيسية ، ويتحوّل ويتبدّل على مسافات قصيرة ، وينتقل من المناخ الاستوائي الى معتدل ومعتدل بارد "[٥]، وخصوصاً في رؤوس الجبال حيث تنمو أنواع من الأعناب يتطلّب نموّها مناخاً بارداً [٦].

---

(١) – عدنان ترسيسي : اليمن وحضارة العرب ( ط. بيروت) : ٦٠ .
(٢) – المرجع السابق : ٦٠ .
(٣) – استعيرت هذه الصورة للريّ في الشعر ، فقال عمرو بن معديكرب يصف جحافل الخيل :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الخَيْلَ زُوراً كَأَنَّهَا     جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ فَاسْبَطَرَّتِ

ديوان عمرو بن معديكرب(صنعة هاشم الطعّان، وزارة الثقافة والاعلام، مديرية الثقافة العامة، بغداد ) : ٤٣ .
(٤) – EI : Al Yaman, vol. IV, p. 1156.
(٥) – اليمن وحضارة العرب : ١٣٩ .
(٦) – تاريخ العرب قبل الاسلام : ٨ : ٢١٥ .

وقد وصف الأعشى برودة المناخ في بعض جبال اليمن بقوله (١):

بِبَعدانَ أوْ رَيْمَانَ أوْ رَأسِ سَلْيَةِ ... شِفَاءٌ لِمن يَشكو السَمائِمَ بَارِدُ
وَبِالقَصْرِ مِنْ أرْيَابَ لَوْ بِتَّ لَيْلَةً ... لَجَاءَكَ مَثْلُوجٌ من المَاءِ جَامِدُ

وأدى تنوّع المناخ في مسافات قصيرة الى تنوّع المزروعات واختلاطهــا في الأرض الواحدة . وكانت الأعناب بأنواعها في طليعة هذه المزروعات . ولعلّ خير مثال لذلك هو جبل هِنُوم في اليمن . ففي وصف الهمداني له دلالة علــى ارتفاعه ووعورته واحتوائه على أصناف عديدة من المزروعات المختلطة ومــن ضمنها الأعناب ، وقد قارنه بجبل آخر هو تُخْلَى : " وهو قبالة تخلى من شماليه وعلى وصفه من جبال السراة ، وهو أحصن وأتلع وأوسع ، وتعدته على بلد غيــر ذي أودية ، فهو يكون أكثر دهره صاحياً الا في أيام الأمطار ، ولذلك خالــف جبل تُخْلَى لما في رأسه من العنب والخوخ والتين وغير ذلك "(٢).

ولم يقتصر هذا التنوّع في المزروعات على الجبال وحدها ، فقد تميزّت به الأودية وأهمّها واديا ضهر والجَنّات . وفي طليعة مزروعاتهما كانــت الأعناب والحبوب تحتلّ مكانة هامة : " فوادي الجنّات يشابه في الصفة وادي ضهر ، وهو كثير الغيول والمآجل والمسايل ، فيه الأعناب والورس مختلطة فــي أعاليه مع جميع الفاكهة وأسفله جامع للموزوقصب السكّر والأترج والخيار والذرة والقثاء والكزبرة وغير ذلك "(٣) . أما وادي ضهر فيمتاز عن وادي الجنّــات

---

(١) - الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس الأعشى ، والأعشَيْن الآخرين تحقيق جاير ، بيانة : ١٩٢٧م) : ٢٣٩ ، والبيان في صفة جزيرة العرب : ١٩٨ .
(٢) - صفة جزيرة العرب : ٣١١ .
(٣) - المصدر السابق : ١٤٣ .

بالتركيز على زراعة الأعناب وتنوّعها ، فقد وصفه الهمداني - إذ شاهده عياناً - "فذكر فيه نهراً عظيماً يسقي جانبي الوادي وعليهما من الأعناب نحو عشرين نوعاً "(١).

إنّ هذا الوصف السابق للجبال والأودية والسهول في اليمن ، وكيفية زراعتها ، وتنوّع ثمارها يعطينا صورة عامة من مكانة الأعناب والحبوب والنخيل بين ضروب المزروعات هنالك بحيث أصبحت اليمن بقممها وتهائمها أراضيَ خضراء ، حتى أطلق القرآن الكريم عليها اسم " الجنة " :

﴿ لقد كان لِسَبإٍ في مَسْكِنِهِمْ آيةٌ جَنَّتان عن يمينٍ وشِمالٍ كُلُوا من رزقِ رَبِّكُمْ واشكروا له بَلْدَةٌ طيِّبَةٌ وربٌّ غفور ﴾ (٢).

وقد أشار بعض اللغويين الى أنه " لا تكون جنة في كلام العرب الا وفيها أعناب فاذا كانت أشجاراً لا نخل فيها ولا أعناب فهي الحدائق ، وسائر النبات الرياض "(٣) .

وتثبت النقوش العربية الجنوبية ، وأخبار الجغرافيين القدماء أنّ الكروم والنخيل قد زرعت في اليمن منذ عصور قديمة ، وأن الكروم بشكل خاص كثيرة الذكر في هذه النقوش (٤). ويشير الدكتور جواد علي الى قدم عهد زراعة الأعناب بأنواعها المختلفة في اليمن بدليل ذكرها في النقوش القديمة فيقول :

---

(١) - جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ( بتعليق حسين مؤنس ، دار الهلال ، القاهرة ) : ١٦٠ .
(٢) - سبأ : ١٤ .
(٣) - ابن سيده : المخصص ( ط. بولاق ، ١٣١٦هـ) : ١١ : ١١٦ .
(٤) - EI, Al Yaman, Vol. IV, p. 1156.

" كان أهل اليمن كما يظهر من نصوص المسند يكثرون من زراعة الأعناب ويربحــون من زراعتها كثيراً بدليل ورود كثير من النصوص الزراعية وفيها أن أصحابهــا قد غرسوا أعناباً في المناطق الفلانية والفلانية أو ورثوا المزرعة الفلانيــة وفيها أعناب كثيرة . وبدليل حفر صور أغصان العنب وعناقيد العنب في الأشجار، وإبرازها على الألواح المصنوعة من الجبس أو حفرها على الأخشاب للزينة والزخرفة وتفننهم في ذلك . وما كانوا يفعلون ذلك لو لم يكن للأعناب وجود في اليمن ، ولو لم تكن منتشرة كثيراً في تلك البلاد "(١) . وقد أطلق أهل اليمن كلمــة " أعنب "(٢) في المسند على الأراضي المزروعة أعناباً ، وكلمة " أنخــل " (٣) على أراضي النخيل مما يدلّ على وجودها مفردة رغم اختلاط المزروعات .

ويذكر قدماء الجغرافيين أشهر الأمكنة التي امتازت بأعنابها في اليمــن وهي ( سُرُوم راح ) ، وخَيْوان ، وأُشافِت ، ووادي ضَهْر (٤) .

---

(١) – تاريخ العرب قبل الاسلام : ٨ : ٢٦٣ . وقد كانت الأعناب من أهم المزروعات التي كان سد مأرب يرويها . قال الأعشى واصفاً ذلك :

فَفي ذاكَ لِلْمُؤْتَسي اسْــوَةٌ ... وَمَأْرِبُ قَفّى عَلَيْها العَــرِمْ
رُخامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حِمْيَــرٌ ... اذا جاءَهُ ماؤُهُمْ لَمْ يَــرِمْ
فَأَرْوى الــزُّرُوعَ وَأَعْنابَهـا ... عَلى سَعَةٍ ماؤُهُمْ اذ قُسِــمْ

– الصبح المنير : ٣٤ .

(٢) – تاريخ العرب قبل الاسلام : ٨ : ٢١٨ .

(٣) – المرجع السابق : ٨ : ٢١٩ .

(٤) – (EI) Al YAMANA , Vol.IV , P. 1156 .

ويذكر صاحب المقال في مقدمة المناطق التي اشتهرت بالعنب في اليمــن : " Sarum Rāh " ، ولكني لم أعثر على هذا الاسم عند الهمداني في صفـــة جزيرة العرب ، وانما ذكر سُرُوم الشَّرْج: " سروم هذه هي سروم الشَّرْج مـــن بني جماعة من خَوْلان " – صفة : ٣٦٩ . و "وادي سُروم وادٍ ذو زرع وكُـــرُم وعضاه من عضاه الشمار " – صفة : ٣٧٣ .

وسُرُوم السَّرْح وادٍ من خَوْلان اشتهر بآباره وكرومه منذ القدم، واستمـــرت زراعة الأعناب فيه الى العصور الاسلامية ، وطغت الكروم فيه على غيرها مـــــن المزروعات :

" فَعَلَى مَأْرِبَ فَنَجْرَانَ فَالْجَوْ ... فِ فَصَنْعَاءَ صَبَّةٌ عَـــزلاءُ
فَقُرَى الحنو فَالْمُنَافِحِ مِنْهَا ... فَسُرُومِ الكُرُومِ فَالطرفــــاءِ "(١)

وامتازت خَيْوان بالخصوبة في التربة ، وبزراعة الأعناب ، و " أرض خيوان ابن مالك وهو من غرر بلد همدان وأكرمه تربة وأطيبه ثمراً " (٢).

وأُشَافِتْ من قرى هَمْدان الواقعة شمال صنعاء، كانت دار الكُباريين مـــن السَّبيع ، وكانت تُسمّى في الجاهلية دُرْنَى ، وقد اشتهرت بكرومها وكان الأعشى كثيراً ما يتخرّف فيها :(٣)

فَقُلْتُ لِلشَّرْبِ في دُرْنَى وَقَدْ ثَمِلُوا ... شِيمُوا وَكَيْفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمِلُ(٤)

وفي اليمن مناطق أخرى زُرعت بالأعناب ، واشتهرت بها ، وإن لم تكـــن

---

(١) ـ البيتان للحزازة العامري ، شاعر من نجد يصف المنازل ويدعو لها بالخير والمطر : صفة جزيرة العرب : ٢٣٣ .
(٢) ـ صفة جزيرة العرب : ١١٥ .
(٣) ـ صفة جزيرة العرب : ١١٤ ، والبكري : معجم ما استعجم ( تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٦هـ) : ١ : ١٠٥ ، وياقوت : معجم البلدان ( دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) : ١: ٨٩ . وفي معجم البلدان : ٢ : ٤٥٢ أن " دُرْنا من نواحي اليمامة، نُخيـــلات لبني قيس بن ثعلبة بها قبر الأعشى وذكر الهمداني أنّ أُشَافِتْ التي باليمن كان يقال لها في الجاهلية دُرْنا " .
(٤) ـ صفة جزيرة العرب : ١١٥ ، والبيت في الصبح المنير : ٤٤.

لأعنابها شهرة أثافت ووادي ضَهْر وخَيْوان وسُروم السَّرْح التي ذكرها الجغرافيون القدماء لشهرتها . ومن تلك المناطق جُرَش [١] ، والأودية الواقعة في الطريق منها الى مخلاف صُعْدة أهمها تَنْدُحة ، وكان فيها أعناب وآبار ساكنة [٢] ، وصُعْدة مخلاف " فيه أودية فيها زروع وأعناب وأهمها عِلاف خير أودية خَوْلان وأكرمها كرماً وأكثرها خيراً وزرعاً وأعناباً وماشية " [٣] ، ومخلاف ذِمَار و " فيه زروع وآبار قريبة ينال ماؤها باليد وهو مخلاف نفيس كثير الخير عتيق الخيل كثير الأعناب " [٤] ، ووادي نُعْمان في سَرْو مَذْحِج ، وهو وادٍ كثير الأبصال والأعناب [٥] ، وهَمْدان شمال صنعاء منها أثافِث ، و" فيه أودية عظام فيها الزروع والعنوب " [٦] منها يُنَاعَة ، وهو وادٍ ذو أعناب [٧] .

ومن الأمكنة التي اشتهرت كذلك بالأعناب : مَلَّح ، " واليها ينسب العنب الأبيض الملاحي المشهور " [٨] ، وجبل المَرَاشي في الوادي الثالث من جوف اليمن ، و هو " جبل خصيب فيه فاكهة العنب الذي يؤتي أكله مرتين في السنة " [٩] ، ورِمْع ، وهي مما وقع باليمن من جبل السراة [١٠] ، وهو " من المخاليف التي

---

(١) – صفة جزيرة العرب : ٢٣٠ .
(٢) – المصدر السابق : ٢٣٠ .
(٣) – المصدر السابق : ٢٢٤ .
(٤) – المصدر السابق : ٢٠٦ .
(٥) – المصدر السابق : ١٨٨ .
(٦) – المصدر السابق : ٢١٧ .
(٧) – المصدر السابق : ١٥٨ .
(٨) – المصدر السابق : ١٨١ ، وهي حاشية المحقق الاستاذ الاكوع .
(٩) – المصدر السابق : ١٦٠ ، حاشية المحقق .
(١٠)– المصدر السابق : ١٢٢ .

تعظم أعنابها حتى لا يحمل الرجل الجلد أكثر من عنقود "(١) ، ومنطقة صنعاء التي ذكرها الهمداني وعدد فيها ما يقرب عشرين نوعاً من الأعناب .(٢)

وهناك مواضع اشتهرت بالأعناب ولم تذكر شهرتها فيها صراحة في المصادر ، وأعني بها تلك المواضع التي نوّه الهمداني بشهرتها بصناعة الخمر وهي مخلاف شَاث ، ووادي ضُهْر ، ومخلاف " شُخْتُيم "(٣).

يتضح من ذلك كلّه أنّ الأعناب كانت تزرع في معظم أرض اليمن ، في التهائم والجبال والأدوية ، وكانت زراعة الأعناب تشكّل قسطاً وافراً من النشاط الزراعي في اليمن القديم ولها أصولها ومبادؤها في الغرس والفلاحة والسري وخاصة التعريش ، وهو الأسلوب الأكثر نجاحاً للاهتمام بالكرمة ، وخاصة في الجبال وقممها ومدرّجاتها الزراعية :

"والعناية بالكرمة فائقة ، وهي على الغالب ممتدة على شرعة أي على أعمدة متّصلة بعضها بأسلاك تحمل العريشة ، وتتدلّى منها العناقيد بحيث يمكن للمزارع رعايتها بسهولة ومحاربة آفاتها وقطفها دون عناء ، ويظهر أن هذه الطريقة التقليدية القديمة في اليمن هي أحدث ما وصل اليه الفن الحديث بالعناية بالكرمة " (٤).

ومما يدلّ على وفرة الأعناب في اليمن قديماً أن أهلها كانوا بعد قطاف العنب يتاجرون بما يفيض عن حاجتهم ، وذلك بجعل العنب في حظائر خاصة

---

(١) - صفة جزيرة العرب : ١٢٢ ، وهي حاشية المحقق .
(٢) - المصدر السابق : ٣١٤ ، وتاريخ المستبصر : ٢ : ١٨٥ .
(٣) - انظر ما يلي في الفقرة الخاصة بصناعة الخمر .
(٤) - اليمن وحضارة العرب : ٣٥ .

تمهيداً لبيعه ، وقد اشتهرت أشافتُ بشكل خاص بأنها كانت تحتوي على ... للعنب مؤلف من حظائر معدة لحفظ الأعناب حتى يصار الى بيعها ، وكان يجعل على كل حظيرة عنب حام لها من السرقة (١) .

وكانوا يجعلون من الفائض زبيباً ، أو يعصرون الأعناب ويصنعون منها الخمر ، ويصنعون من الزبيب النبيذ . وكانوا يسمون الزبيب بال" فصيم" في اللهجة الحميرية ، والنبيذ بال "سقيم " (٢).

والأعناب أنواع عديدة في اليمن ، وهي ذات ألوان مختلفة ، وأشكال متباينة . وقد عدّ الهمداني في منطقة صنعاء عشرين نوعاً من العنب تقريباً (٣). ويطابق هذا العدد ما أورده الهمداني في وصفه لوادي ضَهْر وأنواع أعنابه . ومن هذه الانواع : المُلاحي والذَوالي والأشْهَب والدُّربج والنَواسي والريادي والأطراف والعُيون والقَوارير والجُرُشي والنشاني والتابكي والرازقي والفروع ، " وكان يؤتى الى صنعاء من خَيْوان بالرومي ومن الجوف بالوادي "(٤). وقال الواسعي (٥): " ومن الفواكه العنب بسائر أنواعه وهو أربعة وعشرون نوعاً ،

---

(١) ــ لقد وردت في كتاب منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء لكلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميري :(ص ٢٤) رواية تتعلق بحاتم الطائي مؤداها أنّ ضيوفاً نزلوا بحاتم فلم يجد لهم شيئاً ، فوهبهم نفسه ، ولا علم لهم أنه حاتم . فأخذوه فباعوه ، فظل يباع من بلد الى بلد حتى بلغ أشافت ، فاشتراه رجلمن بني كبار من التَبيع وجعله حامياً لحظيرة عنبه لكن حاتماً صاح بالناس يدعوهم لأكل العنب فلما علم الرجل بالأمر غضب . فقال حاتم :

" أتطمعُ منْها بِرُبّابها    وَحَاتِمُ طَيْءٍ على بابها"

لمعرفته همْدان ورفدته . وسار إلى بلاده ، ولم يمر بقبيلة إلا أكرمته ،

(٢) ــ تاريخ العرب قبل الاسلام: ٨ : ٢٦٢ .
(٣) ــ صفة جزيرة العرب : ٣١٤ .
(٤) ــ المصدر السابق : ٣١٤ .
(٥) ــ تاريخ اليمن : ٢٨٤ .

والمشهور بصنعاء وحولها (١٨) نوعاً البياض أنواع والأسود كذلك والأحمر، وألذ أنواعه في العنب الأبيض البياض وهو بلابزر ، أنواع الأبيض البياض ، القوارير الرازقي ، العرقي ، الجوفي ، القزاقز ، الأطراف ، بيض الحمام ، سيسبان ، أصابع زينب . ومنها الأسود : الحاتمي ، القهمي ، العيون ، الحسيني ، عذارى ذيبيني ، وهذا أحسن أنواع العنب الأسود لحلاوته وعدم وجود بزرة فيه ، وتجد حباته في العنقود مرصوصة . ( ومن الاحمر ) الزيتون وعاصمي . وهذا يسمّى في الشام حلواني ، وحلاوة الشامي دون حلاوة اليماني، وكل نوع من هذه الأعناب له حلاوة " . هذا ، ولا يبعد أن يصحّ وصف الواسعي ، وهو متأخر ، على الحقبة الجاهلية نظراً لثبوت زراعة العنب في اليمن القديم من جهة ، ولتعدّد أنواع الأعناب فيها من جهة اخرى .

وكان اليمنيون يتخذون الأسماء المختلفة لأنواع الأعناب اما من صفة فيها كاللون مثلاً : البياض ، أو الشكل : أصابع العذارى ، القوارير ، بيض الحمام ، أو نسبة الى أماكن زراعتها : كالجرشي والجوفي .

وفي العصور القديمة عرف السبأيون والحميريون نوعاً من العنب الأسود أطلقوا عليه كلمة " غربب " في لهجتهم ، ويظهر من نقش أبرهة حول إصلاح سد مأرب أن هذا النوع من العنب كان متداولاً بكثرة ، ومعوّلا عليه في إطعام العمال المشاركين في إصلاح السد ، وفي النبيذ الذي كان يصنع منه : " وبلغ ما صرفوه ، وأنفقوه على الأعمال من اليوم الذي بدأوا به لغزوهم وتقديس البيعة " الكنيسة " وبناء السدّ والجدار ( ٥٠٨٠٦ ) كيلة من الدقيق ،و٢٦٠٠٠ كيلة تمر .. ، و ٣٠٠٠ طبيخة من ذبيحة وبقر من الماشية الصغيرة .. ، و ٣٠٠ حمل بعير من شراب الغربب والزبيب ، و ١١٠٠٠ كيلة " الـ . حلب " من نبيذ التمر"(١).

---

(١) - كتابة أبرهة . ترجمة د. جواد علي . مجلة المجمع العلمي العراقي .المجلد الرابع .ج ١ ، ( ١٩٥٦م) ص : ٢١٨ .

أما النخيل فقد كان منتشراً في اليمن كما في باقي أنحاء الجزيرة . وقد تميّزت به مناطق بعينها كواحات النخيل في الجوف ومأرب [(١)] ، ونجران [(٢)] . وكانت منطقة رُحَابة بشكل خاص " ذات نخل عظيم "[(٣)] ، وصنعاء [(٤)] ، وزبيد وفيها تُثْليث التي كان للشاعر عمرو بن معديكرب فيها حصن ونخل [(٥)]، وكذلك منطقة عُسير [(٦)]. ويذكر استرابون أن معظم خمر أهل اليمن القدماء كانت تُصنع من التمر[(٧)] . ولعل ذلك يرجع الى كثرة النخيل والتمر في تلك المناطق .

أما الحبوب فقد انتشرت زراعتها في اليمن انتشاراً واسعاً، وتخصصت فيها مناطق وافرة المياه كثيرة الآبار . واشتهرت السهول الساحلية بالذرة [(٨)] ، كما عرفت حضرموت وهي في الجهة الشرقية من صنعاء بأنها كانت " بلاداً زراعية يزرع بها النخيل والحبوب "[(٩)]، وقد دخلت زراعة الحبوب في تلك الزراعة المختلطة التي تميزت بها الجبال ، والأودية والسهول ، كوادي الجنّات ، وجبل هِنوم الذي عدّه الهمداني من عجائب اليمن لزراعة الذرة في سفوحه ، والاعناب والفواكه وغيرها في قمته [(١٠)]. ولكن أشهر مناطق اليمن قاطبة

---

(١) – EI, AL YAMAN, vol. IV, p. 1156.

(٢) – الواسعي : ٢٨٥ .

(٣) – صفحة جزيرة العرب : ٢٠٣ .

(٤) – المصدر السابق : ٣١٤ .

(٥) – المصدر السابق : ٢٢٨ .

(٦) – الواسعي : تاريخ اليمن : ٢٨٥ .

(٧) – Strabo: Geography, 16.4.25, p. 365.

(٨) – EI, AL YAMAN, Vol. IV, p. 1156.

(٩) – الواسعي : ٣٣٥.

(١٠) – صفة جزيرة العرب : ٣١١ .

بزراعة الحبوب " مخلاف ذي جره وخولان، وكان يسمى خزانة اليمن ، وذَمار ورُعَيْن والسَّحُول مصر اليمن : لأنّ الذرة والبـّر والشعير تبقى في هذه المواضع المدة الكثيرة " (١) . وقد رأى الهمداني في أحد جبالها وهو مسوّر برّاً (٢) " أتى عليه ثلاثون سنة ولم يتغيّر ، وأُما الذرة فانها لا تكون الاّ في بلد حار ولا تختزن في البيوت لحال ما يسرع اليها من الفساد ، ولكن يحفر لها في الارض وتدفن في مدافن يسع المدفن منها خمسة آلاف قفيز الى ما هو أقل ، ويُسد عليها حتى ربما نبت على السداد الشجر العريّ وتقيم العمر ولا تنفخش ولكن تتغير رائحتها وطعمها فاذا كشف منها المدفن ترك أياماً حتى يبرد ويسكن بخاره ولو دخله داخل لتلف بحرارته " (٣).

وتدلنا هذه المدافن العظيمة التي صنعها أهل اليمن لاختزان الحبوب على كثرة انتاج الحبوب ، فكانت الحبوب من السلع التي تصدّر من اليمن الى بلاد الجزيرة الأُخرى . وهذه المدافن استنبطها أهل اليمن قديماً لحفظ الحبوب ، وكانوا يطلقون عليها لفظة " مدفنن " في لغة المسند (٤) .

ب – في سائر مناطق الجزيرة العربية :

هذا شأن اليمن ، أما باقي أقسام الجزيرة فقد تميّزت بالطابع الصحراوي في الغالب الأعمّ مع احتوائها على عدد غير قليل من الواحات والمناطق الزراعية التي تميّزت بالنخيل بشكل خاص ، وبزراعة الحبوب كالقمح والذرة والشعير .

---

(١) – صفة جزيرة العرب : ٢١٤ .
(٢) – " الحنطة وتسمى البُر ، وتسمى في غير اليمن القمح " – تاريخ اليمن: ٢٨٣ .
(٣) – صفة جزيرة العرب : ٢١٤ .
(٤) – جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام : ٨ : ٢٦١ .

وكان النخيل ينمو في أنحاء الجزيرة بيسر لكونه يصبر على العطش،أما الأعناب فقد كانت لها أمكنة قليلة محدّدة أهمها الطائف . وباستثناء الطائف التي اشتهرت منذ القدم بكرومها وزبيبها لا يمكن القول إنّ هناك مناطق تخصّصت بزراعة الأعناب في الجزيرة ، وانما زرعت الأعناب في أمكنة مختلفة من الجزيرة ضمن المزروعات الأخرى من نخيل وحبوب ، ولم تكن لها المكانة الأولى في الزراعة .

وقد كانت أودية الهضبة النجدية التي ترتفع الى خمسة آلاف قدم موطناً لزراعة الحبوب والنخيل ، وذلك لأنّ مياه الأمطار تتجمّع فيها (١). وامتاز شمال الحجاز بخصوبة كبيرة كان سببها الآبار العديدة الموجودة في وادي القرى وفدك وخيبر وتيما ،وتبوك وغيرها . وفي هذه المنطقة ، أقام اليهود مع القبائل العربية التي سكنت يثرب وشمال الحجاز مستوطنات زراعية (٢). وكذلك امتازت جبال السراة الحجازية ، وتحديداً جنوب مكة حيث سكنت قبيلة هُذَيْل ، بخصوبة نسبية سمحت بالزراعة ، وكان من أهمّ مناطق الجزيرة خصوبة اليمامة ، وبعض قرى السِيف بسبب وجود المياه والآبار والأفلاج .

وفي هذه المناطق زرعت الكرمة الى جانب غيرها من المزروعات ، وإن لم تنتشر بكثرة كما في اليمن، لانها تحتاج الى ظروف طبيعية خاصة كالمناخ المعتدل والخصوبة الى جانب توفّر المياه . ومما لا شك فيه أنّ أهل الحجاز عرفوا غرسة الكرمة بدليل وجود ذكرها في القرآن الكريم : فقد جاء في سورة النحل :

---

(١) - Semple: Influences of Geographic Environment, p.501.

(٢) - اسرائيل ولفنسون :تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية والاسلام ( ط . مطر : ١٣٤٥هـ - ١٩٢٧ م ) : ١٧ .

﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النخيلِ والأعنابِ تَتَّخِذُون منه سَكَرًا ورزقًا حسنًا إنَّ في ذلك لآيةً لقومٍ يَعْقِلُون ﴾ (١).

وفي الشعر الجاهلي ما يدل على أن الكرمة كانت من الأشجار التي اتّصل وجودها بحياة عرب الشمال ، فقد " شبهوا الشعور بغرابيب الكرم ، وهي سود العناقيد واحدها غربيب "(٢)، وورد ذلك كثيرًا في أشعارهم ، قال معن بن أوس (٣) :

وَوَحْفٍ يُثَنَّى فِي العِقَاصِ كَأَنَّــهُ ... عَلَيْهَا إذَا دُنَّتْ غَدَائِرُهَا كَرْمُ

وقال النابغة الذبياني (٤):

وَبِفَاحِمٍ رَجْلٍ أَثِيثٍ نَبْتُــهُ ... كَالْكَرْمِ مَالَ عَلَى الدِّعَامِ الْمُسْنَدِ

قال عبد المسيح بن عَسَلَة يصف جسد المرأة (٥):

جَسَدٌ بِهِ نَضْحُ الدِّمَــاءِ كَمَــا ... قَنَأَتْ أَنَامِلُ قَاطِفِ الْكَــرْمِ

---

(١) – سورة النحل : ٦٧ .
(٢) – الدينوري : كتاب النبات : قطعة من الجزء الخامس ( نشره ب . لوين ، ليدن ، ١٩٥٣م) : ٩ .
(٣) – ديوان معن بن أوس ( صنعة نوري القيسي وحاتم صالح الضامن ، بغداد ، ١٩٧٧ م) : ٥ .
(٤) – ديوان النابغة الذبياني(تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،دار المعارف بمصر) :٩٦ .
(٥) – المفضليات (بشرح ابن الانباري . تحقيق ليال ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ) : ١ : ٥٥٧ .

وهناك أمثلة أخرى على ورود هذه الصورة في الشعر (١) .

وقد يقال إنّعرب الشمال عرفوا الكروم في أسفارهم الى الشام واليمن والعراق وفارس ، وفي وفادات القبائل وسفاراتها الى تلك المناطق لاسباب مختلفة من أهمها التجارة ، ولكن هذ لا يكفي للقول إنهم لم يعرفوا الاعناب ولم يزرعوها ودليلنا على ذلك شهرة الطائف بالكروم والزبيب .

وتمتاز الطائف بمناخ معتدل بارد جعل منها ملاذا مصطافا لتجّار مكة وأثريائها ، وقد ظلّت الطائف والأودية المحيطة بها تمدّ سائر مناطق الحجاز بمواد هامة كالخمر والقمح والأخشاب حتى سمّيت بسوق مكة (٢) .

وللعنب ، حسب الروايات القديمة ، دور بارز في أصل ثقيف وبناء الطائف (٣) . وهذه الروايات ، وان كان المعوّل عليها قليلا ، تبرز المكانة

---

(١) - انظر مثلا ديوان جران العود (دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م) : ٣٧ ، وديوان النمر بن تولب ( صنعة نوري القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد : ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) : ١١٦ .

(٢) - EI : Ta'if, vol. IV, p. 621.

(٣) - في رواية لابن الكلبي نقلها من ابن عباس أن ثقيفاً والنخع من إياد ، وأن ثقيفاً هو قسيّ بن منبه . فخرجا معاً ومعهما عنز لهما ، فعرض لهما مصدّق لملك اليمن وأراد أخذها فقتله أحدهما ، وتفرقا في الأرض . فنزل قسيّ موضعاً قريباً من الطائف . ورأى جارية ترعى الغنم ، فأرشدته إلى مولاها ، فأتاه واستجار به ، فزوّجه بنته ، وأقام بالطائف . فقيل : " لله درّه ما أثقفه حين ثقف عامراً فأجاره " . وكان قد مرّ بيهودية بوادي القرى فأعطته قضبان كرم فغرسها بالطائف . - الرواية في الأغاني لابي الفرج الاصفهاني (ط. دار الثقافة ، بيروت : ١٤٠١هـ -١٩٨١م) : ٤ : ٣٠٥ ، وفي معجم ما استعجم للبكري : ١ : ٦٤ ، وفي معجم البلدان لياقوت الحموي : ٤ : ٢٩ ، وفي تاريخ المستبصر لابن المجاور : ١ : ١٨ .

الهامة التي احتلتها الكروم ضمن العملية الزراعية التي ترجع في الطائف إلى عهود قديمة ، مما حدا بالروايات الى إشراكها في أصل ثقيف .

وقد حمل أهل الطائف على أنواع من الأعناب من الشام وفارس ، وعلى وجه أخص من اليمن إذ كان للطائف علاقات متينة معها [1] . وقد تشابهت أنواع الأعناب في الطائف وأنواع أعناب اليمن والشام وفارس كما سنرى ، مما يدل على اهتمام الطائفيين بزراعة الكروم . وقد ذكرت زراعة الاعناب في الطائف في الشعر الجاهلي ، قال أبو الصلت [2]:

| | |
|---|---|
| وَيَانِعٌ مِنْ صُنُوفِ الْكَرْمِ عِنْجَدُنَا | مِنْهُ ، وَنَعْصِرَهُ خَلًّا وَلَذَّاتَا |
| قَدِ ادْهَامَّتْ وَأَمْسَتْ مَأْوَاهَا فُسُقٌ | يَمْشِي مَعًا أَصْلُهَا وَالفَرْعُ إِنْبَاتَا |
| إِلَى غَضَارِمِ مِثْلِ اللَّيْلِ مُتَّجِئًا | فُومًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَرُمَّانَا |

وقال ابنه أمية [3]:

| | |
|---|---|
| وَكُنَّا حَيْثُمَا عُلِمَتْ مَعَدٌّ | أَقَمْنَا حَيْثُ سَارُوا هَارِبِينَا |
| بِوَجٍّ وَهْيَ مُثْرِيٌّ وَطَلْحٌ | تَخَالُ سَوَادَ أَيْكَتِهَا عَرِينَا |
| فَأَلْقَيْنَا بِسَاحَتِهَا حُلُولًا | حُلُولًا لِلْإِقَامَةِ مَا بَقِينَا |
| فَأَنْبَتْنَا خَضَارِمَ فَاخِرَاتٍ | يَكُونُ نِتَاجُهَا عِنَبًا وَتِينَا |

وكانت مكة تلاًّ جرداء لا زرع بها ، ولهذا كانت ترفدها الطائف بالفاكهة

---

(١) - EI : Ta'if, vol. IV, p. 621.

(٢) - معجم البلدان : ٥ : ٣٦١ .

(٣) - ديوان أمية بن أبي الصلت ( تحقيق عبد الحفيظ السطلي ، ط. دمشق : ١٩٧٧م) : ٥٠٦ .

والحبوب، وأهمّها الأعناب والزبيب . وكان أثرياء قريش يملكون أراضي في الطائف ويزرعونها [١]، وقد كان " للعباس بن عبد المطلب أرض بالطائف وكان الزبيب يُحمل منها ، فيُنبذ في السقاية للحاجّ ، وكانت لعامة قريش أموال بالطائف يأتونها من مكة فيصلحونها "[٢] . ومما يدلّ أيضاً على كثرة أعناب الطائف أن الرسول (ص) بعد فتحها" أمر أن تُخْرَص أعناب ثقيف كخرص النخل ، ثم تؤخذ زكاتهم زبيباً كما تؤدى زكاة النخل "[٣] ، وفي رواية للمدائني أن " سليمان بن عبد الملك لما حجّ مرّ بالطائف فرأى بيادر الزبيب فقال : " ما هذه الحِرار ؟ " فقالوا ليست حرارا ولكنّها بيادر الزبيب ، فقال لله درّ قسيّ بأي أرض وضع سهامه .."[٤] .

وفي معجم البلدان صورة حيّة لوصف الطائف وكرومها : قال عرّام : "والطائف ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه وبها مياه جارية وأودية تنصبّ منها الى تبالة .. وهي على ظهر جبل غزوان "[٥]، وجاء في تفضيل أعنابها :

" وبيوتها لاطئة حرجة وفي أكنافها كروم على جوانب ذلك الجبل فيها من العنب العذب ما لا يوجد مثله في بلد من البلدان. وأما زبيبها فيضرب بحسنه المثل ، وهي طيبة الهواء شمالية ربما جمد فيها الماء في الشتاء وفواكه أهل مكة منها "[٦] . ولا بد أن ينطبق هذا الوصف على الطائف في الجاهلية

---

(١) — EI : Ta'if, vol. IV, p. 621.
(٢) — كتاب فتوح البلدان للبلاذري : ٦٦:١ .
(٣) — المصدر السابق : ١ : ٦٦ .
(٤) — معجم البلدان : ٤ : ١١ ، والمستبصر : ١ : ٢٣ .
(٥) — معجم البلدان : ٤ : ٩ .
(٦) — المصدر السابق : ٤ :٩ .

نظرا لشهرتها القديمة بالكروم والزبيب .

هذا ، وإنّ ما وصلنا من أخبار زراعة العرب للأعناب منذ الجاهلية في كتب النبات منسوب في معظمه الى الطائفيين ، مما يدل على اهتمامهم بزراعة الكروم دون غيرهم من العرب . وفي المعاجم اللغوية كما في كتب النبات ، نعثر على عدد كبير من المفردات التي تتعلّق بالمراحل المختلفة لنمو شجرة الكَرْم، والعناقيد بشكل خاص . وكذلك نجد الكثير من الألفاظ المتعلّقة بأدوات قطاف العنب ، والأجزاء المستعملة في عملية التعريش وإقامة حوائط الأعناب بالاضافة الى الألفاظ المتعلّقة بأجزاء نظام الري المتّبع فيها [1]. ويدّل هذا الموروث اللفظي الواسع على وجود زراعة مستقرة للأعناب في الطائف كانت لها أصولها ومبادؤها التي درجت عليها منذ عهود قديمة .

ويسمّي الطائفيون شجرة العنب الكَرْمَة والحَبَلَة [2] . وفي طريقة غرس الحبلة روي عن الطائفي قوله : " اذا غرس الحَبَل أخذت ثلاث نوامي طول كل نامية ثلاثة أشبار ثم تحفر حفرة قدّر ذراع فتثني النوامي في الأرض وتترك منها عينين عينين . ويقال للعيون الأبَن، ثم تكبس عليها التراب وتترك لها حويضاً ثم تسقيها طَوْف القصب [3] ( والطوف قدر ما يسقى القصب وهو العلف الرّطب ) ، فاذا كان إبان غرسه الذي يغرس فيه تركت له فوق الأرض عيناً واحدة ثم صرمت ما فوقه ثم وضعت

---

(١) - على سبيل المثال لا الحصر راجع كتاب النخل والكرم المنسوب للاصمعي والمطبوع في كتاب البلغة في شذور اللغة (نشرها أوغست هفنر ولويس شيخو، ط. المطبعة الكاثوليكية ، بيروت:١٩٠٨م) : ٧٣ - ٩٤ ، والمخصص لابن سيده : ١١ : ٦٥ - ١٠١ .

(٢) - البلغة : ٧٣ .

(٣) - " كل نبت كانت ساقه أنابيب وكعوبا فهو قصب " : - فقه اللغة للثعالبي ( تحقيق الشيخ رشيد الدحداح ، باريس :١٨٦١م) : ٩٠ .

شعطة وهو عود من الشجر تفرزه الى جنب القضيب حتى يعلو فوقه . فاذا كان العام المقبل حطبته على طول أربع أصابع ثم غرسته " (١).

وقد أطلق الطائفيون اسم الزَّرَجُون على شجر العنب أيضاً ، قال الليث : " الزرجون بلغة أهل الطائف وأهل الغَوْر قضبان الكَرْم وأنشد :

بُدِّلوا مِنْ مَنَابِتِ الشِّيحِ وَالإِذْ ... خِرِ تِيناً وَيَانِعاً زرجونا

وربما كان الزَّرَجون فارسياً معرباً وأصله " زَرْكُون " (٢) .

وقد تابع أهل الطائف مراحل نمو الكرم ونضج ثماره ، وأطلقوا عليها ألفاظاً محددة : " فاذا بدت عيونه قيل : قد مَوَّقَ ، فاذا رأيت فيه الطلع قلت : أَزْمَعَ ، فاذا التقى قلت : اسْتَقَلَّ ، واذا انفتحت عناقيده قلت : نَفَضَ . ويقال مُنْفُود ومِنْقاد "(٣) . قال تأبط شرّاً (٤):

وَقَدْ لَهَوْتُ بِمَصْقُولٍ عَوَارِضُهَا ... بِكْرٍ تُنَازِعُني كأساً وَعِنْقَاداً

" فاذا فرغ من نفضه قيل : خَثَرَ وفَصَلَ ، فاذا كبر حبه قيل : قد غَضَنَ وأغصن ، فاذا رأيت في الحبّ ماء قلت : قد أَرَقَّ ، فاذا أدرك قلت : أَيْنَع ، فاذا رأيت العود ييبس والماء قد انتهى قلت عَقَدَ ، وذلك حين يقطف "(٥).

---

(١) - البلغة في شذور اللغة : ٧٣ .
(٢) - المعرب للجواليقي ( تحقيق أحمد محمد شاكر . دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦١هـ) : ١٦٥ .
(٣) - البلغة : ٧٤ .
(٤) - شعر تأبط شراً ( تحقيق القره غولي وجاسم ، ط . العراق : ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م) : ٨٠ .
(٥) - البلغة : ٧٤ .

وكانوا يغرسون الكرم ويرفعونها على عمد لتسهل العناية بها. والتعريش هي الطريقة التقليدية القديمة التي اتبعت في اليمن . قال الطائفيون :" فاذا غرسنا العنب عمدنا الى دعائم فحفرنا لها في الأرض من هذا الجانب دعامة بحبال هذه الدعامة لكل دعامة شعبتان . ثم نجيء بخشبة فنعرضها عليها طرفها بين شعبتي تلك الدعامة الأخرى وتسمى هذه الخشبة المعروفة بالأُطُر المشطّح . ونجعل على المساطح أُطُراً من أدناها الى أقصاها فتسمى المساطح بالاطر مساطح .. والشحطة عود تُرفع به الحُبْلة حتى تنتقل الى العريش "(١) ، ودِعام الكَرْم هو الخشب الذي ترفع به الغصون . قال الشاعر :

كالكَرْم مال على الدِّعام المسنَد "(٢)

كما أطلقوا عليه لفظ الدَّقْران : وهو " الخشب الذي ينصب في الارض ويُعَرّش عليه العنب ، والواحدة دِقْرانة "(٣). وكانوا بشكل عام يستعملون السواد لاخصاب التربة ، ويسمونه الدِّمْن (٤) ، ويقطعون من العنب كلّ عام شيئاً من أعاليه فيسمونه الجِطاب (٥).

وقد اعتمد الطائفيون أسلوبين رئيسين في زراعة الكروم : الأول هو حوائط الأعناب القائمة على التعريش ، والثاني هو زراعة الكرمة وسط الأشجار

---

(١) - البلغة : ٨٣ ، والمخصص : ١١ : ٦٥ .
(٢) - ابن دريد : الاشتقاق (تحقيق عبد السلام هارون ، مصر ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م) : ١٦٩ ، والشعر للنابغة الذبياني ، ديوانه:٩٦ ، وصدره :

وبِفَاحِم رَجْل أثيث نبته

(٣) - البلغة : ٨٩.
(٤) - المصدر السابق : ٨١ .
(٥) - المصدر السابق : ٨١ .

العالية. أما حوائط الأعناب ، فقد كانوا يعمدون الى الرّكايا : يحفرونها على نسق واحد بحيث تُفضي الى بعضها البعض ثم ينصبون فيها القضبان ويسمونها الجُبّايا (١) . وقناة الريّ في الحائط تُسمىّ الكِظامة ، والآ استعيض عنها باللّقح ( مجرى السيل )، والخُلّج ( القنوات التي تتشعّب فيها الساقية ) ، والفَلْج، وهي الساقية بعينها (٢) . ونجد أنهم قد أطلقوا الألفاظ الخاصة على التفاصيل الدقيقة في أجزاء نظام الريّ ، وجدران السواقي وغيرها .

وكانوا يحظرون على الكَرْم بالشجر وهو الوَشيع (٣) حتى لا تدخله الناس أو الماشية . وكان بعضهم يستعيض عن استعمال أسلوب التعريش لرفع الكرمة عن الارض بالجَمّ ؛ " وناس من أصحاب الكرم يجمّون العنب كلّ عام ولا يُعرّشون . والجمّ أن تُقطع من وجه الأرض ثم تنبت ، وناس يعرّشون "(٤) . وفي كُتب اللغة أنّ العرب قد أطلقت على التعريش ألفاظاً أخرى ، فقد ورد في اللسان أنّ المُفَرْدَس هو المُعَرَّش من الكروم، والفردوس أصله رومي أُعرب وهو البستان . وقيد قيل الفردوس تعرفه العرب وتسمي الموضع الذي فيه كَرْم فردوساً . وقال الفرّاء : " وهو عربي أيضاً والعرب تسمّي البستان الذي فيه الكَرْم فردوساً " ، وقال عبدالله ابن الحرث : الفردوس : الأعناب (٥).

أما الأسلوب الثاني وهو غرس شجيرات الكرم في أصول الشجر العظام، فقد كانوا يطلقون عليها اسم العوادي، ولا يسمّونها الحبلة كما في الحوائط :

---

(١) – البلغة : ٩٠ ، والمخصص : ١١ : ٦٥ .
(٢) – البلغة : ٧٧ .
(٣) – المخصص : ١١ : ٦٦ .
(٤) – البلغة : ٨٩ .
(٥) – الجواليقي : المعرب : ٢٤٠ .

" وذلك أنهم يعمدون الى المكان الكثير الشجر الظليل الذي قد التفّ شجره الذي لا يخلو أصله من الظلّ ولا تصيب الشمس ما تحته فيسمونه الصارّ ، فاذا غرسوا الكرم تحت ذلك الشجر نسبوا كل شجرة من الكرم الى الشجرة التي غُطّت عليها ، ولا يسمونها الحَبَلة كما يسمونها في الحوائط ، ولكن يقولون عادية العتمة ، وعادية العرعرة وعادية الشومة . ويسمّون العوادي الجفن "(١) ، ويسمّون تلك التي تُعلّق بها الجفنة بالشجر العِطفة(٢). وهذه الطريقة ، كما نرى ، طريقة ناجحة في خلق الظروف الطبيعية المناسبة لنمو العنب كالظلّ وبرودة المناخ.

وقد تشعّبت العناية بالكرمة عند أهل الطائف فكانت لها مواعيد دقيقة : فبعضهم يجمّ الكرمة كلّ عام ، وكانوا يعزقون حائط الكرم كل سنة :والمِعْزَقة لها شعبتان يجمعهما رأس واحد يعزق بها حائط الكرم في وقت الجِطاب ، والحطاب : حين يجري الماء في العود ، فاذا جرى الماء في العود أتوا الحائط فقطعوا الشُكُر : وهي العيدان، يقطعون ما تيسّر منها حتى ينتهوا الى ما جرى فيه الماء (٣) .

وكانت العرب تقرن الزراعة بالأنواء . فتربط بين بعض الأنواء وزراعة الكرم ، ونموّه ، ومراحل نضجه ، وتلوّن عناقيده : " واذا طلع الدبران هبّت السمايم واسود العنب "(٤) ، و " اذا طلع سعد الاخبية لم يكد يخطىء النوء الذي هو فيه وهو نوء الزبرة مطراً شديداً ، وقلما اخلف المطر ، وفيه يورق الكرم "(٥) ،

---

(١) ـ البلغة : ٨٠ .
(٢) ـ المصدر السابق : ٧٧ ـ ٧٨ .
(٣) ـ المصدر السابق : ٧٧ ـ ٧٨ .
(٤) ـ الازمنة والامكنة للمرزوقي (ط. حيدر آباد : ١٣٣٢هـ) : ٢ : ٢٨٠ .
(٥) ـ المصدر السابق : ٢ : ٢٨٢ .

و" إذا طلعت البلدة نقّى البساتين وكرب الكروم " [١] .

وكانت لهم أدوات استعملوها في الزراعة ، وفي جني الثمار وتقليم الكرم : منها المِحطب ، " وهو المنجل الذي تقطع به نواهي الحُبُل " [٢] ، والمِقْطف ، وهو ما تقطف به العناقيد [٣] ، والمِكْتَل [٤] : الزّبيل يحمل به العنب الى الجَرين ، والجَرين هو الرَّحْبة [٥] ، وهو للزبيب بإزاء البَيْدر للحنطة ، والمِرْبَد للتمر [٦] .

واختبروا عيوب الاعنابه ونتائج الاهمال لها على ثمارها : " اذا لم يروِ الغصن خرج حبّه متفرقاً ضعيفاً فهو الخُصاصة والحِصْرِم ، واذا لم يروِ لم يدرك ولم يعظم" [٧] . وأطلقوا الصفات على الثمار ذات العيوب مثل خَدلة : " وهي الحبة اذا نبتت كانت صغيرة ضيئلة وجاءت عيدانها جعدة من العطش أو غيره" [٨]، وعنب جُاسِد : " إذا كان صغيراً مشققاً وقف ورقه " [٩] ،كما نعتوا العنب بحسب حمله في المواسم مثل : " حوّل العنب اذا ما أثمر في عام ، وأحال في الآخر"، وعنب مُعَوّم : " اذا ما حمل عاماً وقل حمله عاماً " [١٠].

والعنب أنواع كثيرة بالطائف ، عدّد السجستاني منها ستة عشر نوعاً تدل

---

(١) ـ الازمنة والامكنة للمرزوقي : ٢ : ٢٨٢ .
(٢) ـ البلغة : ٧٥ .
(٣) ـ المصدر السابق : ٧٥ .
(٤) ـ المصدرالسابق : ٨٤ .
(٥) ـ المصدر السابق : ٧٩ .
(٦) ـ فقه اللغة : ١٥ .
(٧) ـ البلغة : ٨٧ .
(٨) ـ المصدر السابق : ٨٢ .
(٩) ـ المصدر السابق : ٨٢ .
(١٠)ـ المصدر السابق : ٨٢ .

أسماؤها على أنّ الطائفيين قد شاركوا فيها اليمن والشام وفارس ، وتختلف ألوانها فمنها الأبيض والأسود والرمادي والأحمر ، وكذلك تختلف أحجامها وأشكالها ، فمنها الصغير الحب ، ومنها عظيمه . وضروب العنب بالطائف هي : الجُرَشي : وهو أبيض ، صغير الحبه ويعتبر أول العنب إدراكاً ، والأَقْمَاعي الفارسي ، والأقماعي العربي : أبيض عظيم الحب كثير الماء ، والفارسي أعظم حباً من العربي وأقلّ ماءً وأكثر شحماً منه ، والشُّوكي : يشابه الأقماعي أبيض ينشقّ حبه على شجره ، والرَّعناء ، والرازقي ، والفُّروع ، والنَّوّاسي ، وحبلة عمرو ، بيضاء محددة الأطراف متداخلة العناقيد ، والشآمي : عنب أبيض فاذا أينع احمرّ ، والبيضة : بيضاء عظيمة الحبّ ، والأطراف : أبيض طوال رقاق الحبّ .

أما أنواع العنب الأسود بالطائف فهي : أم حبيب : سوداء زرقاء تعظم عناقيدها ويعظم حبّها ، والدّوالي : أسود يضرب الى حمرة ، عظام الحبّ ، والرمادي أسود أغبر ، والغربيب : وهو أشدّ العنب سواداً ، والحُمّنان : وهو أسود أحمر ، وهو أصغر العنب حباً .(١)

وقد فضّل السجستاني أطراف العذارى والضروع على غيرهما من ضروب العنب الأبيض لجودتهما وتشابههما ، كما فضل الأسود الغربيب على سائر أنواع العنب الأسود لرقته وجودته (٢)، والغربيب أخذه أهل الطائف عن أهل اليمن الذين اشتهروا به منذ القدم. وذكر السجستاني أنواعاً أخرى من الأعناب ، ولكنّه لم يخصّص بها الطائف : كالحنشي ، وعيون البقر ، والملاحي ، والجَوْزة . وهي أنواع قد تكون في الطائف وفي غيرها من مناطق الجزيرة . وقد فضلت العرب العنب

---

(١) - ضروب العنب وأوصافها بالطائف في البلغة في شذور اللغة : ٧٥ - ٧٦ .
(٢) - البلغة : ٨٥ .

المُلاحي الأبيض المنسوب الى ملاح في اليمن لجمال تكله وبياضه حتى لقد شبّهت به الثّريا :[١]

وَقَدْ لاحَ في الصُّبحِ الثّريَّا لِمَنْ يَرَى كَعُنقودِ مُلاحِيَّةٍ حينَ نَوَّرا

هذا ،وقد زرعت الاعناب في مناطق أخرى من الجزيرة منها شمال الحجار والاودية الواقعة بين مكة ويثرب.أما يثرب فان زراعة الاعناب فيها قبل الاسلام ليست مؤكدة ، اذ ليس في ما اطلعت عليه من الشعر الجاهلي ، ومن مصادر الحياة الجاهلية ما يشير الى زراعة الأعناب فيها ، وانما هناك ما ينفي زراعتها للأعناب : " فعن عبد الله بن عمر أنه قال : والذي نفسي بيده لقد أنزل تحريم الخمر بالمدينة وما بها زبيبة واحدة "[٢] . ولو كانت الآعناب تزرع في المدينة لما احتاج أهلها الى الزبيب الذي كان يحمل إليهم في التجارة ، وكذلك لما شاع بينهم نبيذ التمور دون خمرة العنب : " وقد صحّ بالأخبار المتواترة آن نبيذ التمر كان فاشياً بالمدينة يشربه أهلها غنيّهم وفقيرهم ، ويجري عندهم مجرى أقواتهم فلولا آنه آراد إطلاق الأشربة لهم لنصّ عليه كما نصّ على الخمر لان النصّ عليه أولى من الخمر لشهرته وكثرة متناوليه ولقلّة الخمر فانها لا تكاد توجد عندهم "[٣].

---

(١) – البلغة : ٨٥ ، والبيت لابي قيس بن الأسلت : ديوانه ( تحقيق حسن باجودة ، القاهرة ، ١٩٧٣) : ٧٣ .

(٢) – قطب السرور في أوصاف الخمور للرقيق النديم(تحقيق احمد الجندي، مجمع اللغة العربية بدمشق ) : ٥٠٦ .

(٣) – المصدر السابق : ٤٧٥ . والحديث في معرض الاشربة المحرمة .

من الممكن أن يكون العنب قد زرع في يثرب الى جانب غيره من المزروعات ، ولكنّه لم يتوفر بشكل يعوّل عليه في صناعة الخمر ، ودليلنا على ذلك أنه كان يزرع في شمال الحجاز ، وفي الأودية الواقعة بين يثرب ومكة ، ولا يعقل أن يوجد في تلك المناطق وينعدم في المدينة تماماً .

أما النّخيل فقد كانت زراعته غالبة على الزراعة في يثرب ، وقد امتازت المدينة بحوائط النخيل العديدة [1] . وكان سكانها من اليهود الذين نزلوا العالية ، وهي بطحان ومهزور : واديان من حرّة على تلال أرض عذيّة بها مياه عذبة تنبت حرّ الشجر ، ففي مهزور نزل النضير ، وكان معهم بطون من العرب[2] . ثم نزل الخَزْرَج وسط المدينة وبعض مناطقها الغربية والجنوبية ، ونزل الأَوْس الجنوب والشرق في النَّبيت[3] . قال حسان بن ثابت :[4]

أُولَئِكَ قَوْمِي فَإِنْ تَسْأَلِي ... كِرَامٌ إِذَا الضَّيْفُ يَوْمًا أَلَمّ
بِيَثْرِبَ قَدْ شَيَّدُوا فِي النَّخِيلِ ... حُصُونًا وَدُجِّنَ فِيهَا النَّعَمْ
نَوَاضِحُ قَدْ عَلَّمَتْهَا اليَهُودُ ... عُلَّ إِلَيْكِ وَقَوْلًا هَلُمّ
وَفِيمَا اشْتَهَوْا مِنْ عَصِيرِ القِطَافِ ... وَعَيْشٍ رَخِيٍّ على عُسْرِهِمْ

(١) - كانت يثرب محاطة بالحرار واللابات : أراض بركانية ذات حجارة سوداء ، والأودية في هذه الحرار كانت تشتهر بخصوبة عظيمة وتمتاز بزراعة النخيل : EI, 'Al Madina',Vol. III, P. 83
(٢) - تاريخ اليهود في بلاد العرب : ١٤ .
(٣) - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودي ( مكتبة الآداب والمؤيد بمصر ١٣٢٦هـ) : ١٤٠ ، وفيه نزل الاوس الشَّوْط ، و EI : Al Madina, vol.III p. 85.
(٤) - ديوان حسان بن ثابت ( تحقيق وليد عرفات ، لندن ١٩٧١م ) : ١ : ٥٧ .

وقال قَيْس بن الخُطيم من الأَوْس (١):

وَبِالشَّوْطِ مِنْ يَثْرِبٍ أَعْبُـــدٌ سَتَهْلِكُ فِي الخَمْرِ أَثْمَانُهَـــا
يَهُونُ عَلَى الأَوْسِ أَثْمَانُهُـــمْ إِذَا رَاحَ يَخْطِـرُ نَشْوَانُهَـــا

اذن فقد نزل الأوس والخزرج يثرب وكان بها اليهود، وأقاموا فيها الأطم والحصون في النخيل والمرتفعات . ويؤخذ مما أورده اسرائيل ولفنسون أنّ اليهود قد أدخلوا الى بلاد العرب "أنواعاً جديدة من الأشجار ، وطرقاً للحراثة والزراعة والآلات حتى عُدّوا من آجل هذا أساتذة لعرب الحجاز .."(٢) . وقد نزل اليهود أيضا القرى الواقعة شمال يثرب، وكانت هناك عدة قرى في أرض خيبر شمال المدينة آهلة بأكثرية مطلقة من اليهود ، وكذلك وادي القرى الغني بأشجاره وعنبه (٣)، وتَيْماء التي اشتهرت كذلك بنخيلها وعنبها (٤). اما خيبر ووادي القُرى فقد اشتهرت منطقتاهما بالنخيل والحبوب ، وكانت بساتين الذرة والحبوب والنخيل كثيرة هنالك (٥) ، " حتى يمكن أن يُقال إنّ تجارة البلح والشعير والقمح كانت خاصة بهم ( أي باليهود ) في شمال الحجاز"(٦) . وبعد فتح خيبر كان الرسول (ص) " يعطي كلّ امرأة من نسائه ثمانين وَسقاً من تمر كل عام ، وعشرين

---

(١) - ديوان قيس بن الخُطيم (تحقيق ناصر الدين الأسد، القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م) : ٢٩ .

(٢) - تاريخ اليهود : ١٧.

(٣) - تاريخ اليهود: ١٧ ، ومعجم البلدان: ٤ : ٣٣٨ : " وادي القرى بين تيماء وخيبر فيه قرى كثيرة كانت منازل عاد وثمود ثم نزلها اليهود واستخرجوا كظائمها ، وأساحوا عيونها وغرسوا نخلها ، فلما نزلت بهم القبائل عقدوا بينهم حلفاً ".

(٤) - EI: 'TAIMA', vol. IV, p. 622.

(٥) - Ibid : 'Arabia', vol. I, p. 368.

(٦) - تاريخ اليهود : ١٨ .

وَسْقاً من شعير خيبر "(١) ، مما يدلّ على شهرة خيبر بالتمر والحبوب . وفي أمثال العرب :(٢) كَمُسْتَبْضِعِ تَمْرًا إِلَى أَرْضِ خَيْبَرا .

كما كَثُرَ النخيل في فَدَك وتَبُوك (٣) ، ويرجع ذلك الى الآبار العظيمة التي كثرت في شمال الحجاز . وإذا كان النخيل يصبر على العطش طويلاً فإنّ الحبوب تحتاج الى كميات من المياه لريّها .

واحتوت الأراضي الواقعة بين مكة والمدينة على مناطق توفّرت فيها المياه ، فسمحت بمقدار من الزراعة فيها : منها السُّوارِقِيَّة منزل بني سُلَيم : " السُّوارقية قرية غنّاء كبيرة كثيرة الأهل وهي لبني سُليم ، ويستعذبون من آبار من وادٍ يقال له سُوارق وواد يُقال له الأبطن ماءً خفيفاً عذباً ، ولهم مزارع كثيرة من موز وتين وعنب ورمّان وسفرجل وخوخ "(٤) ، وهي قرب جبال أُبْلَى " وحذاء أُبلى من غربيّها قنّة يقال لها الشُّوْرة لبني خُفاف من بني سُلَيم ومياههم آبار يزرع عليها ماء عذب وأرض واسعة "(٥) والصَّحْن جبل في بلاد بني سُليم فوق السُّوارقية وفيه ماء يقال له الهَبَاءة ، " وهي أفواه آبار كثيرة مخرّقة الأسافل يفرغ بعضها في بعض الماء العذب الطيب ويزرع عليه الحنطة والشعير "(٦).

---

(١) - فتوح البلدان : ١ : ٢٧ .
(٢) - جمهرة الأمثال للعسكري (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعبد المجيد قطامش ، ط. القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) : ٢:١٥٣.
(٣) - معجم البلدان : ٤ : ٢٣٨.
(٤) - معجم البلدان : ٣: ٢٧٦ ، ومعجم ما استعجم : ١ :١٠٠ .
(٥) - معجم ما استعجم : ١ : ٩٨ .
(٦) - معجم البلدان : ٥ : ٣٨٩ .

وبين مكة والمدينة وادي الصَّفرَاء ، وهو من أخصب أودية الحجاز،وهي "قرية كثيرة النخل والزرع ماؤها عيون كلها وهي فوق يَنْبُع مما يلي المدينةوهي لجهينة والانصار ولبني فهر ونهد"(١). وقرب الصفراء قرية يَلْيَل ، " وفيه عين كبيرة تخرج من جوف رمل من أغزر ما يكون من العيون..وتصب في البحر عند يَنْبُع فيهانخيل وتتخذ فيها البقول والبطيخ"(٢) . وفي أسفل وادي الصفراء ماء بَدْر المشهور بين مكةوالمدينة (٣) ، وهو على بعد ثمانية وعشرين فرسخاً من المدينة في طريق مكة . وقد انفرد البكري بقوله إنّ في بَدْر عينين جاريتين عليهما الموز والعنب والنخل (٤) .

وسَايَة وادٍ خصب من حدود الحجاز يقع بين حرّتين سوداوين ، وبه قرى كثيرة منها الفارع : قرية فيها نخل ومزارع وموزورمانوعنب (٥)."بعدها جبلان يقال لهما سُوُ اثان .. وهي جبال شوامخ وفيها الأعناب وقصب السكر." (٦) . وأَمَج قرية أخرى على ساية كثيرة المزارع والنخل ، وفيها يقول حُميد الأمَجي (٧):

| | |
|---|---|
| حُمَيْدُ الّذي أَمَجٌ دَارُهُ | أَخُو الخَمْرِ ذو الشَّيْبَةِ الأَصْلَعِ |
| عَلَاهُ المَشِيبُ على شُرْبِهَا | وكَانَ كَرِيماً فَمَا يَنْزِعِ |

---

(١) – معجم البلدان : ٣ : ٤١٢ ، وانظر معجم ما استعجم : ٣ : ٨٣٦ .
(٢) – معجم البلدان : ٥ : ٤٤١ .
(٣) – المصدر السابق : ١ : ٣٥٧ .
(٤) – معجم ما استعجم : ١ : ٢٣١ .
(٥) – معجم البلدان : ٣ : ١٨٠ ، وانظر معجم ما استعجم : ٣ : ٧٨٧ .
(٦) – معجم ما استعجم : ٣ : ٧٨٧ .
(٧)– معجم البلدان : ١ : ٢٥٠ ، وانظر معجم ما استعجم : ١ : ١٩٠ .

وعُسْفان قرية على بعد ثلاثين ميلاً من مكة كثيرة النخيل والمزارع [١]، كانت مُناخاً للقوافل .

أما جبال السَّراة فهي "أكثر أرض العرب عسلاً وعنباً وتيناً وزبيباً"[٢] ، وخاصة في جنوب مكة حيث سكنت قبيلة هُذَيْل ، فقد كانت هذه المنطقة أكثر نواحي الحجاز خصوبة [٣] ، وقد اعتمد أهلها على صنع المدرّجات الزراعية على غرار المدرّجات اليمنية ، وكذلك استخدمت المدرّجات الزراعية في الأودية الضّيقة لهضبة نجد وسط الجزيرة [٤]. وقد زرعت الأعناب في جبال السَّراة الغربية ، ولم تقتصر زراعتها على سراة اليمن . وكانت أعناب السّراة تعظم مما يدلّ على قدمها وملاءمة المناخ لها ، فقد أشار الدينوري الى أنّ نوعاً من العنب هو أصابع العذارى ينبت في السراة ، وقال في وصفه : " هو صنف من العنب أسود طوال كأنه البلوط يشبّه بأصابع العذارى المخضّبة وعنقوده نحو الذراع متداحس الحبّ له زبيب جيّد ، ومنابته السّراة "[٥] . ويبدو أن الكَرْم كانت تعظم كثيراً في السراة فتتّخذ من سيقانها الصحاف والآنية : " وأخبرني بعض الأعراب أنه يُنتحت بالسراة صحاف من سيقان الكَرْم ومن عجر تظهر فيها فتجيء خلنجاً موشّاة حساناً جياداً ، والكَرْم تغلظ ساقه عندهم غلظاً شديداً . وأخبرني بمثل ذلك رجل من أهل الشام لأن الكَرْم يعبل بأرض بيت المقدس خاصة حتى يمكن أن تُخرط منه الأواني "[٦].

---

(١) ـ معجم البلدان : ٤ : ١٢١ .

(٢) ـ كتاب النبات للدينوري ( حققه لفين وشتايتر ، فسبادن : ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ): ٣ : ٢٦٦ .

(٣) ـ EI : 'Arabia', vol. I, p. 368.

(٤) ـ Semple : Influences of Geographic Environment : 567.

(٥) ـ كتاب النبات ، قطعة من الجزء الخامس : ٤٤ .

(٦) ـ الدينوري : كتاب النبات ، قطعة من الجزء الخامس : ١٦ ـ ١٧ .

ومن مناطق الجزيرة الخصبة منطقة اليمامة وما جاورها . والأرض الممتدة في جنوب غرب اليمامة الى حدود الدهناء هي وادي فلج أو فلج الأفلاج [١]:"مدينة بأرض اليمامة سميت كذلك لأنها أفلاج كثيرة وأعظمها هذا الفلج - فلج الافلاج - لأنه أكثرها نخلاً ومزارع وسيوحا جارية "[٢] . وفي اليمامة واد يشقها يسمى العِرْض : عِرض اليمامة يشقها من أعلاها الى أسفلها ، والى جانبه منفوحة : قرية مشهورة من نواحي اليمامة كان يسكنها الأعشى وبها قبره [٣]. " وكانت اليمامة أحسن بلاد الله أرضاً وأكثرها خيراً وشجراً ونخلاً "[٤] . ودرنا التي باليمامة اشتهرتبالخمر وبزراعة العنب ، قال الأعشى [٥]:

فإنْ تمنعوا منا المشقر والصفا فانا وجدنا الخط جما نخيلها

وإن لنا درنى فكل عشية يحط الينا خمرها وخميلها

ومما يدل على وجود الاعناب في منطقة اليمامة ما جاء في تفسير ابن دريد لكلمة عنجد : " وعنجد ماخوذ منحب العنب . وقال قوم : رديء العنب . وأحسب أنّ باليمامة قوماً يقال لهم العناجد ، كأنهم منسوبون الى عنجد"[٦].

وقد احتوت منطقة السيف على أراض زراعية خصبة تميزت بزراعة النخيل كهجر ، وهي مدينة بالبحرين [٧] ، وقد كان أهل البحرين يزرعون العنب

---

(١) - (EI) Arabia , Vol. I . PP. 370-371.

(٢)- معجم البلدان : ٤ : ٢٧١ .

(٣) - معجم البلدان : ٥ : ٤٤١ ، ومنفوحة لبني قيس بن ثعلبة .

(٤) - معجم البلدان : ٥ : ٤٤٢ .

(٥) - الصبح المنير في شعر ابي بصير:١٢٤.وفيها إشارة الى ان درنا باليمامة ، وقد تكون غير أشافت التي باليمن ، والتي كانت تسمى في الجاهلية درنى كما ورد في صفة جزيرة العرب : ١١٤ .

(٦) - الاشتقاق : ٥٥٥.

(٧) - معجم ما استعجم : ٤ : ١٣٤٦ .

بـين النخيل . قال لبيد :(١)

نخلٌ كوارعُ في خليجِ محلّمٍ ... حملت فمنها موقرٌ مكمومُ

سُحقٌ يمتّعها الصفا وسريُّه ... عمٌّ نواعمُ بينهنّ كرومُ

والصفا نهر بالبحرين ينخلج من عين محلم الذي يسقي نخيل هجر كلها(٢). وتذكرنا زراعة العنب بين النخيل في هذه المنطقة بأسلوب مشابه اتّبع في الطائف هو أسلوب العوادي : زراعة الجفن في ظل الشجر الكثيف الملتف .

ومن قرى السيف قطر . وهي بين البحرين وعمان (٣) ، ويميّزها البكري " بأنها أكثر بلاد البحرين خمراً(٤)" ، ممّا يومئ إلى امكانية زراعتها للعنب وإن لم يأت على ذلك صراحةً ، لأن العرب لم تطلق كلمة خمر على نبيذ التمر ، وإنّما على خمر الأعناب .

ولا شك أن الشهرة الغالبة على منطقة اليمامة والبحرين في الزراعة ترجع في الدرجة الأولى الى زراعة النخيل ، وأصناف التمر الموجودة في عرض

---

(١) - شرح ديوان لبيد بن ربيعة (تحقيق احسان عباس ، ط. الكويت ، ١٩٦٢م) :١٢٠،
كوارع : أراد اللواتي في الماء . محلم نهرالبحرين . موقر : حامل ،
مكموم : مغطى بالكمامة من برد أو داء . يكم ويشوّك حوله بالسلاء مخافة
أن يسرق . السحق : الطوال احدها سحوق . يمتعها يربيها ويحسن نباتها
ويطيلها . والصفا نهر يعني صفا المشقر بالبحرين . سرّيه نهره يعني
الصفا . عمّ : طوال عظام واحدها عميمة . يقول بين النخل كروم .
( شرح ديوان لبيد :١٢٠) ، وورد البيت الثاني في غريب الحديث لابي عُبيد
القاسم بن سلام (بمراقبة محمد عبد المعيد خان، الهند ، ١٣٤٨هـ - ١٩٦٤م):
١ :٢٩٦ .
(٢) - معجم البلدان: ٣: ٤١١ ، وانظر ما جاء في معجم ما استعجم : ٤ : ١١٩٣ .
(٣) - معجم البلدان : ٤ : ٣٧٣.
(٤) - معجم ما استعجم : ٣ : ١٠٨٢ .

اليمامة والخطّ ( فإنّا وجدنا الخط جماً نخيلها )(١) . وهجر . وقد كانت شهرتها بالتمر سبباً لشهرتها بنبيذه : ففي رواية الأصمعي عن العجاج أنّه قال : " أين تريد ؟ قال : البحرين ، قال : لتُوافقنّ بها نبيذاً خضرماً "(٢)- أي كثيــــراً . وكانت لهم منه صنوف اختلفت شدّتها وسورتها : " فقد أجمع أهل البحرين أن لهم تمراً يُسمّى النابجي ، وأنّ من فضخه وجعله نبيذاً ثم شربه وعليه ثوب أبيض صبغــه مرقه حتى كأنه ثوب أتْحميّ "(٣) .

---

(١) ـ الصبح المنير: ١٢٤ .

(٢) ـ شرح أشعار الهذليين ( تحقيق عبد الستار فراج ومراجعة محمود محمد شاكر، ط . القاهرة ، ١٣٦٣ هـ ـ ١٩٦٥م ): ٣ : ١٠٩٣ .

(٣) ـ كتاب الحيوان للجاحظ ( تحقيق عبد السلام هارون ، ط. القاهرة ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ) : ٧ : ٢٣١ . والأتحمية : " ضرب من البرود واحدها أتحمي وهــي المتحمة أيضا وأنشد :

مَفْرَاءُ مُتْحَمَةٌ حِيكَتْ نَمَائِمُهَـــا مِنَ الدِّمَقْسيّ أَوْ مِنْ فَاخِرِ الطُّوط"

المخصص : ٤ : ٧٣ .

## ٢- صناعة الخمر والأشربة والأنبذة في الجزيرة العربية

## أ ـ صناعة الخمر في الجزيرة العربيـــة :

لا شكّ أن العرب قد صنعت الخمر من الأعناب في الأمكنة التي زرعتها كاليمن والطائف وغيرها . الاّ أنّها لم تلمح الى ذلك في أشعارها ، ولم تذكر الخمـرة المصنوعة محلياً أو تفخر بها ، وإنّما تغنّى الشعراء بالخمرة التي كانـت تأتيهم من أمكنة بعيدة . ولكن هذا لا يعني أنّ العرب لم يصنعوا الخمرة فـي الجزيرة . فهناك فرق بين ذكرهم للخمرة القادمة من أمكنة بعيدة ، وبيـن صناعتهم المحلية لها حتى لو لم يلمحوا الى هذه الناحية شعراً .

على أنّ لدينا من الأخبار ما قد يسدّ مسدّ ما أغفله الشعر إلاّ لماماً ، إذ يحدّثنا الهمداني أنّ هناك مناطق اشتهرت خمرها مثل مخلاف شَاَث ووادي ضَهْر ومخلاف سُخَيْم [1]، وهذا الأخير كانت تنسب إليه الخمر الجيدة ، [2] قال الشاعر[3]:

كَأَنّي اصْطَبَحْتُ سُخَيـمِّيـةً        تفاسا بِالْمَرْءِ صِرْفاً عَقَـارا

وقد ذكر أنّه كان للأعشى معصر للخمر بأثافت ، يعصر فيه ما أجزل لـه أهلها من أعنابهم وهو يذكر " عصر " العنب في تلك القرية بقوله [4] :

أُحِبُّ أُثَافِتَ وَقْتَ الْقِطَـافِ        وَوَقْتَ عَصَـارَةِ أَعْنَابِهَـا

وكانت خمرة اليمن من العنب ومن النخيل ، وهذه الثانية هي التي ذكرها استرابو ـ كما تقدّم ـ وكانت لهـم معاصر عرفت في النقوش باسم " موهتن"[5]

---

(١) ـصفة جزيرةالعرب : ٢٤٢ ومعجم البلدان ٢ : ٧٠ .
(٢) ـ معجم ما استعجم ٣ : ٧٢٨ .
(٣)ـ لسان العرب : مادة سخم : والبيت منسوب فيهالى عوف بن الخرع ،وروايته هنالك :
كأني اصطبحت سخاميـــة        تفشأ بالمرء صرفا عقـارا
(٤) ـ صفة جزيرة العرب : ١١٤ ، وانظر البيت في ديوانه :١٢١ ، وروايته هنالك " عُصَارَةِ أَعْرَابِهَا " .
(٥) ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ٨ : ٢٦٤ .

و " موهت " تعني الضغط الشديد والدوس [١] ، وقد اتخذوا تلك المعاصر في البيوت والحوانيت لعصر العنب واستخراج الزيوت ، ومعاصرهم كانت عبارة عن حجرين صخريين في الأعلى منهما ثقب لادخال العنب أو اية مادة يراد عصرها ، والحجر الأسفل مثبت يحيط به منخفض يشبه الساقية ليجري اليه العصير[٢].

وتعتبر الطائف - بعد اليمن - أبرز المناطق التي صنعت من أعنابها الخمرة في الجزيرة العربية ، ودليلنا على ذلك الأخبار التي تواترت عن زراعة الطائفيين للأعناب وعصرهم لها ، وصناعة الخمرة منها :

وَيَانِعٌ من صُنوف الكرم عَنْجَدُنَا  مِنْهُ ، وَنَعْصِرهُ خلاً وَلَذّاتا[٣]

ونظراً لكثرة الكروم عندهم ، كانت الأعناب تعصر وتصنع منها الخمرة والخلّ ، أو تزبّب وتنتبذ فتستعمل في الاستهلاك المحلي ، وتصدّر الى الخارج. والدليل على ذلك أنّه لما حرّمت الخمر تحيّرت ثقيف ، كغيرها ممن زرعوا الكروم ، كيف تصنع بأعنابها . فعن ابن عبّاس أنّ عبد الرحمن بن وعلة قال " إنّ بأرضنا كروماً .."[٤] ، وسأله ماذا يصنعون بالأعناب بعد تحريم الخمر . وفي رواية أخرى أنّ عمرو بن عبد الله الديلمي روى عن أبيه قال : " قدمت على رسول الله (ص) فقلت يا رسول الله إنّا أصحاب كَرْم . وقد أنزل الله عز وجل تحريم الخمر فماذا نصنع ؟ قال : تتخذونه زبيباً .."[٥].

---

(١) - تاريخ العرب قبل الاسلام : ٨ : ٢٧٩ .

(٢) - المرجع السابق ٨ : ٢٦٤ ( بتصرف ).

(٣) - معجم البلدان : ٥ : ٣٦١ ، والشاعر هو أبو الصلت من ثقيف . " والعنجد مأخوذ من حب العنب " - الاشتقاق لابن دريد : ٥٥٥ .

(٤) - مسند أحمد بن حنبل : ١ : ٢٤٤ .

(٥) - المصدر السابق : ٤ : ٢٣٢ ، وسنن النسائي : (٧- ٨) : ٣٣٢ .

إذن ، فقد استخدم الطائفيون الأعناب في صناعة الخمر ، وكانت لهم أدوات لعصر العنب منها العواصر : وهي حجارة يعصر بها العنب : " وهي ثلاثة أحجار بعضها فوق بعض يسيل منها العصير "(١) ، والتركوة هي رقعة تحت العواصر (٢) .

وكانت طريقتهم في صنع الخمر تبدأ بجمع العنب في الجرين ،" فيغملونه في الزّبيل فلا يرى الشمس حتى يشرب العنب ماء العيدان " (٣). وكان لهم أسلوب آخر سوى عصر الأعناب بالعواصر ، وهو دوس الاعناب بالارجل : " الخمر اذا عصر فاسم ما يسيل منه قبل أن تطأه الرجل السّلاف ، وأصله من السلف وهو المتقدم من كل شيء ، وهو في مثل ذلك الخرطوم أيضا ، ويقال للذي يعصر بالاقدام : العصير، والموضع الذي يعصر فيه : المعصرة ، والنطل ماعصر فيه السلاف ، ويقال للعاصر : الناطل ، ثم يترك العصير حتى يغلي فاذا غلا فهو خمر . وهذه العملية في صنع الخمر تدور حول تخمير العصير حتى يغلي من غير أن تمسه النار . وقد عرف الطائفيون وغيرهم من العرب ألوانا من العصير المطبوخ منه المُنَصّف ، ونبيذ الدادي ، والطّلاء . ووصف ابن سلّام طريقة صنع المنصف والطلاء فقال : " وهو أن يطبخ عصير العنب قبل أن يغلي حتى يذهب نصفه ، وقد بلغني أنّه كان يُسكر .. ، وإنْ طبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى الثلث فهو الطلاء، وانما سمي بذلك لانه شبه بطلاء الابل في ثخنه وسواده ، وبعض العرب يجعل الطلاء الخمر بعينها ، يروى ان عَبيد بن الابرص قال في مثل له :

---

(١) - البلغة في شذور اللغة : ٨٩ ، والمخصص : ١١ : ٧٢ .
(٢) - البلغة : ٨٩ .
(٣) - نفسه :٨٢ (والغمل : جمع العنب في الزبيل بعضه على بعض . البلغة :٨٣) .

وَلَكِنَّهَا الْخَمْرُ تُكْنَى الطِّـــــلَا كَمَا الذِّئْبُ يُكْنَى أَبَا جَعْـدَةٍ"(١)

ويشير جميل سعيد نقلاً عن كتاب الطائف للامانس إلى أن الحانات والمعاصر كانت كثيرة في الطائف قبل أن يدخلها الإسلام، حتى لقد اضطر الخليفة عمر بن الخطاب الى أن يضرم النار في هذه الحانات والمعاصر، فقال في ذلك أبو محجن الثقفي :

رَمَاهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَتْفِهَـا فَخُلَّانُهَا يَبْكُونَ حَوْلَ الْمَعَاصِرِ(٢)

ومن أشهر حانات الطائف حانة ابن بُجْرة، وحانة أبي مريم السَّلولي وكان خمّاراً مشهوراً في الطائف ثم أسلم .. وهو الذي قدم عليه أبو سفيان ابن حرب في جاهليته فشرب في حانته (٣). اما ابن بجرة فهو خمّار " من بني عُبيد بن عُويج بن عدي بن كعب من قريش، ولم يسكنوا مكة قط، ولا المدينة قط، وهو الذي عناه أبو ذؤيب الهذلي بقوله :

وَلَوْ أَنَّ مَا عِنْدَ ابْنِ بُجْرَةَ عِنْدَهَا مِنَ الْخَمْرِ لَمْ تَبْلُلْ لَهَاتِي بِنَاطِلِ(٤)

هذا، وقد ساهم اليهود في صنع الخمرة في الطائف وغيرها الى حد بعيد، وفي الشعر الجاهلي إشارات الى صناعة اليهود للخمر بالاضافة الى الاتّجار بها ،

---

(١) - غريب الحديث : ٢: ١٧٧ ، والبيت في ديوان عُبيد بن الأبرص (دار صادر ، ط. بيروت ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨م) :٢١ . وقد وردت الاشارة الى المطبوخ في نهاية الأرب : ٤ : ٨٢ .

(٢) - تطور الخمريات في الشعر العربي :٨١ ، نقلاً عن " الطايف " للامانس :١٤٧ . والبيت في ديوان أبي محجن الثقفي (نشره صلاح الدين المنجد ، ط. بيروت ، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م) : ٥٣ .

(٣) - الكامل في التاريخ لابن الاثير (ط. دار صادر ودار بيروت،بيروت ،١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م) ٣:٤٤٣ .

(٤) - الاغاني : ٦ : ٢٥٤ ، والبيت في شرح أشعار الهذليين ( حققه عبد الستار احمد فراج ومحمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة ،القاهرة ) :١ : ١٤٦ .

ولعل حانة أبي مريم السّلولي في الطائف مثال واضح على ذلك .

تلك هي حال الطائف في صناعة الخمرة من الأعناب كما يُستخلص ذلك من الأخبار والروايات . وباستطاعتنا أن نشير الى أنّ عامة الأماكن التي زرعت الأعناب في الجزيرة سوى الطائف كانت تصنع الأعناب خمراً على غرارها .

ب ـ صناعة الأنبذة وسائر الأشربة :

عرف العرب في جاهليتهم أنواعاً مختلفة من الأشربة ، وكانت خمرة الأعناب أحدها وأحبها إليهم ، كما كانت الوحيدة التي استأثرت بنصيب وافر من الشعر ذكراً ووصفاً . أما سائر الأشربة فلم ترد في الشعر الجاهلي الا نادراً ، ودليلنا على معرفتها كتب الأشربة التي تناولت ما حرّمه الإسلام من اشربة الجاهلية . وأما المواد التي كانت تصنع منها الخمر حين نزل تحريمها فهي ، الى جانب الأعناب ، التمر والعسل والحنطة والشعير والذرة (٢) .

والواقع أنّ الأشربة التي صنعتها العرب في الجاهلية كانت من التمر والحبوب في معظمها . وقد صُنعت الخمرة من الأعناب ـ كما رأينا ـ في الأماكن

---

(١) ـ سنن النسائي : (٧ـ٨) : ٢٩٥ ، وسنن ابن ماجة : ٢ : ١١٢١ .

التي زرعت الكروم ، كما صنعت في أماكن أخرى كانت تستورد الأعناب فتعصرها ، أو الزبيب فتنبذه ، بيد أن ذلك لا ينفي أنّ عامة أشربة العرب وأنبذتهم كانت من التمور في الأساس ، وإن خلطوها بمواد أخرى متنوّعة . وحين نزل تحريم الخمر في الإسلام ، كانت الخمر تصنع من البُسْر والتمر ، وذلك في المدينة على الأقل . وكانت العرب تُسمّي هذا الشراب الفَضيخ أو النَّبيذ . وقد سُئل أنس ابن مالك عن الفَضيخ فقال : " ما كانت لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ "(١)، وقال : "لقد حرّمت الخمر وكانت عامةخمورهم يومئذٍ خليط البسر والتمر "(٢)، و " لقد أنزل الله الاية التي حرّم الله فيها الخمر وما بالمدينة شرابٌ يشرب إلاّ من تمر "(٣) ، و " حرّمت علينا الخمر حين حَرّمت وما نجد - يعني بالمدينة - خمر الأعناب إلاّ قليلاً وعامةخمرنا البُسْر والتَّمْر"(٤).

ولعلّ السبب في قلة صناعتهم لخمر الأعناب في المدينة يرجع الى قلة زراعتهم للأعناب من جهة ، ولكثرة التمور فيها من جهة أخرى . فقد كانت خمرة العنب قليلة في الأمكنة التي لا تزرع الكروم لانها كانت تجيء بها التُّجّر من أمكنة بعيدة ، ولا تصنعها .

والفَضيخ هو " أن يؤخذ العِذْق وهو نصفان بسراً ورطباً فيخرج منه الرطب فيلقى في المِشعل (٥) ، ويؤخذ البُسْر فيُشَدَخ في

---

(١) - صحيح مسلم: ١٣: ١٤٩ ، وسنن النسائي : (٧-٨) : ٢٨٨ .
(٢) - صحيح مسلم : ١٣: ١٥٠ ، وسنن النسائي :(٧-٨) : ٢٨٧.
(٣) - صحيح مسلم : ١٣ : ١٥١ .
(٤) - صحيح البخاري : ١٩ : ١٤١ .
(٥) - المشعل بكسر الميم: شيء يتخذه أهل البادية من آدم يُخرز بعضه الى بعض كالنِّطع ثم يُشَدّ الى أربع قوائم من خشب فيصير كالحوض يُنبذ فيه لأنه ليس لهم حباب . وفي الحديث أنّه شقّ المشاعل يوم خيبر قال : زقاق كانوا ينبذون فيها واحدها مِشعل ومِشعال : ( اللسان/ شعل ) .

المناحيز (١) ، ثم يَطرح مع الرطب لم يُنزع له نوى ولا قمع فيملأ من البسر والرطب والماء " (٢) . أما النبيذ فقد وصفوا صنعه : فقال قوم : " هو ماء الزبيب وماء التمر من قبل أن يغليا فاذا اشتدّ ذلك وصلب فهو خمر .. وقالوا سمي نبيذاً لانهم كانوا يأخذون القبضة من التمر أو الزبيب فينبذونها في السقاء أي يلقونها فيه . وقال آخرون : النبيذ ما اتخذ من الزبيب والتمر وغيرهما من المستخرج بالماء أو ترك حتى يغلي وحتى يسكن ولا يسمى نبيذاً حتى ينتقل عن حالة الاولى كما لا يسمى العصير خمراً حتى ينتقل عن حلاوته ولا تسمى الخمر خلاً حتى تنتقل من مرارتها ونشوتها ، وانما سمي نبيذاً لانه كان يُتخذ ويُنبذ أي يترك ويعرض عنه حتى يبلغ "(٣) . وقد كان الرسول يشرب" الصُلب من نبيذ الجرّ " (٤)، وبعضهم كان يشرب الطلاء ونبيذ الدّن والخوابي (٥).

وكانت العرب تستخدم معظم أنواع الجرار والأواني والظروف المعروفة لديها في الانتباذ ، وكانت تطليها بالزفت والقار والطين حتى يسارع ذلك في إسكار النبيذ فيها ، وقد سمّوا عملية تطيينها الشّياع : " والشّياع : الطين .. سيّعت الحائط ونحوه ، وكذلك الحب والزق "(٦) قال الشاعر :

كَأَنَّهَا فِي سِيَاعِ الدَّنِّ قِنْدِيـدُ

---

(١) ـ المناحيز : جمع منحاز وهو الهاون : المدقّ : ( اللسان/نحز ) .
(٢) ـ المخصص : ١١: ٩٠ .
(٣) ـ ابن قتيبة : كتاب الاشربة ( تحقيق محمد كرد علي ، المجمع العلمي العربي، دمشق ، ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م) : ٢٠ .
(٤) ـ قطب السرور : ٤٦١ .
(٥) ـ المصدر السابق : ٤٦٨ .
(٦) ـ المخصص : ١٠ : ٦٠ .

وتتم عملية السّياع بواسطة المِسْيَعة وهي خشبة مملّسة يطيّن بهـا [(١)].
والتطيين والسياع : الكُمّ أيضاً [(٢)].

ومن الأواني التي استعملتها العرب في صناعة الخمر ، والتي جاء النهي عن استعمالها " لمعنى واحد أن النبيذ يشتدّ فيها حتى يصير مسكراً " [(٣)] :
الحَنْتَم ، والنَّقير ، والدُّبّاء ، والمُزَفَّت ، والمُقَيَّر ، والجرّ الأخضر، ( والجرّ هو كل ما صنع من مَدَر [(٤)] ، والقَرْع ، وكافة الظروف المزفتة ، والمَزادات المَجْبُوبة [(٥)]. أما الحَنْتَم فهي " جرار خضر تضرب الى الحمرة .. وقال أبو عُبيد : هي جرار حمر كانت تُحمل الى المدينة فيها الخمر - وفي النهاية : جرار مدهونة خضر كانت تحمل الخمر فيها الى المدينة ثم اتسع فيها فقيل للخزف كله حنتم واحدتها حَنْتَمة ، وانما نُهي عن الانتباذ فيها لانها تسرع الشدة فيها لاجل دهنها . وقيل : لانها كانت تعمل من طين يُعجن بالدم والشعر ، فنهي عنها ليمتنع من عملها" [(٦)]. والدُّبّاء : " وعاء كان ينتبذ فيه ، فكان النبيذ فيها يغلي سريعاً ويُسكر " [(٧)] ، ولا نعرف من صفتها شيئاً غير هذا . والقَرْع مثل الدُّبّاء في شدة إسكاره للنبيذ [(٨)] ، والمُزَفَّت : " وعاء مُزَفّت وجرة مزفتة مطلية بالزفت ، ويقال لبعض أوعية الخمر : المزفت وهو المُقَيَّر . والمزفت الإنـاء

---

(١) - المخصص : ١٠ : ٦٠.
(٢) - المصدر السابق : ١٠ : ٦٠ .
(٣) - غريب الحديث : ٢ : ١٨٢ ، وانظر قطب السرور : ٤٤٩.
(٤) - صحيح مسلم : ١٣: ١٦٣ ، وسنن النسائي :(٧-٨) :٣٠٤ ، ومسند أحمد بن حنبل : ٢ : ١٠٤ .
(٥) - ذكرت الأوعية التي نهي عن استعمالها في صحيح مسلم : ١٣: ١٥٨ - ١٦٨ ، والبخاري : ١٩ : ١٤٤ ، والنسائي :(٧-٨):٣٠٤-٣٠٨ ، وابن ماجه :٢: ١١٢٧، وسنن أبي داود : ٢ : ٢٩٦ ، والترمذي : ٣ : ١٩٥ .
(٦) - اللسان مادة حنتم .
(٧) و (٨) - سنن النسائي : (٧-٨): ٣٠٥ - ٣٠٩ ، ( واللسان / دبا ) .

الذي طلي بالزفت وهو نوع من القار ثم انتبذ فيه ، والزفت غير القير الذي تقيّر به السفن، انما هو شيء أسود تمتن به الزفاق للخمر والخلّ "(١). والنّقير: " ما نقب من الخشب والحجر ونحوهما ..هو أصل خشبة ينقر فيه فيشتد نبيذه .. قال أبو عبيد : اما النّقير فان أهل اليمامة كانوا ينقرون أصل النخلة ثم يشدخون فيها الرطب والبسر ثم يدعونه حتى يهدر ويموّت . وقال ابن الأثير : النّقير أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر ويلقى عليه الماء فيصير نبيذاً مسكراً .. والنقير النخلة تنقر فيجعل فيها الخمر وتكون عروقها ثابتة في الأرض "(٢). والقُرو : " الجذع من النخلة ينقر فينبذ فيه "(٣) ، والخَرْس : " زعموا جرّة ينتبذون فيها " (٤)، والمِرْكَن : " إناء يتّخذ كالإجانة . وربما سمي القَرو مِرْكَناً . والقرو : أصل نخلة ينقر فيجعل شبيهاً بالتّعار ينتبذ فيه "(٥)، والمركن من خزف (٦)، والتَّوْر : " إناء معروف تذكره العرب من صفر أو حجارة كالإجانة " (٧)، وقد كان ينتبذ للرسول ( ص ) في تَوْر من حجارة (٨).

وقد استعملت العرب كلّ أنواع الجرار والأوعية في الانتباذ ، المطلية منها وغير المطلية كالحُبّ : " وهي الجرّة الضخمة والجمع حباب وحببة "(٩) ،

---

(١) – اللسان / زفت .
(٢) – اللسان / نقر .
(٣) – المخصص : ١١ : ٨٣ .
(٤) – الاشتقاق لابن دريد : ٣٨٨ .
(٥) – الاشتقاق : ٨٧ .
(٦) – فقه اللغة : ١٣٨ .
(٧) – المعرب للجواليقي : ٨٦ .
(٨) – صحيح مسلم : ١٣ : ١٦٦ .
(٩) – المخصص : ١١: ٨٣ ، وفي المعرب للجواليقي : هو "الذي يجعل فيه الماء فارسي معرب . قال أبو حاتم :أصله خُنْب معرب ، ومنه سمي الرجل خُنباً لأنهم كانوا ينتبذون في الأحباب" : ص ١٢٠ .

والمشاعل وهي من الجلود ، والمهراس : حجر أو صخرة منقورة تسع الكثير من المياه [١] . كما استعملت الزقاق والظروف المصنوعة من الجلود ، والاسقية من الادم بدليل تصريح الرسول ( ص ) لها باستعمالها في الانتباذ شرط الا يشتد النبيذ أو يتغيّر طعمه ، وشرط الا يخلطوا مواد النبيذ فتسكر [٢].

والمسكر من الشراب هو " كل ما طلب واشتد وازداد على مر الايام جودة من نبيذ الزبيب المطبوخ ، ونبيذ التمر المطبوخ مفردين وخليطين " [٣] ، والنبيذ " كل ما نبذ في الدبّاء والمزفت فاشتد حتى يسكر كثيره ، وما لم يشتد فليس يسمى نبيذا " [٤] . وقد سمي" المسكر من الشراب مسكرا لانه مدخل في السكر ،والسكر ذهاب العقل " [٥] .

ولقد عمدت العرب الى الخلط بين المواد التي صنعت منها النبيذ،

---

(١) - اللسان / هرس .
(٢) - المصدر السابق : ١٣ : ١٥٨ - ١٥٩ .
(٣) - قطب السرور : ٤٥٥ .
(٤) - المصدر السابق : ٤٤٤ ،والعقد الفريد لابن عبد ربه ( تحقيق أحمد أمين وابراهيم الابياري وعبد السلام هارون ،القاهرة ، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ ) : ٦ : ٣٥٣ .
(٥) - كتاب الاشربة لابن قتيبة : ١٠٠ .

وتفننت في ذلك بغية جعل النبيذ أكثر شدة وإسكارا ، فخلطت بين التمر والبسر. (والبُسْر : التمر قبل أن يرطب لغضاضته ، وواحدته بُسرة )[١] ، وبين البلح والتمر ، ( والبلح في النخل بمنزلة الحِصْرِم في الكَرْم)[٢]، وبين الزبيب والتمر ، (والزبيب جَفيف العنب خاصة )[٣] ، وبين البلح والزهو ، ( والزهو البسر اذا اصفرّ او احمرّ )[٤]، وبين الزَّهْو والرطب ، ( والرطب : الواحدة رطبة وهي البسرة اذا انهضمت فلانت وحَلَتْ )[٥]، كما خلطت بين الزهو والبسر ، وبين البسر والرطب ، وبين البسر والزبيب ، وبين الرطب والزبيب [٦]. والخليطان هو الفضيخ الذي يحتوي على غير نوع عندما ينتبذ كأن يُجمع بين الزبيب والتمر وغيره [٧] . وكانوا يستعملون الثَّجير ، وهو ما بقي من ثفل العنب - فيطرحونه في النبيذ ليشتد [٨].

وأنواع الأنبذة التي تتخذ من التمور عديدة [٩]. فمنها : الفَضيخ ، وهو من البُسر والرُّطب بشكل خاص

وشراب الاطواق : " هو خَلْب النارجبيل ، وهو أخبث من كل شراب وأشده إفسادا للعقل ، وينتبذ من التِّبِن والحَواري خليطين - وهما نوعان

---

(١) - (اللسان/ بسر ) .
(٢) - الدينوري : كتاب النبات : ٥ : ٥٢ .
(٣) - المصدر السابق : ٥ : ٢٠٧ .
(٤) - المصدر السابق : ٥ : ٢٠٤ .
(٥) - المصدر السابق : ٥ : ٢٠٠ .
(٦) - خلط هذه المواد في الأنبذة موجود في : سنن النسائي :(٧-٨) : ٢٨٨- ٢٩٠، وسنن ابن ماجه : ٢ : ١١٢٥ ، والبخاري : ١٩ : ١٤١ - ١٤٣ ، وصحيح مسلم: ١٣ : ١٥٤ - ١٥٨ ، وسنن أبي داود : ٢ : ٢٩٨ .
(٧) - غريب الحديث : ٢ : ١٧٧ .
(٨) - المخصص : ١١ : ٧٣ .
(٩) - أنواع الانبذة من التمور في المخصص : ١١ : ٩٠ - ٩١ .

من التمر " ، " والسَّكَر من التمر والكشوث والأكشوث أيضا فيمرجان سافا وسافا ويصبّ عليه الماء وربما خُلط به الآس فزاده شدة " ، " وإذا حمل على النبيذ عسل أو دبس ليقوى سمي يَشافا " ، و " يسمى نقيع التمر سُكَراً لإسكاره ، ولا يسمّى غيره من النبيذ سُكَرا وإن كان مُسكرا "[1].

وهناك أشربة تتّخذ من العسل والحبوب ، ومنها البِتْع : وهو نبيذ العسل[2]، كان أهل اليمن خاصة يشربونه فهما خمرهم[3] . وهذا أمر طبيعي لا سيّما وأنّ " السّراةُ أكثر أرض العرب عسلاً وعنباً ونبيذاً وزبيباً ورُبّاً ، واليمن كلّها أرض عسل "[4] . ومن مناطق اليمن التي ذكر الهمداني شهرتها بالعسل جبل هِنُوم : " وهو أكثر بلاد الله نحلاً وعسلاً ، ربما كان للرجل خمسون جبحاً وأكثر "[5]، ومنها جُبلان : بلد واسع بين وادي زبيد ووادي رِمَع " كثير العسل "[6]، ومخلاف حراز وهوزن كثير العسل أيضاً [7] وكذلك ذكر الهمداني انّ الشهد الحَضوري العاذيّ الجامد الذي يقطع بالسكاكين من أهمّ منتوجات اليمن [8].

وفي السراة الحجازية اشتهرت جداب بني شبابة وبلاد هذيل بوفرة العسل .

---

(١) ـ العقد الفريد : ٦ : ٣٥٥ ، و ٦ : ٣٦٤ وكتاب الاشربة لابن قتيبة : ٩٨، وقطب السرور : ٤٦٧ .
(٢) ـ صحيح مسلم : ١٣ : ١٧٠ ، والبخاري : ١٩ : ١٤٤ ، والترمذي : ٣ : ١٩٧، والنسائي ( ٧ـ٨ ) : ٢٩٨ .
(٣) ـ قطب السرور : ٤٥٣ .
(٤) ـ الدينوري : كتاب النبات : ٣ : ٢٦٦ .
(٥) ـ صفة جزيرة العرب : ٣١١ .
(٦) ـ المصدر السابق : ٢٠٥ .
(٧) ـ المصدر السابق : ٢٠٩ .
(٨) ـ المصدر السابق : ٣١٦ .

وحداب بني شبابة " من جبال السراة ينزلها بنو شبابة من فهم بن مالك من الازد ، وهذه الحداب وراء شيحاط ،وشيحاط من الطائف ، وحدا بني شبابة اكثر السراة عسلا وأجوده .. وكذلك أخبرني بعض الازد أنّ العسل قرى أضيافهم لكثرته عندهم " (١) . واشتهرت بلاد هذيل الواقعة جنوب مكة في سلسلة السّراة بوفرة العسل حتى لقد غلبت الصور الفنية والتشبيهات المأخوذة من الاري ،وصنع العسل ، وعملية اشتياره ، بالاضافة الى صفاته المتصلة باللون والطعم في ديوان الهذليين على غيرها من الصور الشعرية . وقد أسهب غير شاعر من شعراء هذيل في وصف العسل واشتياره ومزاجه بالخمر (٢) . ومع ذلك فقلّما نعثر على أبيات جاهلية تتطرّق الى ذكر الخمرة من العسل وحده ، الا اننا نعثر على كثير من الابيات التي تصف خمرة الاعناب وهي تمزج بالعسل .

قال أبو ذؤيب الهذلي :

فَأُطْيِبْ بِرَاحِ الشَّامِ وَهْـــدِهِ ... مُعَتَّقَةً صَهْبَاءَ وَهْيَ شِيَابُهَا (٣)

---

(١) - كتاب النبات : ٣ : ٢٦٦ ،ومعجم ما استعجم : ٢ : ٤٢٨ .

(٢) - لهذا الغرض راجع قصائد لابي ذؤيب الهذلي : شرح اشعار الهذليين : ١ : ٤٨-٥٣، و ١ : ١٤٠ - ١٤٧ ، ولساعدة بن جوءية : ٣ : ١١٠٧ ،هذا على سبيل المثال لا الحصر .

(٣) - شرح أشعار الهذليين : ١ :٥٤ وهذه: اي الشهدة من العسل .

ولكن العرب لم تسمّ الشراب المصنوع من العسل خمرا وانما سمته نبيذا وهو البتع بعينه . ويتفق ما جاء من وصف في هذه القصيدة مع تفسير الجاحظ للآية : ﴿ يخرج من بطونها شراب ﴾ حيث قال : " فالعسل ليس بشراب، وانما هو شيء يحوّل بالماء شرابا ، او بالماء نبيذا ، فسماه كما ترى شرابا اذ كان يجيء منه الشراب "(١) .

والى جانب حداب بني شبابة وبلاد هذيل ، اشتهر غزوان من جبال الحجاز بأنه " أمنعها وأكثرها صيدا وعسلا "(٢) . واشتهرت به منازل بني سليم في السوراقيّة والهباءة بين مكة والمدينة .
وكما نلحظ في كتب الفتوح ، وفيما يتصل بمسألة الزكاة أن أهل مكة والطائف كانوا أهل عسل : " فعن عمرو بن شعيب أن عاملا لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على الطائف كتب اليه : انّ

---

(١) - الجاحظ : كتاب الحيوان : ٥ : ٤٢٥ .
(٢) - صفة جزيرة العرب : ٢٨٨ .

أصحاب العسل لا يرفعون اليمين انه كتبوا ... الرسول (ص) ... في كل عشرة زقاق زق .. "(١) . هذا ، ويرى الجاحظ ان في كثرة ذكر العسل في القرآن الكريم دلالة واضحة على وفرته عند العرب ، وحسن تعصيلهم له آنذاك (٢) ، ودليل ذكره في وصف الجنة ، والقرآن قد خاطب ... عند ذكر العسل " أهل تهامة وهذيلاً وضواحي كنانة وهؤلاء أصحاب العسل (٣).

ومن الأشربة المتخذة من العسل (٤) الجعف (٥). والفقد : " ضرب من شراب العسل سمي بنبات يلقى فيه يقال له الفقد ، ويسمى بالفارسية تحكست ، وقيل يتخذ من الزبيب والعسل ، ويقال ان العسل ينبذ ثم يلقى فيه الفقد ، وهو نبت شبه الكشوث " ، والبتع ضرب من شراب العسل ، وقد تقدم أنها الخمر بعينها "(٦).

أما الحبوب فكانت متوافرة في اليمن، وفي شمال الحجاز بشكل اساسي ، ولوفرتها كان من الطبيعي ان يجعل منها العرب مادة للانتباذ اضافة الى الاعناب والزبيب والتمور . فعن الرسول (ص) انه قال : " ان من الحنطة خمرا ، ومن الزبيب خمرا ، ومن التمر خمرا، ومن العسل خمرا "(٧).

---

(١) – البلاذري : كتاب فتوح البلدان : ١: ٦٧ ، و١: ٦٩ .
(٢) – الحيوان : ٥ : ٤٣٠ .
(٣) – المصدر السابق : ٥ : ٤٢٦ .
(٤) – أنواع أشربة العسل في المخصص : ١١: ٩١ .
(٥) – جاء في غريب الحديث : ٢: ١٧٩ : " وقد أخبرني محمد بن كثير ان لأهل اليمن شرابا يقال له الجعف وهو ان يشدخ العنب ثم يلقى في الاوعية حتى يغلي" . وفي المخصص ١١: ٩١ ان الجعف من العسل .
(٦) – المخصص : ١١ : ٩١ .
(٧) – سنن ابن ماجة : ٢ : ١١٢١ .

والمِزْر هو نبيذ الذرة[1] ، وقيل شراب الشعير[2] . ويبدو من الخلاف في تحديد مادته أنّ عرب الحجاز لم تعرف المِزْر - أو على الأقل لم يسموا شراب الذرة أو الشعير مِزْراً على غرار أهل اليمن . فالبتع والمزر قد اختصّ بهما أهل اليمن . وقد روي في الحديث أنّ الرسول ( ص ) بعث أحدهم واليا على اليمن فقال له : " يا رسول الله إنّ بها أشربة فما أشربُ وما أدع ؟ قال : وما هي ؟ قلت : البتع والمزر ، قال : وما البتع والمزر ؟ قلت : أما البتع فنبيذ العسل ، وأما المزر فنبيذ الذرة "[3]. هذا وقد ورد في رواية الحديث ذاته في مكان آخر : " المزر وهو من الذرة والشعير"[4]. وفي المخصص أنّ ما اتخذ من الحنطة فهو المزر ، وما اتّخذ من الشعير فهو الجعة ومن الذرة السُّكُرْكَه والسُّقُرْقَة أعجمي "[5]، وهي الغُبَيْراء : " ضرب من الشراب تتخذه الحبش من الذرة وهي تسكر ويقال لها السكركة . وفي الحديث : " إيّاكم والغُبيراء فانها خمر العالم "[6] . ويدل الحديث على شيوعها في العرب وغيرهم من الشعوب القريبة اليهم كالحبش . وفي كتاب الأشربة : " ولأهل اليمن أيضاً المزر وهو من الشعير "[7]. وفي غريب الحديث : " المزر وهو من الذرة والجعة وهي نبيذ الشعير "[8].

---

(١) - سنن النسائي : (٧-٨): ٢٩٩ .
(٢) - صحيح مسلم : ١٣ : ١٧٠ .
(٣) - سنن النسائي : (٧-٨): ٢٩٩ .
(٤) - صحيح مسلم : ١٣ : ١٧١ .
(٥) - المخصص : ١١: ٩١ .
(٦) - المعرب للجواليقي : ٢٣٦ .
(٧) - ابن قتيبة : الأشربة : ٩٩ .
(٨) - غريب الحديث : ٢ : ١٧٦ .

ومن أنبذة الحبوب المختلفة : الكُشك وهو ماء الشعير[١] ، والكِسيس : وهو شراب يتّخذ من الذرة والشعير ويسميه أهل الحجاز سُكُراً[٢] ، والفُقّاع : شراب يتّخذ من الشعير سمي به لمايعلوه من الزّبد[٣] ، وهو من غير المطبوخ ، كما أنه أشد إسكاراً من الخمر وأصعب خماراً وأبطأ تحلّلاً[٤] . والسُقرقع ، وقد مرّ ، وهو " شراب لأهل الحجاز من الشعير والحبوب وهي حبشيّة وليست من كلام العرب "[٥] . والسَّويق : شراب كانوا يتّخذونه من الخنطة والشعير ، وبه سميت غزوة السّويق[٦] .

ونعرف من المصادر أنّ العرب انتبذت نوعاً واحداً على الأقلّ من النبات هو السُكَب : " وهو شجر طيّب الريح كأن ريحه الخلوق ينبت مستقلاً على عرق واحد ، له زغب وورق مثل ورق الزعتر إلاّ أنّه أشدّ خضرة ينبت في الأودية ويبسه لا ينفع أحداً ، وله جنى يُؤكل ويصنعه أهل الحجاز نبيذاً ، ولا ينبت جناه في عام حبّاً انّما ينبت في أعوام السنين وقيل له نُوّر أبيض ، وقيل أصفر"[٧]. ولا أدري اذا كانت العرب تجعل منه نبيذاً مسكراً أم أنّها كانت تضيفه الى الأنبذة لتطييبها .

---

(١) ـ المخصص : ١١ : ٩١ .
(٢) ـ المصدر السابق : ١١: ٩١ .
(٣) ـ المصدر السابق : ١١ : ٩١ .
(٤) ـ قطب السرور : ٤٤٩ .
(٥) ـ المخصص : ١١ : ٩١ .
(٦) ـ الاغاني :٦ : ٣٣٦ ، " كانت هذه الغزوة بعد وقعة بدر وذلك أن أبا سفيان نذر الاّ يمسّ رأسه من جنابة ولا يشرب خمراً حتى يغزو الرسول . فخرج في عدة من قومه ولم يصنع شيئاً ، فعيّرته قريش بذلك وقالوا : انّما خرجتم تشربون السويق " . وتدل هذه الرواية أنّ السويق لم يكن شراباً مسكراً فقد حرّمه أبو سفيان حتى الثأر .
(٧) ـ اللسان (مادة : سكب ) .

هذه هي أنواع الأشربة من التمور والعسل والحبوب والنبات التي تعاطتها العرب ، وأطلقت عليها كلمة أشربة او أنبذة ، وخصّت خمر الأعناب بلفظ الخمر . ويدلّ هذا التنوّع في المواد التي صنعت منها العرب أشربتها على ولع القوم بالأشربة المسكرة ، وتفنّنهم في صناعتها وتعتيقها ، وإضافة المواد المختلفة إليها إما لزيادة إسكارها او لتطييبها . وكذلك يدل استخدامهم لكافة أنواع الأواني المتاحة ، والظروف الجلدية ، والمشاعل في عملية الانتباذ على شيوع صناعتها في البيوت ، والخيام في البادية وفي الحانات .

هذا و " قد فرّقت العرب بين عصير العنب وغيره من الأشربة ، فسمّوه خمراً دون سائر الأشربة . قال القَلَمّس بن أميّة بن عَوف الكناني :

نَهَاني امْرُؤٌ عَنْ لَذَّتيِ أَنْ أَنَالَها ... فَقُلْتُ دَعِ التَّقْيِيدَ في الشُّرْبِ لِلْخَمْرِ
تَقَفَّتْ لَذَا ذاتي فَلَمْ تَبْقَ لَذَّةٌ ... سِوى شُرْبِهَا صَهْبَاءَ طَيِّبَةَ النَّشْرِ
إذَا مَا حَسَاهَا الْمَرْءُ ظَلَّ مُرَنَّحاً ... بِسَوْرَتِهَا يَهْذِي مِرَاراً وَلاَ يَدْرِي
أُرَوِّي بِهَا نَفْسِي فَتَحْيَا بِشُرْبِهَا ... وَلاَ أَشْتَهِي شُرْبَ النَّبِيذِ مِنَ التَّمْرِ

ففرّق بينها وبين النبيذ "(١) .

قد تكون هذه الأبيات الوحيدة ممّا وصلنا من الشعر الجاهلي التي تعرّضت لذكر نبيذ التمر ، فالعرب قد فضلت خمر الأعناب على غيرها من الأشربة ، وخصّتها بنصيب وافر من الذكر في الشعر وصفاً ومدحاً ، ولكنّ حبّها للأشربة دفعها الى تعاطيها بكل أنواعها وأصنافها ، وبقدر ما توفرّت لديها . وفي حديث الأعشى

---

(١) - قطب السرور : ٤٧٣ .

أنّه كان ببيته بمنفوحة اليمامة ، وكان يطعم الشبّان ويسقيهم الفَضيخ .. فلما ذهب إليه رسول المحلّق بالهدايا ، واشبه الفتيان ، وقالوا : " غبت عنا فاطلت الغيبة ثم أتيناك فلم تُطعمنا لحماً ، وسقيتنا الفَضيخ واللحم والخمر ببابك .. لا نرضى بذلك أبداً "(١) . وهذا دليل على إيثارهم لخمر الأعناب على غيرها من الأشربة الراهنة .

---

(١) ـ الاغاني : ٩ : ١١٣. وكان الاعشى قد مدح المحلق في قصة طويلة .

## تجـــارة الخمـــر في الجزيرة العربيـــــة

كانت الخمرة احدى أهم المواد التي تحملها القوافل خلال العملية التجارية البرية الهامة التي سيطرت عليها قريش نظراً لشدة إقبال العرب على الخمور . والحقّ أنّ الخمور التي حملتها القوافل من البلاد المختلفة كان لها نصيب كبير من الشعر ، وكأنّ رحلتها الطويلة المحفوفة بالمخاطر من مخافة السطو ، ومشقّة السفر في الصحاري والمفازات حتى وصولها سالمة الى أسواقها وأهدافها استأثرت بالوصف شعراً ، وأغرت خيال الشعراء بطريقة مميّزة لم تستطع خمور الطائف أو غيرها من الخمور القريبة المتوفرة أن تضاهيها أو تحلّ محلّها.

وقد كانت التجارة البرّية التي سيطرت عليها قريش بعد عهد طويل من السيطرة اليمنية على التجارة برّاً وبحراً من أهم الأسباب التي ساعدت على شيوع الخمرة عند العرب ، وتعرفهم إلى ضروبها المتعددة من حيث التعتيق والتطييب . ولكن وصول تلك الأنواع من الخمور إليهم من مصادرها البعيدة كان أمراً صعباً نظراً للمفازات الشاسعة المجدبة ، والخوف من إغارات اللصوص وقطّاع الطرق ، وضرورة تأمين مُناخات للقوافل للاستراحة والتزوّد بالمياه . ولهذا لم تصبح التجارة البرية ممكنة إلاّ بفضل العهود وصكوك الأمان من أصحاب المنازل والمرابع التي تمّر بها القوافل ، وكذلك من البلاد البعيدة التي قصدتها العرب في تجاراتها . وهذه العملية هي التي أُطلق عليها اسم الخُفَارة ، وقد شكّلت الغطاء الأمني للنشاط التجاري واستقراره وتنظيمه . وهذا الغطاء قد أمّنه بدءاً أصحاب الإيلاف ، وفيهم نزلت الآيات :

﴿ لإيلافِ قُرَيْش إيلافِهِم رحلةَ الشتاءِ والصيف .. ﴾ (١)

---

(١) - سورة قريش .

وهم أربعة : هاشم وعبد شمس والمطّلب ونَوفَل بنو عبد مناف [1] . وكانت متجر هاشم الى الشام ، وعبد شمس الى الحبشة ، ومتجر المطّلب الى اليمن ، ومتجر نَوْفَل الى العراق ، وكان " كلّ من هؤلاء رئيس من يخرج معه ممن يتّجر في وجهه . وكان أخذلهم الإيلاف من الملوك ومن أشراف القبائل "[2]. وكانت التجارة مع فارس هي العائق الوحيد ضمن تلك الشبكة التجارية الواسعة التي نسجتها قريش في القرن الميلادي السادس ، وهذا ما تولّى أمره فيما بعد غَيْلان بن سَلَمَة الثقفي من الطائف ، وكان قد خرج مع أبي سُفيان في جماعة من قُريش وثَقيف يريدون العراق بتجارة ، فدبّر من ثَمَّ أَمر تجارة قريش مع كسرى في حديث طويل [3] .

واذا كان الأَدم والزبيب والمنسوجات الحجازية من أهم المواد التي حملتها قوافل قريش الى الخارج، فانّ الخمرة - تحديداً - كانت من أهمّ المواد

---

(١) - المحبّر لابن حبيب ( صححته ايلزهليختن شتيتر ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢م) : ١٦٢، وفي المنمق لابن حبيب( صححه خورشيد احمد فارق باشراف محمد عبد المعيد خان : حيدر آباد ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) : ٣١ - ٣٣ : وفي رواية ترجع الى ابن الكلبي:"ان قريشاً كانت تجارا ، وكانت تجاراتهم لا تعدو مكة ، انما يقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ثم يتبايعونها بينهم ، ويبيعون من حولهم من العرب ، فكانت تجارتهم كذلك حتى ركب هاشم بن عبد مناف الى الشام فنزل بقيصر . وكان هاشم فيما زعموا أحسن الناس عصباً وأجمله فذكر لقيصر .. وبلغ ذلك قيصر فدعا به.. فقال له هاشم :أيها الملك إنّ لي قوماً وهم تجار العرب فان رأيت أن تكتب لهم كتاباً تؤمنهم ، وتؤمن تجاراتهم فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه فيكونوا يبيعونه عندكم فهو أرخص عليكم. فكتب له كتابا بأمان من أتى منهم . فأقبل هاشم بذلك الكتاب فجعل كلما مرّ بحيّ من العرب بطريق الشام اخذ من أشرافهم إيلافاً،والايلاف ان يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف وعلى أن قريشاً تحمل لهم بضائع فيكفونهم حملانها ويردّون إليهم رأس مالهم وربحهم".

(٢) - المحبّر لابن حبيب : ١٦٣ .

(٣) - الاغاني : ١٣ : ٢٠٧ - ٢٠٩ .

التي حملتها قريش الى ديارها . قال عمرو بن معديكرب [1] بُعَيد اسلامه :

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْمِلُ الْخَمْرَ مَرَّةً ... تِجَارًا فَأَضْحَتْ تَحْمِلُ السُّمَّ مُنْقَعَا

وهذه الاهمية التي كانت للخمر ، ولرحلتها عبر محطات الخفارة الضرورية هي التي عبّر عنها أبو ذُؤَيب الهُذَلي حين وصف رحلة الخمر من الشام الى أسواق العرب :

تَوَصَّلُ بِالرُّكْبَانِ حِيناً وَتُؤْلِفُ الْجِوَارَ وَيُغْشِيهَا الأَمَانَ رِبَابُهَا [2]

ولأبي ذُؤَيب قصيدتان متميّزتان بوصف رحلة الخمر من الشام الى الأسواق يصف في الأولى الخمرة في القِلال تأتي بها القافلة من أَذْرِعات وبُصْرى وغَزَّة الى عُسْفان ثم الى مُجَنَّة ، ثم إلى ذي المَجَاز ، وأخيرا الى مِنى ، قال [3] :

فَمَا فَضْلَةٌ [4] مِنْ أَذْرِعَاتٍ هَوَتْ بِهَا ... مُذَكَّرَةٌ [5] عَنْسٌ [6] كَهَادِيَةِ الضَّحْلِ [7]
سُلَافَةُ رَاحٍ ضُمِّنَتْهَا إِدَاوَةٌ [8] ... مُقَيَّرَةٌ رِدْفٌ لِمُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ
تَزَوَّدَهَا مِنْ أَهْلِ بُصْرَى وَغَزَّةٍ ... عَلَى جَسْرَةٍ [9] مَرْفُوعَةِ الذَّيْلِ وَالْكِفْلِ
فَوَافَى بِهَا عُسْفَانَ ثُمَّ أَتَى بِهَا ... مُجَنَّةَ تَصْفُو فِي الْقِلَالِ وَلَا تَغْلِي

---

(١) – ديوانه : ١٤٤ .
(٢) – شرح أشعار الهذليين : ١ : ٤٦ .
(٣) – المصدر السابق : ١ : ٩٣ .
(٤) – فضلة : فضلة فضلت من خمر عند تاجرها .
(٥) – مذكرة : ناقة خلقتها خلقة الفحل .
(٦) – عنس : شديدة صلبة .
(٧) – هادية الضحل : صخرة تكون في الماء يمر عليها الماء .
(٨) – اداوة : وعاء للخمر .
(٩) – جسرة : جسيمة .

وَرَاحَ بِهَا مِنْ ذِي الْمَجَازِ عَشِيَّةً ... يُبَادِرُ أُولَى السَّابِقَاتِ إِلَى الْحَبْلِ (١)
فَجِئْنَ وَجَاءَتْ بَيْنَهُنَّ وَإِنَّهُ ... لَيَمْسَحُ ذِفْرَاهَا تَزَغَّمَ كَالْفَحْلِ (٢)
فَجَاءَ بِهَا كَيْمَا يُوَفِّيَ حَجَّهُ ... نَدِيمَ كِرَامٍ غَيْرَ نِكْسٍ وَلَا وَغْلِ (٣)
فَبَاتَ بِجَمْعٍ ثُمَّ تَمَّ إِلَى مِنًى ... فَأَصْبَحَ رَادًا يَبْتَغِي الْمَزْجَ بِالسَّحْلِ (٤)
فَجَاءَ بِمَزْجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ... هُوَ الضَّحْكُ إِلَّا أَنَّهُ عَمَلُ النَّحْلِ (٥)

وفي القصيدة الثانية يسرد قصة رحلة الخمر من الشام الى عُكاظ في ديار ثُقيف . فالخمر تجيء في القوافل من الشام لها راية ليعرفها بها كرام القوم، فتصل عكاظاً أرض ثُقيف ، وتحتار ثقيف في طريقة استبائها ، لأنّهم كانوا في الأشهر الحرم لا يستطيعون ان يغتصبوها دون رضى تاجرها ، وهي غالية الثمن ، واللّافت للنظر في هذه القصيدة أنّ ثقيفاً وهي صاحبة الأعناب والخمر تحتال في استباء هذه الخمر الآتية من أرض بعيدة ، فتغلبها على أمرها ، وتجبرها على دفع النفيس من الثمن : قال (٦) :

---

(١) – يريد يبادر الذين يقفون بعرفة حتى يبيع خمره .
(٢) – ذفراها : ما نتأ في القفا من الاذنين.
(٣) – النكس : الضعيف . الوغل الذي يدخل على القوم يشربون ليس منهم .
(٤) – بات بجمع : يعني المزدلفة ، ثم أتى منى . وراد يريد راشدا .
(٥) – الضحك : هنا شدة بياض العسل .
(٦) – شرح أشعار الهذليين:١:٤٤٠ الراح الخمر . سبيئة أي مشتراة . يقول : لها علم يهدي الناس والعقاب الراية . العقار : التي تعاقر الدن : كماء النيء: أراد انها صافية . الخمطة : التي قد اخذت طعم الادراك ولم تدرك. والخلة : الحامضة . شهابها : نارها وحدّتها . توّصل .. يعني الخمر اذا رأت ركباً ، وانما يريد أهلها ، توّصل بهم من بلد الى بلد . وتوءلف بين الجيران ، يحب بعضهم بعضا . وكانوا اذا ارادوا سفرا ضربوا بالقداح البيض والسود ، فاذا خرجت البيض ساروا نهاراً وان خرجت السود ساروا ليلاً والرّباب القِداح. زيزاء الاشاء : زيزاء : ظهر منقاد غليظ مرتفع من الارض الواحدة زيزاءة . الاشاء : النخيل . تكفت : تقبض .

وَلا الرَّاحَ رَاحَ الشَّامِ جاءتْ سَبِيئةٌ ... لها غايةٌ تهدي الكِرام عِقابُها

عُقارٌ كَماء النِّيءِ لَيْسَتْ بِخَمْطَةٍ ... ولا خلَّةٍ يَكوي الشُّروبَ شِهابُها

تَوصَّلُ بالرُّكبانِ حِيناً وتُؤلِفُ الـ ... جوارَ ويُعشيها الأمانَ رِبابُها

فَما بَرِحتْ في النَّاسِ حتَّى تَبيَّنَتْ ... ثَقيفاً بِزيزاءِ الأشاءِ قِبابُها

فَطافَ بِها أَبْناءُ آلِ مُعتِّبٍ ... وعزَّ عليهم بَيعُها واغتِصابُها

فَلمَّا رَأَوْا أَنْ أَحْكَمَتْهُم وَلَمْ يَكُن ... يَحِلُّ لَهُمْ إكراهُها وغِلابُها

أتَوْها بِرِبْحٍ حاوَلَتْهُ فَأَصْبَحَتْ ... تَكُفُّ قَدْ حَلَّتْ وَساغَ شَرابُها

وأكبر الظّن أن بيع الخمر لم يكن قاصراً على المواضع التي ذكرها أبو ذؤيب في قصيدته ، وإنّما كانت تحمل أيضاً إلى الأسواق الداخلية في جزيرة العرب، وهي ثلاث عشرة سوقاً كانت تقوم تباعاً وعلى مدار السنة تقريباً :" فأولها قياماً سوق دومة الجندل وهي على ثلاث مراحل من دمشق .. ثم محار ثم دبائم الشحر ثم رابية حضرموت ثم ذو المجاز ثم نطاة خيبر ثم المشقر ثم حجر باليمامة ثم منى ثم عكاظ ثم عدن ثم صنعا "(١) . وقد كان التجار يأتون هذه الأسواق فيتبايعون فيها ، ولعل الخمرة التي كانوا يجيئون بها من مصادرها البعيدة من أهم السلع التي توافرت في هذه الأسواق .

وكانت الحانات التي انتشرت في الجزيرة كالطائف والمدينة وغيرها أهم مجال لنشر الخمرة بين العرب بعد الأسواق الجاهلية . وفي هذه الحانات ، كما في الأسواق ، ارتبطت تجارة الخمر بالجواري والقيان اللواتي عملن فيها ساقيات ومغنيات في سبيل إطراب الشرب وتأمين اللهو لهم . وفي الأسواق كان

---

(١) - المرزوقي : الأزمنة والأمكنة ٢ : ١٦١ - ١٦٢ ، والمحبّر : ٢٦٣ .

للخمّارين حوانيت يبيعون فيها الخمر ، كما كان فيها بيوت لمن يمارس البغاء، وكانت لهن رايات يعرفن بها [١].

ولما كانت الخمرة تجارة رابحة بسبب إقبال الناس عليها، واتّصالها بغيرها من اللّذات ، تعدّدت ضروب الناس الذين اتّجروا بها ، ولم تقتصر تجارتها على نوع واحد من التجار . ولعل الربح الوفير الذي كانت تؤمّنه تجارة الخمر كان محطّ إغراء التّجار من عرب وعجم ونصارى ويهود ونبط . وأكثر من يذكرون في الشعر الجاهلي من تجار الخمر هم من اليهود : قال عديّ بن زيد [٢]:

صَانَهَا التَّاجِرُ الْيَهُودِيُّ حولَيـ ـنِ فَأَذْكَى مِنْ نَشْرِهَا التَّعْتِيقُ
ثُمَّ فَضَّ الْخِتَامَ عَنْ حَاجِبِ الدَّ نِّ وَحَانَتْ مِنَ الْيَهُودِيِّ سُوقُ

وفي التجار النبط قال المتنخّل الهذلي [٣] :

يُمشِّي بَيْنَنَا حَانُوتُ خَمْرٍ مِنَ الْخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ القِطَاطِ

وقال حسان بن ثابت [٤]:

لِكُمَيْتٍ كَأَنَّهَا دَمُ جَوْفٍ عُتِّقَتْ مِنْ سُلَافَةِ الأَنْبَاطِ

---

(١) - تاريخ العرب العاربة من القحطانية من كتاب نشوة الطرب في جاهلية العرب لابن سعيد المغربي (تحقيق مانفرد كروب ، رين ، ١٩٧٥): ١: ٥ .
(٢) - ديوانه ( تحقيق محمد جبار المعيبد ، بغداد ، ١٩٦٥م): ٧٧ ، وهناك شواهد أخرى على اتّجار اليهود بالخمر في الشعر منها قول قيس بن الخطيم "نمتها يهود الى قبة" (ديوانه :٨٠)، وقول المرقش الاصغر "سباها رجال من يهود" (المفضليات ١: ٤٩٥ ) ، وقول الأعشى " وصهباء طاف يهوديها" (الصبح المنير : ٢٨).
(٣) - شرح أشعار الهذليين :٣: ١٢٦٨ ; يقول : أعجمياً من نبط الشام يقال لهم الصراصرة .
(٤) - ديوانه : ١: ٩١ .

وفي التجار الاعاجم قال أعشى نهشل :(١)

وَقَدْ ثَوَى نِصْفَ حَولٍ أَشْهُراً جُدُداً ... بِبَابِ أَفَّانَ يَبْتَارُ السَّلالِيمَا
حَتَّى تَنَاوَلَهَا صَهْبَاءَ صَافِيَةً ... يَرْشُو التِّجَارَ عَلَيْهَا وَالتَّرَاجِيمَا

ويشير الأعشى الى التاجر الأعجمي بصفة " أُزَيرق "(٢) .

ولم تكن تجارة الخمر تنحصر بالأسواق والحانات، وانما كان عدد كبير من التجار يجوب منازل العرب وأحياءها ، يحملون معهم الخمر في القلال ، فاذا وصلوا منازل قوم نصبوا غاية لهم فيعرفون بها أنهم تجارخمر . قال عنترة (٣):

رَبِذٍ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا ... هَتَّاكِ غَايَاتِ التِّجَارِ مُلَوَّمِ

وقال لبيد :(٤)

بَلْ أَنْتِ لَا تَدْرِينَ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ ... طَلْقٍ لَذِيذٍ لَهْوُهَا وَنِدَامُهَا
قَدْ بِتُّ سَامِرَهَا وَغَايَةِ تَاجِرٍ ... وَافَيْتُ إِذْ رُفِعَتْ وَعَزَّ مُدَامُهَا
أُغْلِي السِّبَاءَ بِكُلِّ أَدْكَنَ عَاتِقٍ ... أَوْ جَوْنَةٍ قُدِحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهَا

---

(١) - الصبح المنير : ٣٠٧ ، وهو الأسود بن يعفر .
(٢)- الصبح المنير : ٥١ .
(٣) - شرح القصائد العشر الطوال للتبريزي (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م) : ٢٦٩ : الربذ : السريع الضرب بالقداح. هتاك غايات التجار : " الغايات العلامات والرايات ، وأراد التجار الخمارين ، ومعناه انه يأتي الخمارين فيشتري كل ما عندهم من الخمر، فيقلعون راياتهم ويذهبون ، فذلك هتكها " .
(٤) - ديوانه : ٣١٣ - ٣١٤ .

وكان عدد كبير من هؤلاء التجار يختصّ بسيّد من سادة العرب فينزل عنده دائماً، ويظلّ حتى ينفد ما معه من خمر (١) .

اما مصادر الخمور فهي متشعبة ومتنوعة كتشعّب الشبكة التجارية التي أقامتها قريش مع العالم المحيط بها . ولم تنحصر تجارة الخمر بالقوافل البرية وحدها . ففي الشعر الجاهلي ما يلمح الى أنّ الخمرة كانت تأتي بها السفن من أمكنة بعيدة ولم تقتصر تجارتها على وسائل التجارة البرّية من قوافل كبيرة ، وتجار فرديين يتنقلون بين المدن ومنازل العرب ، قال لبيد : " عُتّيقَ سُلافَاتٍ سَبَتْهَا سَفينَةٌ "(٢).

ومن أهمّ الخمور - بحسب مصادرها - الشامية، والعراقية ، والفارسية ، والفلسطينية ، وغيرها ، فمن الخمور الشامية خمور أذرعات والأنْدَرين وبُصرى والبقاعية وبنات مُشَيّع وبيت رأس وجُدَر وصَرْخَد ومَآب ومُقَدّ . ومن الخمور العراقية خمر بابل ، وبانقيا والخُص ، والطليفية وصريفون . ومن الخمور الفلسطينية : خمر بَيْسان والفلسطية وخمر لُدّ . ومن الخمور الفارسية : خمر خُسْرَوشاه والفارسية وجيلان . ومن خمور حوض الفرات : خمر الحيرة وخمر عانة(٣) .

وكانت أثمان الخمور مرتفعة اذا ما قيست بغيرها من السلع . وعلى الرغم من أنّ المصادر لم تأتِ على ذكر أثمان محدّدة للخمر في الجاهلية ، إلاّ أننا نستطيع ان نستنتج من الشعر والروايات أنّ غلاء الخمور المستوردة بالنسبة لغيرها من السلع كان امراً مؤكداً، ومن المؤكد أيضاً أنّ العرب افتخرت باستباء الخمر على غلائها وعزّتها ، وذلك إمّا بدفع ثمنها نقداً ، او بمقايضتها بأفضل النياق ، والبعران على ما لها من أهمية في حياة العرب في الجاهلية . وقد وردت مقايضة

---

(١)- الاغاني : ١٤ : ٧١ .
(٢) - شرح ديوان لبيد : ٢٥٨ .
(٣) - اسماء الخمر بحسب مصادرها وصفاتها مشروحة في ملحق خاص في آخر الرسالة مع شواهد من الشعر الجاهلي .

الخمرة بالبعير والناقة كثيرا في الشعر الجاهلي .

قال طرفة :

| | |
|---|---|
| لا تعز الخمر إن طافوا بهـا | بسباء الشول والكوم البكـر[1] |

وقال النمر بن تولب :[2]

| | |
|---|---|
| قامت تبكي ان سبأت لفتيـة | زقا وخابية بعود مقطـع |
| لا تجزعي إن منفسا أهلكتـه | وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعـي |

وقال خفاف بن ندبة :[3]

| | |
|---|---|
| لبانت تضرب الامثال عنـدي | على ناب شربت بها وبكـر |

وقال عمرو بن قميئة [4] :

| | |
|---|---|
| يا رب من اسفاه احلامـه | أن قيل يوما ان عمرا سكـور |
| ان أك مسكيرا فلا أشـرب | وغلا ولا يسلم مني البعيـر |

وفي الروايات أن أربعة من الشعراء هم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم والمخبل السعدي وعبدة بن الطبيب اجتمعوا قبل ان يسلموا وبعد مبعث النبـي "فنحروا جزورا واشتروا خمرا ببعير" ، ثم تحاكموا الى اول من يطلع عليهـم في جودة شعرهم [5].

---

(١) - ديوان طرفة بن العبد ( تحقيق ماكس سلغسون ، شالون ، باريس ، ١٩٠٠ م) :٥٩.
الشول : الشائلة، والكوم : العظيمة السنام ، والبكر المبكرة باللقاح .

(٢) - ديوانه : ٧١ .

(٣) - ديوان خفاف بن ندبة (حققه نوري القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٧): ٥٠ .

(٤) - ديوان عمرو بن قميئة (تحقيق خليل ابراهيم العطية ، بغداد، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م): ١٢٤.

(٥) - الاغاني : ١٣:١٩٨ .

وقد كانت العرب تقايض الخمرة بسلع أخرى عندما ترتاد الأسواق في تجارة . وفي الروايات أخبار طريفة حول هذه المقايضات ولكن المعوّل عليها قليل اذ غالباً ما تساق في سبيل الإمتاع لا أكثر ، ولكنّ ذلك لا يمنعنا من الاستنتاجات العامة ، ومنها أنّ أعرابياً اشترى خمراً بجزّة صوف [1] . ومنها أنّ رجلاً " من بني جُشم بعث امرأته - واسمها عبلة بنت عبيد بن خالد .. الى عكاظ بانحاء سمن تبيعها له فيها ، فباعت السمن وراحلتين وشربت بثمنها الخمر ، فلما نفد الثمن رهنت ابن أخيه وهربت " [2] . وهذه الرواية - على غرابتها - دليل على غلاء الخمر في الجاهلية إذ كيف يمكن لامرأة ان تشرب هذا المقدار من الخمر الا ان تكون السلع التي قايضت بها زهيدة الثمن بالنسبة للخمر .

وقد ذكر غير شاعر غلاء الخمر في شعره ، وفخره باستبائها على غلائها ، وبذله المال في سبيل الحصول عليها بغير مساومة مع تاجرها ، قال مالك بن أبي كعب :[3]

بَعَثْتُ إلَى حَانُوتِهَا فَاسْتَبَأْتُهَا ... بِغَيْرِ مِكَاسٍ فِي السَّوَامِ وَلَا غَصْبِ

وقال عَبيد بن الأبرص [4]:

نُغْلِي السِّبَاءَ بِكُلِّ عَا ... تِقَةٍ شَمُولٍ مَا صَحَوْنَا
وتُهِينُ فِي لَذَّاتِهَا ... عُظْمَ التِّلَادِ إذا انْتَشَيْنَا

---

(١) - الامالي للقالي ( دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٦ م ) : ١: ١٥٠ .
(٢) - اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ( ط. دمشق ، ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧م ) : ٢٩٠ ، ولم يذكر مصادره .
(٣) - الاغاني : ١٦ : ١٧٥ .
(٤) - ديوانه : ١٤٣ . والعاتقة : الزق الواسع .

وقال لبيد (١) :

| | |
|---|---|
| وَأَرْبَحَ التَّجْرَ إِنْ عَزَّتْ فِضَالُهُمُ | حَتَّى يَعُودَ سلَيْمَى حَوْلَهُ نَفَـــرُ |

وقال (٢) :

| | |
|---|---|
| أُغْلِي السِّبَاءَ بِكُلِّ أَدْكَنَ عَاتِقٍ | أَوْ جَوْنَةٍ قُدِحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهَـــا |

ومن الشعراء من ذكر النقد صراحة في ثمن الخمر ، ولكنه لم يحدّد ثمنها :
قال خفاف بن ندبة .(٣)

| | |
|---|---|
| أَلا تِلْكَ عِرْسِي إِذَا أَمْعَــرَتْ | أَسَاءَتْ مَلامَتَنَا وَالإِمَـــارَا |
| وَقَالَتْ أَرَى المَالَ أَهْلَكْتَــهُ | وَأَحْسَبُهُ لَوْ تَرَاهُ مُعَـــارَا |
| وَيَمْنَعُ مِنْهَا نَمَاءَ الإِفَـــالِ | نَسِيءُ القِدَاحِ وَنَقْدِي التِّجَارَا |

وقال عنترة .(٤)

| | |
|---|---|
| وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ المُدَامَةِ بَعْدَمَا | رَكَدَ الهَوَاجِرُ بِالمَشُوفِ المُعْلَمِ |
| بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسِــرَّةٍ | قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ فِي الشِّمَالِ مُفَـدَّمِ |

وللاعشى قصيدة يروي فيها قصة شرائه للخمر والثمن الذي دفعه فيهـــا ومنها :

---

(١) - ديوانه : ٦٥ . وحوله نفر اي حول الزق شرب .
(٢) - ديوان لبيد : ٣١٤ . الادكن : الزق الاغبر . العاتق قيل هو الذي لـم يفتح . الجونة الخابية المطلية بالقار.
(٣) - ديوانه : ٧٧ . النماء : الزيادة . الإفال : صغار الابل .
(٤) - شرح القصائد العشر الطوال للتبريزي : ٢٥٨ . والمشوف : الدينار او الدرهم. المعلم : الذي فيه كتابة .

وَأَبْيَضَ مُخْتَلِطٍ بِالكِرَامِ لَا يَتَغَطَّى لِإِنْفَادِهَا
أَتَانِي يُؤَامِرُنِي فِي الشَّمُولِ لَيْلاً فَقُلْتُ لَهُ غَادِهَا
أَرِحْنَا نُبَاكِرْ جِدَّ الصَّبُوحِ قَبْلَ النُّفُوسِ وَحُسَّادِهَا
فَقُمْنَا وَلَمَّا يَصِحْ دِيكُنَا إِلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَّادِهَا
تَنَخَّلَهَا مِنْ بِكَارِ القِطَافِ أُزَيْرِقُ آمِنُ إِكْسَادِهَا
فَقُلْنَا لَهُ هَذِهِ هَاتِهَا بِأَدْمَاءَ فِي حَبْلِ مُقْتَادِهَا
فَقَالَ تَزِيدُونَنِي تِسْعَةً وَلَيْسَتْ بِعَدْلٍ لِأَنْدَادِهَا
فَقُلْتُ لِمُنْصِفِنَا أَعْطِهِ فَلَمَّا رَأَى حَضْرَ شُهَّادِهَا
أَضَاءَ مِظَلَّتَهُ بِالسِّرَاجِ وَاللَّيْلُ غَامِرُ جُدَّادِهَا
دَرَاهِمُنَا كُلُّهَا جَيِّدٌ فَلَا تَحْبِسَنَّا بِتَنْقَادِهَا
فَقَامَ فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةً تُسَكِّنُنَا بَعْدَ إِرْعَادِهَا (١)

في هذه القصيدة وصف لعملية شراء الخمر من تاجرها دون مساومة . وفيها إشارات الى غلائها وعزّتها . فهي في "جونة عند حدّادها " أي حارسها ، وقد تخيرها صاحبها وهو يعلم انها لن تكسد لجودتها . فاشتراها الأعشى وأصحابه بناقة بيضاء، ولكن التاجر لم يرضَ بذلك، فطلب تسعة دراهم بالاضافة الى الناقة ، فلما أعطوه المال أضاء سراجه وجعل يفحص المال للتأكد من عدم زيفه .

ولا ادري فيما اذا كانت أثمان الخمور تختلف من مدينة إلى اخرى . ولكنّنا نعلم انّ الزق الواحد من الخمر كان يُباع في حانات الحيرة مثلاً بعشرين درهماً جياداً (٢) .

---

(١) - الصبح المنير في شعر أبي بصير : ٥١ .
(٢) - الاغاني : ١٦ : ٤٥ .

نستنتج من خلال الأمثلة المتقدّمة أنّ الخمرة كانت غالية الثمن اذا ما قورنت بغيرها من السلع التجارية في الجاهلية . ولا نعلم على وجه التحديد ما كان سبب غلائها : أهي النفقات الكثيرة التي تستلزم نقلها من أمكنة بعيدة إضافة الى دفع الخفارة والحراسة لايصالها سالمة الىأهدافها في الجزيرة ، أم جودة صنعها وتعتيقها وتطييبها بالمواد الغالية كالمسك وغيره ، أم كثرة الطلب عليها مع قلة العرض نظراً للزمن الذي تستغرقه القوافل في كل رحلة ، فينفد المذخر منها قبل ورود قافلة أخرى .

# الفصل الثاني

## الخمر والحياة الاجتماعية والدينية

## أوقات شرب الخمر ومجالاتها :

كانت زراعة العرب لما تستخرج منه الخمر في الجاهلية ، وصناعتهم لها واستباؤهم إيّاها من مصادرها البعيدة ضمن عملية التجارة من العوامل التي أدّت الى توفرّها بينهم ، مما جعلهم يولعون بشربها في معظم الأوقات . وكانوا يسمّون شراب الصباح : الصَّبُوح[1] وشرب العشي : الغَبُوق ، وشرب السحر الجَاشِرِيَّة[2] ، وشرب منتصف النهار القَيْل[3]، وشرب ظلمة آخر الليل التَّغْليس[4] ، وشرب النهار بأكمله : التَّمَهُّق[5] .

وأوقات الشراب على هذا النحو تدلّ على مدى إقبالهم على الخمر ، فقد كان من دواعي الفخر عندهم أن يبدأوا مجالس الندام من الفجر إلى الليل ، فلا يعافون الخمر حتى يكاد طعمها يصبح غير مستساغ :

وَأَغْيَدَ لَا نِكْسٍ وَلَا وَاهِنِ القُوَى ... سُقَيْتُ إِذَا أُولَى العَصَافِيرِ صَرَّتِ
رَدَدْتُ عَلَيْهِ الكَأسَ وَهْيَ لَذِيذَةٌ ... إِلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَلَّهَا وَأَمَرَّتِ[6]

إلا انهم قد فضّلوا الصَّبوح على غيره من أوقات الشراب ، وشاهدنا على ذلك أنّ الشعراء أكثروا من ذكر الصَّبوح دون غيره من أوقات

---

(١) - قطب السرور : ٣٢٧ ، " وسمّي صُبُوحاً بطلوع الصّبح ، وكلّ شرب في أوّل النهار قبل انتصافه فهو صَبوح " .

(٢) - قطب السرور : ٣٢٤ . " من جشر الصّبح أي انفلق وطلع " .

(٣) - الأزمنة والامكنة : ٢ : ٧٣ .

(٤) - قطب السرور : ٣٢٤ .

(٥) - الازمنة والامكنة : ٢ : ٦٩ .

(٦) - البيتان للحطيئة ، ديوانه ( تحقيق نعمان أمين طه ، القاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨م) : ٣٤٤ .

الشراب (١) . " ليسبقوا من يعذلهم قبل أن يعدو عليهم لان من شأن العاذل ان يعدو على من يريد عذله علىما فعل في أمسه لان ذلك في وقت صحوه وافاقته من سكره ، فيعظه عن معاودة مثله ويقرعه بزلة ان كانت منه في سكره ، فاستعملوا مسابقة عذالهم بمباكرة صبوحهم في الجاهلية والاسلام"(٢). يبدو أن تفضيل الصبوح على غيره إنما كان مرتبطاً بأسباب أخرى ، ففي أخبار قس بن ساعدة ان قيصر ملك الروم سأله عن أصلح أوقات الشراب ، فقال : " أول النهار ، ألا ترى الدواء يبكر به ، والمسافر يدلج لحاجته ، لأن العقول أول النهار أذكى والفطن أصح "(٣). وهذا التعميم لا بدّ وأن يفسح في المجال لبعض الاستثناءات التي تنبثق عن الذوق الشخصي ، فبعضهم يرى أن الخمر تورث الكآبة والهموم وخبث النفس ان هي شُربت في الضحى ، واللذة وطيب النفس إذا ما شُربت في العشيات(٤).

وقد شرب العرب الخمر في مختلف أوقات حياتهم : في أيامهم وحروبهم ، وفي أفراحهم وأعراسهم ، وفي أوقات لهوهم : فترافقت مع الميسر في المجالس ، ورحلات الصيد في الرياض والواحات . وفي أخبار امرئ القيس أنه بعدما طرده أبوه " كان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ العرب من طيّئ وكلب وبكر

---

(١) - ديوان طرفة بن العبد : ٢٨ ، وديوان عمرو بن قميئة : ١٢٤ - ١٢٧ ، وديوان امرئ القيس ( تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦م-١٣٧٩هـ) :٢٣٩ ، ١١٠ ، وديوان الحادرة ( تحقيق ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) : وديوان عدي بن زيد : ٧٦ . والامثلة على هذا كثيرة .

(٢) - قطب السرور : ٣٢٧ ، والمعنى نفسه في سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي ( هذبه ابن منظور ، حققه احسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) :٥٧ . وهو محض استنتاج من الشعر الجاهلي .

(٣) - قطب السرور : ٣٢٥ .

(٤) - الأعشى في الصّبح المنير : ٦١ .

ابن وائل ،فاذا صادف غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم ،وخرج الى الصيد فتصيّد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه . ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ،ثم ينتقل عنه الى غيره "(١) ،وفي بعض قصائده سجل لمثل هذه الرحلات (٢) .

وكانت مجالس الندام والطعام والميسر تقام في البيوت والخيام في الصحراء، وكان من دواعي الفخر أن يُضيف الرجل الطارقين والأصدقاء على حدّ سواء فيطبخ لهم الطعام ويقدّم لهم الخمر . ويصف الحادرة (٣) مجلساً من هذا النوع أقامه في الكُنيف ،والكنيف حظيرة من خشب أو شجر تتّخذ للإبل لتقيها البرد والريح .

وكان للخمر كذلك حظ كبير في أسفار العرب وتنقّلاتهم . فقد حملوها معهم ضمن زاد المسافر (٤) لتكون لهم عوناً على مشقّة السفر في حرّ الصحراء .

على أنّهم لم يكتفوا بشرب الخمر في ديارهم ،فقد كانوا يقصدون الخمّارات والحانات في مناطق بعيدة اشتهرت بالخمور الجيّدة وبجمال الطبيعة . وقد ذكرت الشعراء الشرب في الريف ومدحته . وفي الشعر ذكر لأمكنة جميلة كان يقصدها القوم ويشربون فيها كالشام والعراق واليمن وعلى ضفاف الفرات وبردى (٥).ويتّضح

---

(١) – الاغاني : ٩ : ٨٦.

(٢) – ديوان امرئ القيس : ٢٥١ ،٢٦٣ .

(٣) – ديوان المفضليات : ١ : ٥٩ – ٦٠ .

(٤) – قال حسان بن ثابت : ١ : ٣١٠ :

فَعَجَّتْ وَأَلْقَتْ لِلْجِرَانِ رَجِيلَةً ... لأَنْظُرَ مَا زَادُ الْكَرِيمِ الْمُسَافِرِ
إِذَا فَضْلَةٌ مِنْ بَطْنِ زِقٍّ وَنُطْفَةٌ ... وَقَعْبٌ صَغِيرٌ فَوْقَ عَوْجَاءَ ضَامِرِ
فَقُمْتُ بِكَأْسٍ قَهْوَةٍ فَشَنَنْتُهَا ... بِذِي رَوْنَقٍ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ فَاتِرِ

(٥) – لهذا الشأن راجع مثلاً ديوان حسان بن ثابت :١: ٧٤ ،والأعشى : الصبح المنير: ١٥ ، ٦١ ،وأبا ذؤيب في شرح أشعار الهذليين:١: ١٦٧،وديوان امرئ القيس: ٣١ .

لنا من الشعر أنّ أهل الجزيرة كانوا يلتمسون الارياف والاماكن الخصبة هربا من قحط الحجاز ،وتنعماً بالمناخ البارد وبالطبيعة الجميلة . قال حسّان(١):

لَسْنَا بِحِمْصٍ وَلَا رِيْمٍ وَلَا صُوَرِي ... لَكِنْ بِمَرْجٍ مِنَ الجَوْلانِ مَغْرُوسِ
يُغْدَى عَلَيْنَا بِإِبْرِيقٍ وَمُشْمَعَةٍ ... إِنَّ الحِجَازَ رَضِيعُ الجُوعِ وَالبُوسِ
بِتْنَا بِدَارَةِ جَوَّاثا يُفَزِّعُنَا ... صَوْتُ الدَّجَاجِ وَأَصْوَاتُ النَّوَاقِيسِ

وفي مثل هذه الأماكن اقيمت الأديرة . وكان كثير من العرب يلتمسها من أجل الخمر والطرب واللهو والتسلية . ومن هذه الأديرة ما كان في الجزيرةالفراتية كدير علقمة(٢) ودير حنظلة(٣) ،ومنها ما كان خارجها . هذا وقد كان العرب ينزلون هذه الأديرة فيشربون فيها الخمر ويسمعون القيان .

أما الحانات وأمكنة بيع الخمور ، فقد كان ارتيادها أمرا شائعا بين عرب الجاهلية إذ كانت جامعة لمختلف ضروب اللهو .وقد كثرت هذه الحانات في الحواضر كمكة والطائف ويثرب والحيرة وغيرها .كما كثر ذكرها في الشعر

---

(١) - ديوان حسان بن ثابت :١: ٤٢٦ ريمة : قرية بوادي نخلة من أرض مكة . والجولان قرب دمشق .
(٢) - دير علقمة :" بناه علقمة بن عدي اللخمي .. كان متنزها لأمراء الحيرة يأكلون عنده ويشربون ،وكثيراً ما تنزه فيه أمراء الحيرة" - قطب السرور:٥ وفيه يقول عدي بن زيد : ديوانه : ١٦٦:
" نادَمْتُ فِي الدَّيْرِ بَنِي عَلْقَمَا ... عَاطَيْتُهُمْ مَشْمُولَةً عَنْدَمَا "
(٣) - دير حنظلة : " نسب الى رجل من طيّء يقال له حنظلة بن أبي عفراء احد بني حية رهط أبي زبيد الطائي . وكان حنظلة من شعراء الجاهلية فتنصّر وفارق بلاد قومه ،وباع كل ما كان له وبنى هذا الدير ،وأقام به مترهباً حتى مات وهذا الدير في أحسن مكان من الجزيرة وأكثره مياهاً وشجراً ورياضاً وزهراً وهو موصوف بالحسن والطيب " - قطب السرور : ٣ .

الجاهلي (١) إشارةً ووصفاً . وكان تحلّق الندامى حول بيت التاجر أو الحانة ، وصياحهم لهفة لشرب الخمر من المشاهد التي استعيرت في التشبيهات التوضيحية (٢).

وقد وصفت هذه الحانات باسهاب في الشعر : واختلفت أسباب الراحة والرفاهية فيها باختلاف روّادها ومنزلتهم الاجتماعية : فالحانوت بيت " يفوح المسك من حجراته " (٣) تارة ،والحوانيت هي " بيوت الرخام "(٤) تارة أخرى ،أو هي كعبات مربّعة الشّكل،فيها الفرش المزينة بالنقوش ،تضيئها سُرُج وفيها دنّ مقطوع الرأس وأكواب كالجرار التي لا عروة لها ..(٥) وهي أحياناً مترفة الى حدّ بعيد حيث تزدان بالرياحين وأنواع الأزهار الفارسية مستعيرة طريقة الفرس في الشراب ، وطريقتهم في الطرب (٦). وهي في أحيان أخرى تُصنع من الجلود والدّنان

---

(١) - ذكر الشعراء زيارتهم للحانوت مع الندامى في الفجر لشرب الخمر،وليقضوا " اللذاذةَ من لهو واسماع " - حسان بن ثابت :١: ٣٠٢،والصبح المنير: ٤٤٥ وراجع كذلك ديوان عبيد بن الأبرص : ٣٧ ،وديوان المفضليات :١ : ٢٦٨ ، و ١: ٨١٢ .

(٢) - قال عمرو بن معديكرب في ذلك : ديوانه : ١٠٦:

وَلَوْ جِئْنَ يَحْمِلْنَ الحَديدَ بِنَا مَعًا ... أَلَا يَا لَعَمْرٍو بَعْدَهَا لَشُوَارِ
لَصَاحَتْ تُنَادي الهَامُ مِنْهُمْ بِأَرْضِنَا ... صِيَاحَ النَّدَامَى حَوْلَ بَيْتِ تِجَارِ

(٣) - عبيد بن الأبرص : ٣٧ .

(٤) - ديوان حسان بن ثابت : ١ : ١٠٦ .

(٥) - راجع عبدة بن الطبيب . ديوان المفضليات :١: ٢٦٨ - ٢٩٤ .

(٦) - الأعشى : الصبح المنير:٢٠٠ : ومن الرياحين الفارسية : الجُلّسان والبنفسج والياسمين والسوسن والآس وخيري والنرجس وشاهسفرم والمرزجوش وسيسنبر وغيرها وهي رياحين على صفات وردت في قصيدة الأعشى في وصف الحانة .

المسكورة [١]. وفيها يحتل الساقي مكانة كبيرة فهو لولب الحركة ومقدم الشراب للندامى . ويشترط في الساقي أن يكون نشيطا خفيف الحركة ، مؤدبا . وفي وصف لبيد [٢] للساقي إشارة إلى لباقته وشمائله الحلوة وتحيته للشرب عندما يسقيهم :

جَميلُ الأَسَى فيمَا أَتَى الدَّهرُ دُونَهُ ... كَريمُ الثَّنا حلوُ الشَّمائِلِ مُعجِبُ

تَراهُ رَخِيَّ البَالِ إنْ تَلقَ تَلقَهُ ... كَريماً وَمَا يَذهَبْ بهِ الدَّهرُ يَذهَبُ

يُثَنِّي ثَنَاءً مِنْ كَريمٍ وَقَولُهُ ... أَلا انعَمْ عَلَى حُسنِ التَّحِيَّةِ واشرَبِ

وكان من عادة الساقي أن يشدّ الفدام [٣] على فيه إذا أراد أن يسقي القوم حتى لا يخرج من فيه شيء فيصل إلى القدح :

يطُوفُ بِهَا سَاقٍ عَلَيْنَا مُتَوَّمٌ ... خَفِيفٌ ذَفِيفٌ مَا يَزالُ مُفَدَّمَا [٤]

وغالبا ما كان الساقي أعجميا مُتَوَّما بأقراط في أذنيه .

أما الأواني المستخدمة في الشراب فهي الدّنّ والزّق والساب :

" وهو الزق وكان المخصوص بهذا الاسم زق الخمر " [٥] ، والكأس والغُمَر : " وهو

---

(١) - ديوان عدي بن زيد : ٧٠ :

بَيْتُ جُلُوفٍ بَارِدٌ ظِلُّهُ ... فيهِ ظِبَاءٌ وَدَوَاخِيلُ خُوص

الجلوف : الدنان الفارغة ، الظباء الأباريق الضخام . الدواخيل ، جمع دوخلة : سفيفة تنسج من خوص .

(٢) - شرح ديوان لبيد : ٧ .

(٣) - الفدام : خرقة يشدها الغلام على فيه إذا أراد أن يسقي القوم - المفضليات : ١ : ٨١٤ :

ظَلَّتْ تَرَقْرَقُ فِي النَّاجُودِ يُصَفِّقُهَا ... وَلِيدُ أَعْجَمَ بِالكَتَّانِ مَفْدُومُ

البيت لعلقمة بن عبدة : المفضليات :١: ٨١٥ .

(٤) - الصبح المنير : ٢٠٠ ، والبيت للأعشى .

(٥) - الاشتقاق : ٨٨ .

القدح الصغير والنَّاطِل : القدح الصغير الذي يرى فيه الخمّار النموذج "(١) ، والقَمعة ،والقَاقُزّة(٢) ،والإبريق ،والاسكرجة ،والراقود : " إناء من آنيــــة الشراب ،أعجمي معرب : وهو دنّ كهيئة اردبّة يُسيّع باطنه بالقار وجمعــــه الرواقيد "(٣) ،والباطية : إناء واسع الأعلى ضيّق الأسفل (٤) ،والتامورة (٥) أو الناموره ،والصحن والمصحاة (٦)،والطرجهارة (٧) وهي الفنجانه ،والرَّوْسم : " فارسي معرّب وقيل روشم وهو الرسم الذي تختم به الدّنان "(٨).

هذا ،وقد كان من لوازم اللهو في الحانات الاستماع الى غناء القيــــان خلال الشرب . وقد ارتبط شرب الخمر بالغناء في الحانات والمجالس ارتباطاً وثيقــاً حتى صار ملازماً له في غالب الأحيان . وكثيراً ما كان الرجل يصحب معه جواريــــه وقيانه في رحلات الصيد والتنزه (٩) . وكانت القيان يستعملن معظم الأدوات الموسيقية

---

(١) ـ فقه اللغة : ١٩ .
(٢) ـ القاقزة ذكرها الأعشى : الصبح المنير : ٢١٤ :

وَذُو تُومَتَيْنِ وَقَاقُزَّةٍ يعُلُّ وَيُسْرِعُ تَكْرَارَهَـــا

(٣) ـ المعرب : ١٦٠ .
(٤) ـ المعرب : ٨٣ .
(٥) ـ التامورة ذكرها الأعشى : الصبح المنير : ١٧٧ :

وإِذَا لَهَا تَامُورَةٌ مَرْفُوعةٌ لِشَرَابِهَــــــا
وَنَظَلُّ تَجْرِي بَيْنَنَا وَمُقَــدَّمٌ يُسْقِي بِهَــــا

(٦) ـ ذكرها الأعشى : الصبح المنير : ١٩٩ :

وَلَقَدْ شَهِدْتُ التَّاجِرَ الأَمَّانَ مَوْرُوداً شَرَابُـــهُ
بالصَّحْنِ وَالْمِصْحَاةِ والإِبْرِيقِ يَحْجُبُهَا عِلَابُـــهْ

والصحن والمصحاة : صحفة من الفضة .والعلاب جمع علبة : أقداح من خشب .
(٧)ـ الطرجهارة :ذكرها الأعشى:١١٣ : وَلَقَدْ شَرِبْتُ الرَّاحَ أَسْقَى في إِناءِ الطَّرْجَهَارَهْ .
(٨) ـ المعرب : ١٦٠ .
(٩) ـ أخبار امرىء القيس : الأغاني : ٩ : ٨٦ .

المعروفة حينئذٍ كالصَّنْج[١] والوَنّ[٢] والبَرْبط[٣] والمزْهَر والطنبور والدفوف قال الاعشى :

| | |
|---|---|
| وَمُسْتَق سينين وَوَنّ وَبَرْبَط | يُجاوبه صَنْج اذا ما تَرَنَّما[٤] |
| وَطَنابيرُ حِسانٍ صَوْتُهُـا | عِنْدَ صَنْجٍ كلَّما مُسَّ أرَنّ |
| وَإذا المُسْمِعُ أفْنَى صَوْتَهُ | عزفَ الصَّنْجُ فَنادَى صَوْتَ وَنّ |
| وَإذا ما غُضَّ مِنْ صَوْتَيْهِما | وأطاعَ اللحْنَ غنّانا مُغَنّ[٥] |

وَوَصفت القيان بالجمال وحسن الصوت وطيب الرائحة والتدلل للندامى :

| | |
|---|---|
| وَرادعَةٍ بالمِسْكِ صَفْراءَ عِنْدَنا | لِجَسّ النَّدامى في يَدِ الدِّرْعِ مُفْتَقُ |
| إذا قُلْتُ غَنِّي الشَّرْبَ قامَتْ بِمِزْهَرٍ | يَكادُ إذا دارَتْ لَهُ الكَفُّ يَنطِقُ[٦] |

وكانت للخمور التي فضلها العرب أوصاف كثيرة من حيث التعتيق واللون والطعم والجودة، وقد اشترطوا في تعتيقها قدم عهدها وحسن تطيين أوانيها مما يساعد على جودتها وشدة إسكارها :

| | |
|---|---|
| وَما قَهْوَةٌ صَهْباءُ كَالْمِسْكِ رِيحُها | تُعَلّى عَلَى النّاجُودِ طَوْراً وَتُقْدَحُ |

---

(١) - المعرب : ٢١٤ : " الصنج : تعرفه العرب هو الذي يتخذ من صفر (نحاس) يضرب أحدهما بالآخر ".

(٢) - المعرب : ٣٤٤ : المعزف أو العود، فارسي يعرب الوَنج .

(٣) - المعرب : ٧١ : من ملاهي العجم شبه بصدر البط .

(٤) - الصبح المنير : ٢٠١ .

(٥) - الصبح المنير : ٢٢٨ .

(٦) - الصبح المنير : ١٤٧ .

تُوُتْ فِي سِبَاءِ الدَّنِّ عِشْرِينَ حِجَّةً يُطَانُ عَلَيْهَا قَرْمَدٌ وَتُـــرَوَّحُ
سَبَاهَا رِجَالٌ مِنْ يَهُودٍ تَبَاعَدُوا لِجِيلَانَ يُدْنِيهَا مِنَ السُّوقِ مُرْبِحُ
بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا إِذَا جِئْتُ طَارِقاً مِنَ اللَّيْلِ ،بَلْ فُوهَا أَلَذُّ وَأَنْصَحُ(١)

واشترطوا فيها الصفاء : فهي صافية " كعين الديك " (٢) و" ماء النَّيء "(٣) ، وهي لصفائها " تُريك القذى "(٤)في قعر الكأس . واشترطوا فيها حسن المـــزاج والتصفيق :

مُزَّةٌ قَبْلَ مَزْجِهَا فَإِذَا مَـــا مُزِجَتْ لَذَّ طَعْمُهَا مَنْ يَـــذُوقُ
وَطَفَا فَوْقَهَا فَقَاقِيعُ كَالْــ ـيَاقُوتِ حُمْرٌ يَزِينُهَا التَّصْفِيقُ(٥)

وحشدوا لها كلّ أنواع المطيبات لمزجها بها : كالعسل والمسك والزنجبيـــل واللبنى والعود والكافور والعنبر وغيرها من أنواع الطيب وخلطوها بأنواع من الفاكهة كالتفاح والرمّان والماء النقي الصافي وغيرها (٦). وكان من علامـــات الجودة فيها أن لا تؤذي صاحبها أو تسبّب له الخُمار :

تَشْفِي الصُّدَاعَ وَلَا يُؤْذِيكَ صَالِبُهَا وَلَا يُخَالِطُهَا فِي الرَّأْسِ تَدْوِيمُ(٧)

---

(١) - الأبيات للمرقش الأصغر : ديوان المفضليات ١: ٤٩٥ . والناجود: المصفاة.
(٢) - ديوان حسان بن ثابت ١: ٣٠٢ ،وعدي بن زيد : ٧٦ ،وشرح أشعار الهذليين: ١ : ١١٥ ،و ٣ : ١٢٦٧ .
(٣) - شرح أشعار الهذليين : ١ : ٤٥ .
(٤) - ديوان عدي بن زيد : ٧٨ .
(٥) - المصدر السابق : ٧٦ .
(٦) - راجع ديوان زهير بن أبي سلمى(دار الكتب المصرية، القاهرة ،١٣٦٣هـ -١٩٤٤م): ٣٥،وحسان بن ثابت ١: ١٧ ،وعمرو بن معديكرب : ١٣٨ ،والنمر بن تولب ٧٧ ،والحطيئة : ٣٤١ ،وامرىء القيس : ١٥٧ .
(٧) - علقمة بن عبدة : ديوان المفضليات ١: ٨١٢ . والخُمار: الصداع بنتيجة السُّكر .

مجالـــس النـدامـــى وآدابهـــا :

لم يكن اختيـار النديم في الجاهلية يجيء عفو الخاطر ،بل كان على الغالب أمراً له أصوله ونظامه . وقد كان اختيار النديم المناسب مدعاة للفخر ، قـــال قيس بن الخُطيم (١) :

سَلِي مَنْ نَدِيمِي فِي النَّدَامَى وَمَأْلَفِي ۝ وَمَنْ هُوَلِي عِنْدَ الصَّفَاءِ خَدِيـــنُ

ذلك لأنّ العرب كانوا يشترطون في النديم صفات عديدة كان أوّلها أن يكون النديم نداً للنديم وترباً له في الغالب الأعمّ ،وكان يستثنى من هذه القاعدة ندام بعض السراة والأشراف للملوك . ولهذا تنوّعت مجالس الشراب والندام ،وتباينـــت مستوياتها بحسب منزلة الندامى ، فكانت مجالس الملوك،ومجالس سَرَاة القـــوم وأشرافهم ،ومجالس العامة .

ونستطيع أن نرسم صورة لما كانت عليه مجالس الملوك ،وذلك من خلال وصـف غير شاعر لمجالس ملوك المناذرة والغساسنة . فقد كان الملك إذا استظرف أحدهم أكرمه فنادمه وضرب عليه قبّة من أدم أحمر ،" وكان الملك اذا فعل ذلك برجـل عرف قدره منه ومكانه عنده "(٢) . ومن الشعراء الذين نادموا الملوك نذكــر امرأ القيس ،والنابغتين الذبياني والجعدي ،وحسان بن ثابت ،وأبا زبيد الطائيّ. وقد مُدحت الملوك بامتلاكها خير الأشياء وأفضلها ،ومنها أجود الخمر ،قال النابغة الذبياني في مدحه لعمرو بن الحارث : " .. وأعذبُ المياه أمواهك ،وأفيح الدارات

---

(١) – ديوانه : ١٠٧ .
(٢) – الاغاني : ٩ : ٥١ .

داراتك،وأنزه الحدائق حدائقك ، وأرفع اللباس لباسك،قد حالف الاضريج عاتقيك ولاءم المسك مسكك ،وجاور العنبر محافك ،وصاحب النعيم جسدك ،والعسجد آنيتك ، واللجين صحافك ،والعصب مناديلك ،والحوّار طعامك ،والشهد إدامك واللذات غذاؤك ،والخرطوم شرابك "(١) . وكان حسان بن ثابت يغدو على جَبَلة بن الأَيْهم سنة ويقيم في أهله سنة . فوفد على الحارث بن أبي شمر الغساني فأكرمه ونادمه فقال في وصف مجلسه : " .. ثم رُفع الطعام وجاء وُصَفاء كثير عددهم معهم الأباريق فيها ألوان الأشربة ، ومعهم مناديل اللين فقاموا على رؤوسنا ودعا أصحاب برابط من الروم فأجلسهم وشرب فالهوه .."(٢). وكان حسان يفد على جبلة بن الأيهم . ويقول مفتخرا باكرام الملك له :(٣)

إنّ ابْنَ جفنَةَ مِنْ بَقِيَّةِ مَعْشَرٍ ... لَمْ يَغْذُهُمْ آبَاؤُهُمْ بِاللُّومِ
وَأَتَيْتُهُ يَوْماً فَقَرَّبَ مَجْلِسِي ... وَسَقَى بِرَاحَتِهِ مِنَ الْخُرْطُومِ
لَمْ يُنْسِنِي بِالشَّامِ إذْ هُوَ رَبُّهَا ... كَلَّا وَلَا مُتَنَصِّرًا بِالرُّومِ

وفي قصيدته (أَسَأَلْتَ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ ) يفخر بندامهم (٤) ويذكرهم ذكراً طيباً .

أما الأعشى فيذكر ندامه لبعض الملوك كالغساسنة بالشام ،والمناذرة في الحيرة وأشراف عُمان وحَضْرَمَوْت ،ويصف مجالسهم بما تتضمنه منغنا ،وموسيقى وشراب (٥). وفخر كذلك امرؤ القيس بندامه لقيصر ملك الروم :

---

(١) - الاغاني : ١٥ : ١٢٤ .
(٢) - المصدر السابق : ١٥ : ١٣٢ .
(٣) - ديوانه : ١ : ٤٣٩ .
(٤) - ديوان حسان بن ثابت : ١ : ٧٤ .
(٥) - الصبح المنير : ٢١١ .

وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مُلْكِـــهِ     فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ البَرِيـــدَا [١]

وكان النابغة الذبياني المُقدّم عند النعمان بن المنذر ،يأكل ويشـــرب في آنية الفضة والذهب " من عطايا النعمان وأبيه وجده ولا يستعمل غير ذلك"[٢]، وكذلك وفد حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر فشرب معه [٣] ، ووفد عمـــرو ابن كلثوم على عمرو بن هند فنادمه زمناً قبل أن يقتله[٤]. وكان أبو زُبيـــد الطائيّ ،وهو حُرْمُلة بن المنذر ،من زوّار الملوك وخاصة ملوك العجم ،وقد وفـــد على النعمان بن المنذر فجالسه [٥]ونادمه . وقد ضمت مجالس الملوك ـ الـــى جانب الشعراء ـ سراة القوم من تجار وشيوخ ،ورجالاً كانت الملوك تستظرفهـــم فتدعوهم إلى مجالس الندام [٦].

أما الحلقة الثانية من مجالس الشراب فهي مجالس سراة القوم وأشرافهم . ولعل في الندماء من قريش خير مثال لهذه الحلقة . وقد كان لعزّة مكة ومنعتهـــا أثر كبير فيتوفير مناخ رائق لمجالس الشراب هذه :

أَبَا مَطَرٍ هَلُمَّ إِلى صَـــلاحٍ     فَتَكْفِيكَ النَّدَامَى مِنْ قُرَيْـــشِ

---

(١) ـ ديوانه : ٢٥٢ .
(٢) ـ الاغاني : ٦ : ٢٤ .
(٣) ـ المصدر السابق : ٦ : ٢٤ .
(٤) ـ المصدر السابق : ٦ : ٤٨ .
(٥) ـ الاغاني : ١٢: ١٢٥ : وقد وصفه أبو زبيد بقوله :" فقد رأيت ملوك حميـــر في ملكها ،ورأيت ملوك غسان في ملكها فما رأيت أحداً قطّ كان أشد عـــزّاً منه ،وكان ظهر الكوفة ينبت الشقائق فحمى ذلك المكان فنسب إليه فقيـــل شقائق النعمان " .
(٦) ـ الاغاني : ١٥ : ٢٩٢ وفيها منادمة النعمان للربيع بن زياد ولتاجر مـــن أهل الشام كان أديباً يحسن الحديث والندام .

فَتَأْمَنَ وَسْطَهُمْ وَتَعِيشَ فِيهِمْ أَبَا مَطَرٍ هُدِيتَ لِخَيْرِ عَيْشِ
وَتَنْزِلَ بَلْدَةً عَزَّتْ قَدِيماً وَتَأْمَنَ أَنْ يَزُورَكَ رَبُّ جَيْشِ(١)

وقد عقد ابن حبيب فصلاً في الندماء من قريش في الجاهلية (٢)،فعدّد أسماء الندامى من الأشراف . ونلحظ في غالبأسماء الندامى توافقاً بينهم في المنزلة والخصال والغنى(٣) . وكان يفترض فيالندامى من الأشراف الكرم والسخاء واللين ، والاحتفاظ بالحلم عند السكر وطيب الرائحة :

وَقَدْ أَغْدُو عَلَى شَرْبٍ كِرَامٍ نَشَاوَى وَاجِدِينَ لِمَا نَشَاءُ
لَهُمْ رَاحٌ وَرَاوُوقٌ وَمِسْكٌ تُعَلُّ بِهِ جُلُودُهُمْ وَمَاءُ
أُمَشِّي بَيْنَ قَتْلَى قَدْ أُصِيبَتْ نُفُوسُهُمُ وَلَمْ تَقْطُرْ دِمَاءُ
يُجَرُّونَ الْبُرُودَ وَقَدْ تَمَشَّتْ حُمَيَّا الْكَأْسِ فِيهِمْ وَالْغِنَاءُ(٤)

والحلقة الثالثة من مجالس الشراب هي مجالس العامة التي كانت تتّهمها المجالس الأخرى بسوء التحضير لمجلس الندام في الطعام وفي نوعية الشراب وغيره . وقد ذمّت العرب البخل في التحضير لمجالس الشراب . قال حسان واصفاً مجلساً

---

(١) - الشعر لحرب بنأمية ،وصَلاح من أسماء مكة. راجع كتاب الحيوان ١: ٢٦٩ .
(٢) - المحبّر : ١٧٣ .
(٣) - المحبّر : ١٧٣ . وقد أورد أسماء الندامى من قريش وهذا مثال : " كان الأسود بن المطلب بن أسد نديماً للأسود بن عبد يغوث الزهري وهما الأسودان وكانا من أعزّ قريش في الجاهلية وكانا يطوفان بالبيت متقلدين بسيفين سيفين ".
(٤) - الابيات لزهير بن أبي سلمى : ديوانه : ٧٢ . وقد ورد في الشعر وصف كثير للندامى من الأشراف . راجع الأعشى : الصبح المنير : ١٤٣ ،والمسيّب بن عَلَس في الصبح المنير : ٣٥٠ ،وكعب بن زهير : ديوانه ( دار الكتب المصرية ، القاهرة ،١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م) : ٤٢ .

للعامة ،ومفرّقاً بينه وبين مجالس الأشراف (١) :

لَسْنَا بِشَرْبٍ فَوْقَهُمْ ظِلُّ بُرْدَةٍ ... يُعِدُّونَ لِلحَانُوتِ تَيْساً وَمِفْصَداً(٢)
مُلُوكٌ وَأَبْنَاءُ المُلُوكِ إذَا انْتَشَوْا ... أَهَانُوا الصَّبُوحَ والسَّوِيقَ المُسَرْهَدَا
إذَا جَلَسُوا أُلْفَيْتَ رَشْحَ جُلُودِهِمْ ... مِنَ المِسْكِ وَالجَادِيِّ جَفْناً مُبَدَّدَا
تَرَى فَوْقَ أَثْنَاءِ الزَّرَابِيِّ سَاقِطاً ... نِعَالاً وَقَسُّوباً وَرَيْطاً مُعَضَّدَا

وقال عَبيد بن الأبرص يذم بني جديلة لسوء مجلسهم :

فَلْتَعْرِفِ القَيْنَاتُ فَوْقَ زُقٍّ وسِبِهِمْ ... وَشَرَابُهُمْ ذُو فَيْلَةٍ وَمُحَنَّبُ(٣)

والمحنب : شواء لم ينضج ثم أعيد تسخينه فسد .

وكذلك ذمّت العرب الوغول في الشراب وكرهته . " والوغول في الشيء ،وان لم يبعد فيه ،وكل داخل فهو واغل . ولهذا قيل للداخل على الشرب من غير أن

---

(١) - ديوانه :١ : ٣١٢، وقد رُوي في (الأغاني :٤ : ١٧١) في مناسبة هذه الأبيات أنّ حساناً والأعشى دخلا " بيت خمّار بالشام ،فاشتريا خمراً وشربا ،فنام حسان ثم انتبه ،فسمع الأعشى يقول للخمّار : كره الشيخ الغُرْمَ ،فتركه حسان حتى نام ثم اشترى خمر الخمّار كلها ،ثم سكبها في البيت حتى سالت تحت الأعشى ، فعلم أنّه سمع كلامه فاعتذر إليه" ، فقال حسان هذه الأبيات .

(٢) - المفصد من فصد يفصد فصيداً : كانوا يفصدون البعير اذا خرج دمه جمعوه في شيء ثم طبخوه ثم اكلوه ،وهذا من الجاهلية . الا ان الجاحظ يشير الى ان العرب في الجاهلية كانت تاكل دم الفصد وتفضل طعمه ،وتخبر عما يورث من القوة : الحيوان : ٤ : ٩٦ ،ولا أدري لم أورد الشاعر الفصد في معرض الذم في هذه الابيات الا أن يكون دليل بخل بسبب توفره ،خاصة وأن العرب كانت تنحر أفضل النياق وأسمنها عندما تنتشي بالخمر كما يشير حسان .

(٣) - ديوان عَبيد بن الأبرص : ٣٣ .

يدعى : واغِل ووَغْل "(١) ،قال عمرو بن قَميئـــة (٢) :

إِنْ أَكُ مِسْكِيرًا فَلَا أَشْـــرَبُ ‏ ‏ ‏ ‏ وَغْلاً وَلَا يَسْلَمُ مِنّي الْبَعِـيرْ

كما كرهوا الحَصور والحَصير : وهو الذي يشرب مع القوم فلا ينفق ولا يغرم ،وقيـل هو الذي لا يشرب الشراب من علّة ،ويقال شرب القوم فحصر عليهم فلان أي بخل"(٣) ، قال كعب بن زهير (٤):

إِذَا غَلَبَتْهُ الكَـأْسُ لاَ مُتَعَبِّسٌ ‏ ‏ ‏ ‏ حَصُورٌ وَلاَ مِنْ دُونِهَا يَتَبَسَّـلُ

وأما آداب الندام، فقد توزّعت بين أدب السقاة وحرمة النديم ومكانتـــه وكان من مذهب الجاهليين في الشراب إدارة الكأس على اليمين :

صَبَنْتِ الكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْـرٍو ‏ ‏ ‏ ‏ وَكَانَ الكَأْسُ مَجْرَاهَا اليَمِينَـا(٥)

وقد كان ساقي القوم أصغرهم سناً وآخرهم شرباً (٦)،هذا إذا كان من القوم ولم يكن خادماً أو أجيراً لهم . وكان من آداب الندام أن يرفق الرجل بنديمه ، فلا يدفعـــه الى الشراب بأكثر مما يحتمل (٧). أما أبرز آداب الندام،وأكثرها احترامـــا

---

(١) ـ غريب الحديث : ٢ : ٢٨ .
(٢) ـ ديوانه : ١٢٤ .
(٣) ـ المخصص : ١١ : ١٠١ .
(٤) ـ ديوانه : ٤٤ .
(٥) ـ عمرو بن كلثوم : شرح القصائد العشر للتبريزي : ٢٨٥ .
(٦) ـ الترمذي : ٣ : ٢٠٤ .
(٧) ـ في الاغاني : ٦ : ٣٣٨ أن حسان بن ثابت شرب يوماً وسلام بن مِشكم وكان معهم قيس بن الخطيم وآخرون . " فأسرع الشراب بينهم وكانوا في موادعة وقد وضعت الحرب أوزارها بينهم. فقال قيس لحسان : تعالَ أُشارِبْك : فتشاربا في إناء عظيم ،فأبقى حسان من الإناء،شيئاً : فقال له قيس : اشرب ،فقال حســـان =

في الندامى فهي حفظ الأمانة بين الندماء، ولهذا كان من علامات الذم الشديد أن يغدر المرء بنديمه. فقد ذُمّ جذيمة الوضاح لعربدته على نديميه مالك وعقيل حتى قتلهما بعد أن نادماه أربعين سنة ما أعادا عليه فيها حديثاً (١). وذمّ ايضا النعمان بن المنذر لأنه كان شديد العربدة قتّالاً للندامى (٢). وليس أدلّ على ذمّ العرب للغدر بين الندماء من قصة المكّاء التي أصبحت مثلاً سائراً في العرب (٣).

إنّ الوصف السابق لمجالس الشراب لا يسعفنا في إعطاء صورة واضحة عن شرب المرأة للخمر في الجاهلية. إذ ليس فيه ذكر أو اشارة الى المرأة الا كساقية أو مغنيّة أو جارية. وكذلك فإنّ الدلائل التي تشير إلى شرب المرأة للخمر في الشعر والروايات قليلة لا تكفي للحكم فيما إذا كانت النساء بشكل عام تتعاطى الخمر حينئذٍ. وقد وردت في الشعر إشارات يسيرة تذكر شرب النساء للخمر :

---

= وعرف الشرّ في وجهه : أوَخيراً من ذلك أجعل لك الغلبة. قال : لا الا ان تشربه فأبى حسان. وقال سلام بن مشكم : يا أبا زيد لا تكرهه على ما لا يشتهي، انما دعوته لاكرامه ولم تدعه لتستخف به وتسيء مجالسته. فقال له قيس : أفتدعوني أنت على أن تسيء مجالستي، فقال له سلام ما في هذا سوء مجالسة، وما حملت عليك الا لأنك مني وانا حليفك .. وهذا رجل من الخزرج قد أكرمته وأدخلته منزلي فيجب ان تكرم لي من أكرمته. ولعمري إن في الصحو لما تكتفون به في حروبكم، فافترقوا وآلى سلام على نفسه الا يشرب سنةً، وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريما ".

(١) - قطب السرور : ٤٤٠. ونديمانا جذيمة هما مالك وعقيل اللذان أعادا عمرو بن عدي الى خاله جذيمة الأبرش ملك العراق وأمه رُقاش بعدما استطارته الجن فكافأهما الملك بمنادمته الدائمة فلم يفترقا قطّ : (الاغاني: ١٥: ٢٥٠)، وفيهما يقول متمم بن نويرةَ : المفضليات : ١ : ٥٣٥ :

وَكُنّا كَنَدْمَانَيْ جُذَيْمَةَ حِقْبَــةً مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا

(٢) - قطب السرور : ٤٣٩.

(٣) - المكاء رجل من طيّء نزل ضيفاً بشيباني فأكرمه ونادمه فما زال يتحدّى مضيفه ويفاخره حتى أغضبه ثم وثب اليه بالسيف فقطع رأس مضيفه، القصة طويلة في الأغاني ١٢: ١٢٣، مع شعر أبي زبيد الطائي في ذلك.

وَقَدْ لَهَوْتُ بِمَصْقُولٍ عَوَارِضُهَا ... بِكْرٍ تُنَازِعُنِي كَأْسًا وَمُنْقَادًا (١)

ومثل هذه الاشارةعابرة لا تكفي لتعميم ظاهرة شرب المرأة للخمر على كل النساء • وهناك روايات في الكتب تشير الى شرب المرأة للخمر ولكن المعوّل عليها قليل إذ غالباً ما تساق للنكتةوالتسلية (٢).

على أنّ النساء قد استعملت الخمرة في غير الشراب • فقد قيل لعائشة : إنّ النساء يمتشطن بالخمر، فنهت عن ذلك،وقالت : إنّها رجس (٣). هذا،ولم أعثر في الشعر الجاهلي على إشارة تدلّ على استعمال المرأة للخمرة في الزينة أو غيرها • وربما كان لهذا الأمر علاقة بالتطبّب ، فقد كانت عائشةتقول : من تداوى بالخمر فلا شفاه الله •

---

(١) - ديوان تأبّط شراً : ٨٠ •

(٢) - وردت في أسواق العرب للأفغاني : ٢٩٠ ( دون الاشارة الى مصدرها ) رواية مؤداها أنّ رجلاً بعث بزوجته الى سوق عكاظ بأنحاء سمن تبيعها له ، فباعتها مع الراحلتين وشربت بثمنها الخمر ثم رهنت ابن أخيه وهربت•وارجع كذلك الى رواية الأعرابية والخمر في كتاب الحيوان : ٣ : ٢٩٢ • ورواية الممهورة بشياه وخمر : الحيوان : ٣ : ١٢٣ •

(٣) - قطب السرور : ٥٠٦ •

أثر الخمر في الحياة الاجتماعية :

كانت الخمرة ـ كاحدى أبرز لذّات الجاهلية ـ منتشرة جداً بين العرب وهذا ما جعلها تترك آثاراً هامة في حياتهم الاجتماعية . ولقد كانت هذه الآثار تنقسم الى آثار إيجابية وأخرى سلبية .

فأما آثارها الإيجابية فانّ قوامها أن ترفد الخمرة التي اعتبروها لذة في الحياة القيم العربية الايجابية ،وترسّخها وتطلقها من إسارها : كفضيلة الجود ،وفضيلة الشجاعة ،والأمانة وحفظ الجوار وغيرها ،لا أن تسيء إليها أو تخفق من شأنها . وفي ظلّ هذه النظرة للخمر يمكن تفسير انتشارها بينهم ،وإقبالهم على شربها دون خجل أو حذر ،كما يمكن تفسير وصفهم لها في الشعر ،وفخرهم باستباشها ،وتقديمها لضيوفهم في عملية القرى العربية :

قُومُوا لِضَيْفٍ جَاءَكُمْ طَارِقاً ... وَجَارِكُمْ بِالنَّيِّ وَالْخَمْرِ (١)

وقد ارتبطت الخمرة عندهم بالكرم ارتباطاً وثيقاً ،فكانت دافعاً هاماً لممارسة فضيلة الجود :

إِذَا مَا اصْطَبَحْتُ أَرْبَعاً خَطَّ مِئْزَرِي ... وَأَتْبَعْتُ دَلْوِي فِي السَّخَاءِ رِشَاءَهَا (٢)

وقال الأسود بن يعفر واصفاً أثرها في الكرم :

---

(١) ـ البيت لعمارة بن عوف العدواني ،كتاب المعمرين للسجستاني ( تحقيق جولدسهر، ليدن ، ١٨٩٩م) : ٣٠ .

(٢) ـ البيت لقيس بن الخَطيم : ديوانه : ٤ .

فَلَقَدْ أَرُوحُ عَلَى التِّجَارِ مُرَجَّلاً مُذِلاً بِمَالِي لَيِّناً أَجْيَادِي[١]

وقد يتعدّى أثر الخمرة في الكرم الى البخيل فيجعله كريماً لا يحسب حساباً للمال :

تَرَى اللَّحِزَ الشَّحِيحَ إِذَا أُمِرَّتْ عَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيهَا مُهِينَا[٢]

فانّ من أسمائها الراح : لانّ صاحبها يرتاح للسخاء والكرم[٣]. وقد كان من علامات الذمّ عند العرب أن يبخل الرجل بالثمن الذي يدفعه لاستباء الخمر . فالخمر ليس بها قذى إلاّ بخل شاربها إذ" يُحَاسِبُ نَفْسَهُ بِكَمِ اشْتَرَاهَا " [٤] .

وكان من الجود الجدير بالمدح أن يقدّم الرجل الخمر ـ على غلائها ـ الى الضيوف والندامى بغير حساب . وكانت إقامة مجالس الندام والطرب حيث يقدم فيها الخمر الغالية وتنحر فيها أفضل النياق من فعال السادة الأجواد[٥]. وكثيراً ما ورد في الشعر الفخر بالقيام بواجب الضيافة على خير وجه تجاه الطارقين والغرباء حيث تُقدّم لهم الخمر واللحم من الفجر حتى الليل[٦].

وقد كان تقديم الخمر الى الضيوف من علامات المدح للأفراد والجماعة على حدّ سواء. فانّ سمة الكرم في القبيلة بأسرها لا تكتمل إلاّ بسخاء هذه القبيلة في

---

(١) ـ الصبح المنير: ٢٩٧ . وجاء في غريب الحديث في شرح البيت: ٢:٢٦٤: المذال أن يمذل الرجل بسرّه يعني أن يقلق به حتى يظهره .. وبماله حتى ينفقه .
(٢) ـ عمرو بن كلثوم : شرح القصائد العشر للتبريزي : ٢٨٥ .
(٣) ـ المخصص : ١١: ٧٤ .
(٤) ـ النابغة الذبياني : ديوانه : ٢٢٧ .
(٥) ـ راجع ديوان عمرو بن قميئة : ١٣١ ،والحادرة : المفضليات :١ : ٥٩ ،وعمرو ابن الأهتم : المفضليات : ١ : ٢٤٦ .
(٦) ـ عمرو بن الاهتم : المفضليات : ١ : ٢٤٦ .

تقديم الخمر واللحم .. فبنو أسد هم "أهلُ القِبَابِ الحمر وَالنَّعم المُؤَبَّلِ والمُدَامَة " (١) ،وقوم الأعشى يشربون" صفْوَ الفِضَالِ بطارِفٍ وتِلادِ " مهما علت الخمر (٢).

وهناك لذة من لذات الجاهلية ارتبطت بالخمر من حيث تأثيرها في فضيلة الجود وهي الميسر . فقد كان القوم يتياسرون ،وذلك على أجزاء الجزور بواسطة الضرب بالقداح (٣) ،وكان من علائم الشرف والجود أن يأنف الرجل من أخذ نصيبه من الجزور في حال الربح،فيتركه للمحتاجين. وكثيراً ما كانت مجالس الشرب والميسر تقام في الشتاء،وقت انعدام القوت (٤) ،ولهذا كان للميسر فائدة اجتماعية الى جانب كونه لهواً وتسلية . ولعلّ هذه الناحية هي المُشار إليها في هذه الآية :

﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير ومَنَافِعَ للناس ﴾ (٥).

---

(١) - عبيد بن الأبرص : ديوانه : ١٣٧ ،ويقول في بني أسد أيضاً : ١٤٣ :

تُغْلِي السِّبَاءَ بكُلِّ عَا ... تِقَةٍ شَمُولٍ مَا صَحَوْنَا
وَنُهِينُ في لَذَّاتِهِـ ... ـا عُظْمَ التِّلادِ إذا انْتَشَيْنَا

(٢) - الصبح المنير : ٩٩ .

(٣) - راجع كتاب الميسر والقداح لابن قتيبة ( صححه خورشيد أحمد فارق باشراف محمد عبد المعيدخان ،حيدر آباد ،الدكن ،١٣٨٤هـ -١٩٦٤م) .

(٤) - راجع قصيدة متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك :المفضليات:١: ٥٣١- ٥٣٣ :

إذا جُرِّدَ القَوْمُ القِدَاحَ وَأُوقِدَتْ ... لَهُمْ نَارُ أيسارٍ كَفَى مَنْ تَضَجَّعَا
وَإنْ شَهِدَ الأيْسَارُ لَمْ يُلْفَ مَالِكٌ ... عَلَى الفَرْثِ يحمي اللحمَ أنْ يَتَمَزَّعَا

(٥) - سورة البقرة : ٢١٩ .

وهناك فضيلة أخرى من فضائل العرب في الجاهلية أثرت فيها الخمرة ورفدتها وهي فضيلة الشجاعة التي تنبثق عن حاجة اجتماعية ملحّة في مجتمع قائم على الغزو والاغارة لتأمين أسباب الحياة . منهنا لعبت الخمرة دورها في حروب العرب كما لعبت دورها في أيام السلم عندهم . وكان هذا الدور ذا شقيّن :

الأول هو المساعدة في إطلاق القوة الكامنة في الرجل بتأثير الخمر ، والثاني هو مكافأة الشجاع بتقديم الخمر له حتى في ظلّ أسره اعترافاً بقدرته وجدارته وثباته .

اما الشق الأول فيجد لنفسه صدى في قول حسان بن ثابت (١) :

وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرُكُنَا مُلُوكاً ... وَأُسْداً مَا يُنَهْنِهُنَا اللِّقَاءُ

فقد كان شرب الخمور قبل الخروج الى الغارة قضية ترهب الأعداء ، وتشعر بقوّة المغير وثقته بالنصر ويسره . وهذا ما فعلته قريش حين خرجت للقاء الرسول (ص) في بدر ، فقال أبو جهل : " والله لا نرجع حتى نرد بدراً - وكان بدر موسماً من مواسم العرب تجتمع به ، لهم بها سوق كل عام - فنقيم عليه ثلاثاً ،

---

(١) - ديوانه : ١ : ١٧ ، وقد كثر وصف أثر الخمرة في الشجاعة في الشعر الجاهلي: راجع شرح ديوان عنترة ( حققه عبد المنعم شلبي ، وقدم له ابراهيم الأبياري، القاهرة ) : ٣٥ :

وَإِخْوَانِ صِدْقٍ صَادِقِينَ صَبَحْتُهُمْ ... عَلَى غَارَةٍ مِنْ مِثْلِهَا الخَيْلُ تَسْرَحُ
تَطُوفُ عَلَيْهِمْ خَنْدَرِيسُ مُدَامَةٌ ... تَرَى حَبَبَاً مِنْ فَوْقِهَا حِينَ تُمْزَجُ
أَلَا إِنَّهَا نِعْمَ الدَّوَاءُ لِشَارِبٍ ... أَلَا فَاسْقِنِيهَا قَبْلَمَا أَنْتَ تَخْرُجُ

وتأبط شراً : ١٤٠ .

وَلٰكِنَّنِي أُرْوِي مِنَ الْخَمْرِ هَامَتِي ... وَأَنْضُو المَلَا بِالشَّاحِبِ المُتَشَلْشِلِ

وأبي قيس ابن الأسلت: ٧٦ ، وروي البيت لقيس بن الخطيم : ديوانه : ١٢١ :

فَلَسْتُ لِحَاصِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْنَا ... نُجَالِدُكُمْ كَأَنَّا شَرْبُ خَمْرِ

ونحر الجزر، ونطعم الطعام، ونُسقى الخمور، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب بمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً "(١).

وفي المقابل، شكّلت الخمرة عامل احتفاء بالنصر بعد الغارة. قال تأبّط شراً بعدما أغار على سرح لمراد(٢):

خُفُفْتُ بِسَاجِهٍ تَجْرِي إِلَيْنَا ... أَبَارِيقُ الكَرَامَةِ يَوْمَ لَهْوِ

كما شكّل تقديم الخمر للأسير عامل اعتذار وحفاوة وارضاء لخاطر الخصم اعترافاً بشجاعته كما ورد في قصة أسر يزيد بن عمرو بن شمر لعمرو بن كلثوم(٣)، وفي قصة أسر المهلهل(٤). وفي أحيان أخرى كان أسر العدوّ ينتهي بقتله، ولكنّه كان يخيّر في طريقة قتله لشرفه، كما حدث في يوم الكلاب الثاني حين أسر عبد يغوث بن صلاءة الحارثي، فقال: " يا بني تيم اقتلوني قتلة كريمة. فقالوا: وما هي؟

---

(١) - الاغاني: ٤: ١٨٦.

(٢) - ديوانه: ١٤٩.

(٣) - الأغاني: ١١: ٥٠: " أغار عمرو بن كلثوم على بني تميم، ثم مرّ من فوره ذلك على حيّ من قيس بن ثعلبة فملأ يده منهم وأصاب أسارى وسبايا. وكان فيمن أصاب أحمر بن جندل السعدي. ثم انتهى الى بني حنيفة باليمامة وفيهم أناس من بني عجل، فسمع به أهل حُجْر. فكان أول من أتاه من بني حنيفة بنو سُحيم عليهم يزيد بن عمرو بن شمّر. فلما رآهم عمرو بن كلثوم جاهم هجاءً مراً. فانتهى إليه يزيد بن عمرو. فطعنه فصرعه عن فرسه ولم يخلص الى مقتله فأسره. وكان يزيد شديداً فشدّه كِتافاً، ثم قال: أنت الذي تقول:

مَتَى تُعْقَدْ قَرِينَتُنَا بِحَبْلٍ ... تَجُذَّ الحَبْلَ أَوْ تَقْصِ القَرِينَا

أما أني سأعقدك بناقتي ثم أطردكما جميعاً. فنادى عمرو: يال ربيعة أمثلةً. فاجتمعت إليهم لجيم فنهوه، ولم يكن يريد ذاك. فسار حتى أنزله قصور حُجْر فضرب عليه قبة ونحر له جزوراً وسقاه حتى انتشى وكساه حلة وحمله على نجيبة ".

(٤) - الاغاني: ٦: ١٢١. أسره عمرو بن ملك عمّ المرقش الاكبر في بعض الغارات بين بكر وتغلب.

قال : اسقوني الخمر ودعوني أنح على نفسي . فسقوه الخمر ،وقطعوا له عرقا يقال له الأكحل وتركوه ينزف "(١).

ومن الفضائل التي دعمتها الخمرة حفظ الامانةوحسن الجوار اللذان تجليا بوضوح فيعلاقة الندماء ،وحق النديم على النديم. قال عنترة :(٢)

لا يَشْرَبُ الخمرَ إلا مَنْ لَهُ ذِمَمٌ    ولا يَبِيتُ لهُ جارٌ على وَجَلِ

وارتبط بذلك أيضا الوفاء للنديم وتذكره في المحن كالموت والاسر والفراق .

وفي الجهة المقابلة ، كان للخمرة آثار سلبية انعكست على المسلك الفردي عند الجاهلي، مما دفعه في احيان كثيرة للاساءة الى المفهوم الاخلي القبلي،وخـــرق المألوف من الاعراف والتقاليد . من هذه الاثار العربدة والزنا ، وأخيـــــرا الانتحار بشرب الخمر الصرف لاسباب مختلفة . وقد ارتبطت الخمر بالزنا والعربدة في الاسواق والمواخير ، قال عبيد بن الابرص (٣):

---

(١) – الاغاني : ١٦ :٢٥٩ . وعبد يغوث هذا شاعر من شعراء الجاهلية ، فارس ، سيد لقومه من بني الحارث بن كعب ،وكان قائدهم في يوم الكلاب الثاني الى بني تميم : الاغاني : ٢٥٤/١٦ . وهو صاحب المفضلية ٣٠ : المفضليـــات : ١ : ٣١٥ ،وأولها (ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا) قالها قبل موتـــه .

(٢) – ديوانه :١٣٤ ،وراجع ديوان ذي الاصبع العدواني (تحقيق العدواني والدليمي، الموصل ،١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م) : ٥٨ ،وهو حُرثان بن محرّث :

لَمْ تعقلا جُفْرة عليّ ولــــم    أوذ نديماً ولم أنل طبعـــا

وحسان بن ثابت :١ : ٢٧٩ :

لا أَخْدِشُ الخَدْشَ بالنديم ولا    يَخشى جليسي إذا غضبتُ يـــدي

ولا تَدِبي العضِ البَخيل ولا    يَخاف جاري ما عشتُ منْ وبَـــد

وكذلك ديوان بشر بن أبي خازم (تحقيق عزة حسن،ط. دمشق،١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م): ١٩٥٨ – ١٥٩ ، ومتمم بن نويرة : المفضليات : ١ : ٥٢٩ .

(٣) – ديوانه : ١١٠ .

وَلَهْوَةٍ كَرُضَابِ المِسْكِ طَالَ بِهَا ... فِي دَنِّهَا كَرُّ حَوْلٍ بَعْدَ أَحْوَالِ
بَاكَرْتُهَا قَبْلَ مَا يَبْدُو الصَّبَاحُ لَنَا ... فِي بَيْتِ مُنْهَمِرِ الكَفَّيْنِ مِفْضَالِ
وَعُطْبُلَةٍ كَمَهَاةِ الجَوِّ نَاعِمَةٍ ... كَأَنَّ رِيقَتَهَا شِيبَتْ بِسَلْسَالِ
قَدْ بِتُّ أَلْعَبُهَا وَهْنًا وَتُلْعِبُنِي ... ثُمَّ انْصَرَفْتُ وَهِيَ مِنِّي عَلَى بَالِ

ومنهم من قرن بين الخمر والزنا اقترانا وثيقاً ،وذهب الى اعتبارهما متلازمين ،وقد شكّلا عند الأعشى الأطيبين (١)بين اللذات ،وقال ذاكرهما معاً :

فَقَدْ أَشْرَبُ الرَّاحَ قَدْ تَعْلَمِينَ يَوْمَ المُقَامِ وَيَوْمَ الظَّعَنْ
وَأَشْرَبُ بِالرِّيفِ حَتَّى يُقَالَ قَدْ طَالَ بِالرِّيفِ مَا قَدْ دَجَنْ
وَأَقْرَرْتُ عَيْنِي مِنَ الغَانِيَاتِ إِمَّا نِكَاحاً وَإِمَّا أُزَنْ
مِنْ كُلِّ بَيْضَاءَ مَمْكُورَةٍ لَهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَنْ(٢)

وفي الأسواق كانت تقام بيوت لمن يمارسن البغاء ،وهنّ جوارٍ تأتين إلى الأسواق والحانات من بلاد مختلفة ضمن عملية الاتّجار بالرّقيق . قال الأعشى يصف جواري راقصات من تركستان وكابل :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الخَمْرَ تَرْكُضُ حَوْلَنَا تُرْكٌ وَكَابُلُ(٣)

هذا ،ولا يجب أن نستبعد وجود جوارٍ من العرب كنّ ضحايا الغزو والسّبي : قال عنترة (٤):

(١) - الأغاني : ٩ : ١٢٣
(٢) - الصبح المنير : ١٤ .
(٣) - المصدرالسابق : ٢٢٤ .
(٤) - ديوان عنترة : ٨٠ .

كَمْ لَيْلَةٍ قَدْ قَطَعْنَا فِيكَ صَالِحَةٍ ... رَغِيدَةٍ صَفْوُهَا مَا شَابَهُ كَدَرُ
مَعْ فِتْيَةٍ تَتَعَاطَى الْكَأْسَ مُتْرَعَةً ... مِنْ خَمْرَةٍ كَلَهِيبِ النَّارِ تَزْدَهِرُ
تُدِيرُهَا مِنْ بَنَاتِ الْعُرْبِ جَارِيَةٌ ... رَشِيقَةُ الْخَلْقِ فِي أَجْفَانِهَا حَوَرُ

وقد كان من صفات الجواري والساقيات والقيان أن يرتدين الثياب الواسعة المفتوحة التي تسمح بجسّ الندامى ومداعبتهم لهنّ (١) .

وتجدر الاشارة الى أنّ الآثار السلبية لشرب الخمر ترجع كلّها الى خرق واضح لناحية ما من نواحي المفهوم الخلقي البدوي : كاخفار الذمّة ،والوقوع في المحرّمات ، مما أورث الحزن والأسى والعار ،ودفع بضحاياه الى تحريم الخمر على أنفسهم - كما سنرى في فصل لاحق - أو الى الانتحار بشربها صِرفاً للخلاص من العار بالموت . ولهذا أقدم أربعة من سادة العرب وأشرافها على شرب الخمر صِرْفاً حتى الموت وهم :

١- " زهير بن جناب بن هبل رأس قُضاعة ،وعاش - فيما يُقال - أربعمائة سنة ،وأوقع مائتي وقعة ،وكان سيّداً مطاعاً شريفاً في قومه ،فلمّا أسنّ وذهب عقله كان بعض وَلَده يرافقه خشية أن يضيع ،فلما علم أن امرأته تبعث بابنه ليعود به غضب وحلف الاّ يشرب الخمر حتى مات .. وخالفه ابن أخيه بعدما كان سيّد قومه ، فخزن وشرب الخمر صِرْفاً حتى مات "(٢) ،وذلك أنه قال يوماً : " ليظعنَ الحيّ ، فقال ابن أخيه :

إنّ الحيّ مقيم ،فأعادها مراراً،وأعادها ابن أخيه مراراً . فقال : من هذا يرد عليّ ؟ فقالوا : ابن أخيك . فقال : وما أحد ينهاه ؟ قالوا : لا ،قال :

---

(١) - قال الأعشى : الصبح المنير: ١٤٧ :
وَرَادِعَةٌ بِالمِسْكِ صَفْرَاءُ عِنْدَنَا ... لِجَسِّ النَّدَامَى فِي يَدِ الدِّرْعِ مَفْتَقُ
(٢) - كتاب المعمرين: ٢٤ - ٢٦ ،و ٢٩ .

شرّ الناس للرجل ابن اخيه ، فشرب الخمر صرفاً حتى مات "(١).

٢- عمرو بن كلثوم التغلبي ،" وكانت الملوك تبعث إليه بحبائه وهو بمنزله من غير أن يفد إليها ، فلما ساد ابنه الأسود بن عمرو بعث الملوك إليه بحباشة كما بعثت الى أبيه ، فغضب عمرو وقال : ساواني بولي ،وحلف ألا يذوق دسماً حتى يموت وجعل يشرب الخمر صرفاً حتى مات "(٢)، و"جعلت امرأته تعتزله كي يأكل ،فأبى واشتدّ عليها وهو يقول :(٣)

مَعَاذَ اللّهِ تَدْعُونِي لِحِنْثٍ ... وَلَوْ أَقْفَرْتُ أَيَّامَاً قِفَارَا"

٣- وأبو البراء " عامر بن مالك بن جعفر عم لبيد بن ربيعة ،وكان سأل رسول الله (ص) أن يبعث معه قوماً يعرضون على بني جعفر الاسلام ،ويفقهونهم في الدين،فبعث إليهم قوماً من أصحابه ،فعرض لهم عامر بن الطفيل يوم بئر معونة فقتلهم أجمعين، فاغتمّ أبو براء غمّاً شديداً لاخفار عامر بن الطفيل ذمّته ، ودعا بني عامر الى الوثوب به ،فلم يجيبوه ،فشرب الخمر صرفاً حتى مات"(٤)،وهو القائل " لا خير في العيش وقد عصتني عامر "(٥).

٤- والبرج بن مسهر الطائي(٦)،وذلك أنه سكر مرة ،فراود أخته عن نفسها فنالها، فلما أخبر بذلك " مضى هارباً إلى الشام ثم تنصّر بها ،وشرب الخمر صرفاً حتى

---

(١) - قطب السرور : ٤١٨ ،وفي المحبّر : ٤٧١ : "... وقال : عدو الرجل ابن أخيه غير أنه لا يدع قاتل عمه ".
(٢) - قطب السرور : ٤١٦ .
(٣) - ديوان عمرو بن كلثوم :١٤ ،والمحبّر : ٤٧١ .
(٤) - قطب السرور : ٤١٧ ،وفي كتاب المعمرين : ٢٩ : اكتفى السجستاني بالقول : " وشربها أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر حين خولف ".
(٥) - المحبّر : ٤٧٣ .
(٦) - في الاغاني :١٢:١٤ هو البرج بن الجلاس الطائي ،ونشوة الطرب : ١: ٩٢ .

مات ندامة على ما كان منــــه " (١) .

ونلاحظ هنا أن الانتحار بشرب الخمر الصّرف كان نتيجة عملية لعجز القــوم عن احتمال نتائج الاخلال بالنظام الخلقي العربي كاخفار الذمة ،ومخالفة كبيـــر القوم والتطاول عليه ،والوقوع في المحرمات ٠

---

(١) ــ قطب السرور : ٤٢٠ ،والرواية أكثر تفصيلاً في الأغاني : ١٤ : ١٢ ،وفـــي المحبّر : ٤٧١ ٠

الخمر في حياة العرب الدينية في الجاهلية ،وأبعاد تحريمها الأخلاقية والدينية :

كان للخمرة أيضاً دورها في حياة العرب الدينية ،فقد شكّلت إحدى المواد التي كانت تُقدّم قرابين للأصنام . هذا وقد مارس العرب السّكب : وهو سكب الخمور على الأوثان لتشربها الارض [١] . وكانت سرعة شرب الأرض للخمور لانّها من السوائل إشارة ،كما فهمها العرب ،لرضى الآلهة وقبولها للذبيحة . وقد ارتبط الشراب من حيث كونه قرباناً بفكرة انتشرت عند الساميين ،ومنهم العرب ،أن الأموات تعطش كثيراً ،وأن الشراب أسمى من الطعام في القرابين لانّه يروي عطش الروح بعد الموت[٢]. وربما لهذا السبب ارتبطت فكرة الهامة عند العرب بالعطش وطلب الارتواء ( من الخمر تحديداً ) : قال عَمْرو بن مَعْديكرب :[٣]

لُمَاحَةٌ تُنَادِي الْهَامَ مِنهُمْ بِأَرْضِنَا ... صِيَاحَ النّدامى حَوْلَ بَيْتِ تِجَارِ

وقال طرفة :[٤]

فَذَرْنِي أُرَوِّي هَامَتِي فِي حَيَاتِهَا ... مَخَافَةَ شُرْبٍ فِي الْمَمَاتِ مُصَرَّدِ
كَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ ... سَتَعْلَمُ إِنْ مُتْنَا صَدى أَيُّنَا الصَّدِي

وقال تأبط شرا [٥] :

وَلَكِنَّنِي أُرْوِي مِنَ الخَمْرِ هَامَتِي ... وَأَنْضُو المَلَا بِالشَّاحِبِ المُتَشَلْشِلِ

وقد اتصلت بهذه الكفرة مسألة اراقة الخمرة على قبر الميت من الندماء، كما كان الندامى يصبون الخمر على قبري الاعشي وابي محجن الثقفي [٦]. فقد

---

(١) - لويس شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (مطبعة الآباء اليسوعيين ،بيروت ،١٩١٢ - ١٩٢٣) : ١٥ .
(٢) - Robertson Smith : The Religion of the Semites : 235
(٣) - ديوانه : ١٠٦ .
(٤) - ديوانه : ٣٠ .
(٥) - ديوانه : ١٤٠ .
(٦) - قطب السرور : ١٢٣ : " وفتيان ارمينية يخرجون طعامهم وشرابهم فيتنزّهون عنده ،فاذا شربوا كأساً صبوه على قبره " .

قدم أحدهم اليمامة فسأل عن قبر الاعشى فأشاروا إليه ،فقال : " مالي أراه رطبا؟ قالوا : إنّ الفتيان ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم ،فاذا صار إليه القدح صبّوه عليه لقوله : أرجع الى اليمامة فأشبع من الأطيبَيْن الزنا والخمر"(١).

وربما كان من أصنام العرب ما يرمز إلى إله الخمر . فقد ورد أن مِنى هو " من الأصنام المشهورة عند بني إسرائيل في عصور جاهليتها لأننا نعلم من آيات أشعيا أنّ مِنى كان إلهاً للخمر : " وأما الذين تركوا الربّ ونسوا جبل قدسي فربقوا الى جُد ( اله الحظ عند الكنعانيين) وملأوا لمنى خمراً ممزوجاً ":( أشعيا، الاصحاح ٦٥ ،الآية ١١ "(٢). والتشابه في اسم منى قد يكون مجرد مصادفة بين منى العربية ومنى اله الخمر عند اليهود ،الا أننا نعرف آن ديانة العرب قبل الاسلام قد ارتبطت بغيرها من الديانات السامية ارتباطاً وثيقاً،ولعلّ منى قد شكّل في حقبة زمنية بعيدة الهاً للخمر عند العرب . الاّ ان ذلك يبقى مجردَ افتراض لا يقوم على دليل ملموس،هذا،ونعرف من الشعر آنّ العرب قد أقسمت في جاهليتها بالخمر :

حلفتُ له بما حجّت قريش ... وكلِّ مشعشعٍ مِل خمر آنٍ(٣)

كما نعرف أنّ كُبيّة ،وهو سادن اللاّت ،كان يسقي الناس الخمر : قال أبوخِراش في رثائه (٤):

ما لِدُبيةَ منذ العام لم آره ... وسْطَ الشُّروب لَمْ يُلْمِمْ ولَمْ يَطُف

---

(١) ـ الاغاني : ٩ : ١٢٣ .
(٢)ـ ولفنسون : تاريخ اليهود : ٨٣ .
(٣) ـ البيت لحسان بن ثابت : ديوانه : ١ : ١٣٩ .
(٤) ـ شرح أشعار الهذليين : ٣ : ١٢٢٧ .

لَوْ كَانَ حَيّاً لَغَادَاهُمْ بِمُتْرَعَةٍ ... فِيهَا الرَّوَاوِيقُ مِنْ شِيزَى بَنِي الهُطِفِ
كَابِي الرَّمَادِ عَظِيمُ القِدْرِ جَفْنَتُهُ ... عِنْدَ الشِّتَاءِ كَحَوْضِ المُنْهِلِ اللَّقِفِ
أَمْسَى سُقَامَ خَلاءً لاَ أَنِيسَ بِهِ ... إلاَّ السِّبَاعَ وَمَرَّ الرِّيحِ بِالغُرَفِ

إنّ هذه الإشارات،وإن كانت لا تقوم مقام الدليل الملموس ،توحي بأنّ العرب قد عرفت ـ على غرار غيرها من الامم القديمة ـ إلهاً يمثّل الخمر أو على الأقل دوراً هاماً للخمر فيعبادتها . إذ أنه ليس من المنطق أن ينفرد العرب عن غيرهم من الأمم في عصور جاهليتهم بنفي أثر الخمر نفياً قاطعاً من عباداتهم وشعائرهم . فقد تبوّأت الخمرة على مرّ التاريخ القديم دوراً هاماً في عبادات الشعوب تجلّى في تخصيص آلهة لها وتكريمهم وبناء المعابد والهياكل لهم ،ولهذا فان استثناء العرب من هذه الشعوب أمر مستغرب نظراً لشدة إقبالهم على الخمور وارتباطها بحياتهم الاجتماعية والاقتصادية .

وعلى الرغم منتعلق العرببالخمور على أنواعها ، فقد حرّمها البعض على أنفسهم في الجاهلية . واذا نظرنا في أبعاد هذا التحريم،تبيّن لنا أنها ذات شقين: الاول أخلاقي يرتبط بالقيم البدوية في الجاهلية ،والثاني متّصل بالتديّن أو متأثر بالشعوب الاخرى التي اتّصل بها العرب قبل الاسلام. فما هي أبعاد هذا التحريم الاخلاقيةوالدينية ؟ وهل كان تحريم الخمرة في الجاهلية يرتبط بالتّدين في أساسه ، ام أنه متعلّق بالمفهوم الخلقي العربي العام فيمعظم الحالات ؟

تحتفظ المصادر بذكر عدد من أشراف العرب وسَراتها وحكمائها وشعرائها وكل منهم حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية. واهتمام المصادر بأسباب هذا التحريم الذي فرضته قلة من العرب على أنفسهم في وقت سبق التحريم الإسلامي للخمر دليل على شيوع الخمرة وغيرها من الأشربة المسكرة بين العرب وإلاّ لما كان هناك داع لتعرّض المصادر لهذه الناحية من الحياة الجاهلية ،وانما افردت الكتب فصولاً

من هذه الناحية لتفرّدها وتميزّها . واذا نظرنا في دوافع هذا التحريم وأسبابه وجدنا أنها متشابهة في معظمها ،ومستندة الى أصل واحد : هو عدم الاخلال بالمعيار الأخلاقي العام عند العربي في الجاهلية .وأسباب التحريم عديدة ومختلفة باختلاف الأفراد ،ولكنّها تنحصر كلّها في إطار واحد ذي طابع أخلاقي عام حدوده هي تلك القيم التي درج عليها البدوي في الصحراء ، وقدّرها تقديراً كبيراً . وهي :المروءة والحلم والوفاء والجود والشجاعة والوقار والكرامة والتنزّه عن السفاهة . واللاّفت للنظر حقاً هو أنّ الجماعة التي حرّمت الخمر على نفسها ،في غالبيتها ،حرّمتها بعد أن تعاطتها طويلاً ،ودرجت عليها . وباستثناء قلّة نادرة منها لم يكن تحريم الخمر عند العرب في الجاهلية يستند الى مبدأ قاطع في الأساس ،وانما جاء التحريم نتيجة للاسراف في شرب الخمور الى حدّ السكر القبيح الذي يدفع الرجل الى القيام بأعمال يراها - ويراها مجتمعه - شائنة بالمقياس الخلقي العام حينئذٍ .

على أنّه يجب أن لاننفي وجود نوع من الحافز التديّني عند قلّة من العرب في الجاهلية يعود الى أصول حنيفية ، أو إلى أصول توحيدية عامة من جهة ، أو يعود الى تأثر هذه القلة بغيرها من الشعوب،وكان لهذا البعد الديني دور هام في تحريم الخمر عند هذه القلة ،ولكنه يبقى دوراً محصوراً بها .

فمن الشعراء الذين حرّموا الخمر على أنفسهم على أساس ديني : النابغة الجعدي ،وكان " ممن فكرّ في الجاهلية وأنكر الخمر والسّكر وما يفعل بالعقل ، وهجر الأزلام والأوثان ،وقال في الجاهلية كلمته التي أوّلها :

الحَمْدُ لِلَّهِ لا شَرِيكَ لَـــهُ ... مَنْ لَمْ يَقُلْهافنفسه ظَلَمـا

وكان يذكر دين ابراهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر"(١).

---

(١) - الاغاني : ٥ : ٩ .

ومنهم أميّة بن أبي الصّلت ،وكان " قد نظر في الكتب وقرأها ،ولبس المسوح تعبّداً ،وكان ممّن ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية ،وحرّم الخمر ،وشك في الأوثان وكان محققاً ،والتمس الدين وطمع في النبوّة ،لانه قرأ في الكتب أن نبيا يبعث من العرب فكان يرجو أن يكونه "(١).

وربما حرّمت قلة من الناس الخمر في الجاهلية متأثرة بشعائر قديمة ،فقد ورد في نقش نبطي : " هذان الهيكلان قد أقامهما عبيدو بن غانمو... لشيع القوم ( اسم اله ) الإله الطيّب المجازي الذي لا يشرب الخمر .. الخ"(٢).

ويبدو أن " شيع القوم" إله قوم من الأنباط الذين يدعو مذهبهم الى عدم شرب الخمر ،وكذلك ذكر ديودور الصقلي أن عقوبة الاعدام كانت تطبق على العرب الأنباط في أحوال معينة منها شرب الخمر(٣). الا أننا لا نستطيع أن نحكم فيما اذا كانت غالبية البدو متأثرة بهذه الشعائر القديمة . فاذا كانت كذلك تكون لتحريم الخمر أصول دينية واضحة ،وبالتالي ربما كان الشغف بالخمر وليد فترة متأخرة زاد فيها احتكاك البدو بالناس المستقرين بالحواضر ،وبالحركة التجارية آنذاك .

وفي الجهة المقابلة نرى أن غالبية الذين حرّموا الخمر في الجاهلية حرّموها لأسباب لا تتصل بالدين بقدر ما ترتبط بالمعيار الخلقي العام . وقد أفرد ابن حبيب في كتابه " المحبّر " فصلاً في من حرّم الخمر والسكر والأزلام في الجاهلية ،عدّد فيه أسماء ثمانية وعشرين رجلا من سادة القبائل المختلفة وأشرافها وشعرائها ،وذكر من ضمنهم النابغتين الجعدي والذبياني ،وقسّ بن

---

(١) - الاغاني : ٤ : ١٢٦ .

(٢) - مجموعة النقوش السامية ٨٦ ، ٤٧١ ،وديسو : العرب في سورية قبل الاسلام : ١٤٥ .

(٣) - العرب في سوريا قبل الاسلام : ١٤٥ .

ساعدة الإيادي ،وعُبيد بن الأبْرَص الأسدي ،وزهير بن أبي سلمى المزني (١). والشاعران الأخيران قد تعرّضا لذكر الخمر كثيراً في ديوانيهما (٢) مما قد يدلّ على شربهما لها قبل أن يحرّماها لأسباب مختلفة . ومن سادة القبائل الذين ذكرهم ابن حبيب : " عبد المطلب بن هاشم ،وشيبة بن ربيعة بن شمس ،وعثمان بن عفان ،وورقة بن نوفل .. ،والوليد بن المغيرة . وضرب فيها ابنه هشاماً على شربها ،والعبّاس بن مرداس السلمي ; وقال : " لا أشرب شراباً أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم .. "(٣)، وغيرهم . وفي الروايات أنّ أول عربيحرّم الخمر على نفسه في الجاهلية هو قيس ابن عاصم بن سنان ،وذلك أنّ تاجراً من بني عبد الدار (٤)جاوره وكان يتجّر في أرض العرب ،وقيل بل تاجر دبا في(٥) ،" فشرب قيس ليلة فسكر ،فربط التاجر وأخذ ماله ،وشرب من شرابه ،وجعل يتطاول ويناور النجوم ليغلبها ،وليتناول القمر ، وقال :

وَتَاجِرٌ فَاجِرٌ جَاءَ الإِلَهُ بِهِ ... كَأَنَّ عُثْنُونَهُ أَذْنَابُ أَجْمَالِ(٦)"

وقيل إنّه حرّمها إذ " أنّ خمّاراً استجار به فأنزله وأكرمه ،فسقاه الخمّار حتى سكر فأخذ رمحه وشقّ زقاق الخمر ،فوافته أخته فساورها وأرادها على نفسها ، فشقّ ثوبها وخمش وجهها ،فلما صحا وخرج ،نظر الى الخمر جارية، وجاره الخمّار يدعو

---

(١) - المحبّر : ٢٣٨.

(٢) - راجع ديوان زهير ٣٥، ٧٢، ٨٨، ١٠١، ١٣٩، ٢٦٣، ٢٦٥، ٣١٥ ،وكذلك ديوان عُبيد : ٢١، ٣٧، ٤٧، ٤٩، ٥٢، ١١٠، ١٢٣، ١٣٠، ١٣٥، ١٤٣ .

(٣) - المحبّر : ٢٣٧ .

(٤) - الاغاني : ١٤ : ٨٠ . وقيس هذا شاعر فارس شجاع حليم كثير الغارات مظفّر في غزواته أدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما ،وقد رثاه عبدة بن الطبيب فقال :

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ ... وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

الاغاني : ١٤ : ٦٦ .

(٥) - الأغاني : ١٤ : ٨٠ .

(٦) - المصدر السابق : ١٤ : ٧١ .

بالزبيل والشبور ،فرجع الى أخته ، فقال : من فعل هذا بجاري الخمار؟ قالت : الذي راود أخته وفعل بوجهها وثوبها ما ترى ،فانسحب من ذلك ، وحرّم الخمر حتى مات "[1] • وقد رُوي من قيس بن عاصم شعرٌ قاله في سبب تركه الخمر[2]،ومنه :

فيا شارب الصهباء دَعْها لأهلها | الغواة وسلم للجسيم من الأمر
فإنك لا تدري إذا ما شربتها | وأكثرت منها ما تريش وما تبري[3]

وقد اخترت أن أفرد قصة قيس بن عاصم وتحريمه الخمر بشيء من الاسهاب عمداً ، فهو ممن حرّموها في الجاهلية ،وقصته في تحريمها ،كما وردت في المصادر ، تجمع عدة أسباب معاً : فإكثاره من الخمر جعله يبتذل نفسه ،ويسيء الجوار ، ولا يرعى الحرمات •

ومن سراة القوم مِقْيَس بن صُبابة السهمي ،دفعته كثرة الشراب الى السكر الشديد القبيح ،" حتى مرّ ينادي بقومه ويخط ببوله ويقول : أصنع لكم نعامة أو بعيراً ،فلما صحا ،خُبّر بما صنع فحرّمها على نفسه ،وقال :

تركْتُ الرّاحَ إذْ أبْصرتُ رُشْدي | فلَسْتُ بعائد أبداً لراح
أأشْربُ شَرْبةً تُزْري بعِرْضي | وأفضح ضحْكة لذوي الصلاح[4]

ومنهم عبد الله بن جُدعان ،فلقد عابها ابن جدعان قبل موته ،وقال :[5]

---

(١) ـ قطب السرور : ٤١٩ •
(٢) ـ المحبّر : ٢٣٨ ،وقطب السرور : ٤١٩ •
(٣) ـ الاغاني : ١٤ : ٨٠ •
(٤) ـ المحبر : ٢٣٧ ،وقطب السرور : ٤٢١ •
(٥) ـ المحبّر : ٢٤٠ ،والاغاني : ٨ : ٣٣٤ ، وقطب السرور : ٤٢٣ •

شَرِبْتَ الْخَمْرَ حَتّى قَالَ قَوْمِي ... أَلَسْتَ عَنِ السَّفَاهِ بِمُسْتَفِيقِ
وَحَتّى مَا أُوَسَّدُ فِي مَنَامٍ ... أَنَامُ بِهِ سِوى التُّرْبِ السَّحِيقِ
وَحَتّى أَغْلَقَ الْحَانُوتُ رَهْنِي ... وَأَنْكَرْتُ الْعَدُوَّ مِنَ الصَّدِيقِ

وكان " سبب تركه الخمر أن أميّة بن أبي الصّلت شرب(١) معه فاصبحت عين أمية مخضرّة يُخاف عليها الذهاب . فقال له : ما بال عينك ؟ فسكت ،فلما ألحّ عليه ،قال له : أنت صاحبها أصَبْتَها البارحة . فقال : أوبلغ مني الشراب الذي أبلغ منه من جليسي هذا . لا جَرَم لأدِيَنَّها لك ديتين ،فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وقال : الخمر عليّ حرام أن أذوقها أبداً ،وتركها من يومئذٍ "(٢).

وقد كانت كُبَراء قريش تترك شرب الخمر عندما تتقدّم في السنّ خوفاً من الاسراف في شربها ،و "استحياء مما فيها من الدّنس "(٣) ،ويمكننا الذهاب الى أبعد من ذلك فنقول إنّ تحريم الخمر في الجاهلية في غالبه كان جزءاً من تحريم لذّات الجاهلية عند الكبراء تنزّهاً وتكرّماً ،وصوناً لوقار الشيخوخة . تلك اللّذات التي كانت أيام الشباب مصدراً من مصادر الفخر ،وهي المَيْسِر والخمر والنّساء .. وقد ذكر ابن حبيب أنّ من حرّم الخمر في الجاهلية حرّم معها الأزلام(٤) ،ومنهم من حرّم الزنا(٥). فمنهم عفيف بن معديكرب الكندي ،وبهذا سمي عفيفاً وكان اسمه شراحيل (٦). ومنهم الأسْلوم اليامي الذي قال(٧):

---

(١) - يبدو أن أمية بن أبي الصلت كان قد حرّم الخمر على أساس تديّني كما ذكرت ، وطمعٌ بالنبوّة ،ولكننا نعثر على روايات تؤكد شربه للخمر بعد مبعث النبي، وهذه الرواية إحداها .

(٢) - الأغاني : ٨ : ٣٣٤.
(٣) - المصدر السابق : ٨ : ٣٣٤ .
(٤) - المحبّر : ٢٣٧ .
(٥) - المصدر السابق : ٢٤٠ - ٢٤١ .
(٦) - المحبر : ٢٣٩ ،وقطب السرور : ٤٢١ ،وقال :

وَقَالَتْ لِيْ هَلُمَّ إِلى التَّصابي ... فَقُلْتُ عَفَفْتُ عَمّا تَعْلَمِينَا
وَوَدَّعْتُ الْقِدَاحَ وَقَدْ أَرَانِي ... بِهَا فِي الدَّهْرِ مَشْغُوفاً رَهِينَا
وَحَرَّمْتُ الْخُمُورَ عَلَيَّ حَتّى ... أَكُونَ لِقَعْرِ مَلْحُودٍ دَفِينَا

(٧) - المحبّر : ٢٣٩ .

سَالَمْتُ قَوْمِي بَعْدَ طُولِ مُظَاظَةٍ ... وَالسِّلْمُ أَبْقَى فِي الأُمُورِ وَأَعْرَفُ
وَتَرَكْتُ شُرْبَ الرَّاحِ وَهْيَ أَثِيرَةٌ ... وَالمُومِسَاتِ وَتَرْكُ ذَلِكَ أَشْرَفُ
وَعَفَفْتُ عنه يا أُمَيْمَ تَكَرُّمًا ... وَكَذَاكَ يَفْعَلُ ذو الحِجَى المُتَعَفِّفُ

ويدفعنا هذا الى القول إنّ تحريم الخمرة وهي الأثيرة لم يكن مقصودا لذاتها من منطلق ديني ،وانما كان القسم بتحريمها هو الملزم دينياً للرجل : فتحريم الخمرة ينبع من منطلقات أخلاقية في الدرجة الأولى ،ويعبّر عن نفسه باتّخاذه الشكل الديني المتجسّد بالقسم أو النذر .

وهناك ناحية أخرى من نواحي الحياة الجاهلية حُرّمت فيها الخمر كما حرّمت غيرها من اللّذات،وهي حالة الثأر والوِتْر قد تكون ذات صلة بما سبق . ويذهب بعض الدارسين الى أن في تحريمها أصولاً دينية (١) . فقد كانت العرب تقسم على ألاّ تكتحل ولا تمسّ طيباً ،ولا تأكل لحماً ،ولا تشرب خمراً ولا تغسل رأسها ولا تمسّ امرأة حتى تدرك الثأر (٢). وبمعنى آخر كانت تحجم عن كل أنواع اللّذات المباحة وهي في حالة الاستعداد للثأر ،حتى إذا ما نالت ثأرها حلّت لها هذه اللّذات . قال أمروء القيس بعد الثأر لأبيه :(٣)

---

(١) - Goldziher, Ignaz. Muslim Studies, vol. I, p. 30.

(٢) - الأغاني : ١٠ : ١٣ ،وفيها أن دُرَيْداً بن الصّمة فعل ذلك حتى ثأر لأخيه ، والأغاني : ٧١:١٧ : أقسم حُضير الكتائب ألا يشرب الخمر حتى يهدم أطم عبد الله بن أبي ،وفي الأغاني : ٩ : ٨٦ : أن امرأ القيس لما علم بمقتل أبيه شرب سبعاً ،فلما صحا آلى ألاّ يأكل اللحم ولا يشرب الخمر ولا يدّهن بدهن ولا يصيب امرأة ،ولا يغسل رأسه من جنابة حتى يدرك بثأره من بني أسد .

(٣) - ديوانه : ٢٥٨ . وارجع الى ما كان قاله قبل الثأر لأبيه : ديوانه : ٢٥٧:

لاَ تُسْقِنِي الخَمْرَةُ إِنْ لَمْ يَسْرُوا ... قَتْلَى فِئَاماً بِأَبِي الفَاضِلِ
حَتَّى أُبِيرَ الحَيَّ مِنْ مَالِكٍ ... قَتْلاً وَمَنْ يَشْرُفُ مِنْ كَاهِلِ

فئاماً : جماعات . مالك وكاهل : حيّان من أسد .

حَلَّتْ لِيَ الْخَمْرُ وَكُنْتُ امْـرَأً
عَنْ شُرْبِهَا فِي شُغُلٍ شَاغِـلِ

فَالْيَوْمَ فَاشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ
إِثْمَاً مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاغِـلِ

وربما المقصود بالاثم من الله هنا النكوث بالقسم والنذر .

ومن الطبيعي ان يحجم المرء عن اللذّات وهو في حالة الحزن لموت قريب ، أو في حالة الثأر له . أما إرجاع مسألة تحريم اللذّات في مثل تلك الحالات الى أصول دينية بحتة فهي محاولة ترجيحية في الغالب . ومرّة أخرى نلحظ كيف تتقمّص دوافع التحريم أشكالا دينية ،فيصبح القسم أو النذر هو الملزم للرجل بالتحريم وهذا شيء متّصل بالدين . قال قَيس بن الخَطيم (١) :

وَمِنَّا الَّذِي آلَى ثَلَاثِينَ لَيْلَـةً
عَنِ الْخَمْرِ حَتَّى زَارَكُمْ بِالْكَتَائِبِ

وَلَمَّا هَبَطْنَا الْحَرْثَ قَالَ أَمِيرُنَا
حَرَامٌ عَلَيْنَا الْخَمْرُ مَالَمْ نُضَارِبِ

فَسَامَحَهُ مِنَّا رِجَالٌ أَعِـزَّةٌ
فَمَا بَرِحُوا حَتَّى أُحِلَّتْ لِشَـارِبِ

ويبدو أنّ العرب حرّمت على نفسها الخمر وغيرها من اللذّات حتى تأخذ بثأرها لسبب آخر وهو أن لا تشكّل اللذّات عائقاً عن الثأر ،ولا يكون اللهو والانشغال بـه مدعاة الى ترك الغريم . قال عُبيد بن الأبرص (٢) يعيّر امرأ القيس بانصرافه الى

---

= وأيضاً ما قاله بعد الثأر ،وهو يوضح النذر بالتحريم :ديوانه : ٣٦٠ :ومنها :

وَأَقْوَامٍ يُسْقِي الرَّاحَ فِي هَامَاتِهِمْ
مَلِيكٌ يُعَلُّ بِشُرْبِهَا تَعْلِيـلَا

حَلَّتْ لَهُ مِنْ بَعْدِ تَحْرِيمٍ لَهَـا
أَوْ أَنْ يَمَسَّ الرَّأْسَ مِنْهُ غُسُـولَا

(١) ــ ديوانه : ٤٤ ــ ٤٧ ،بعد البيت الاول يوجد خمسة أبيات لم أذكرها .

(٢) ــ ديوان عبيد : ٧٤ . والقراقر : الحادي الحسن الصوت . وراجع كذلك ،ديوانه : ١٠٢

وَأَنْتَ امْرُؤٌ أَلْهَاكَ دُفٌّ وَقَيْنَـةٌ
فَتُصْبِحُ مَخْمُوراً وَتُمْسِي كَذَلِكَـا

عَنِ الْوِتْرِ حَتَّى أَحْرَزَ الْوِتْرَ أَهْلُهُ
وَأَنْتَ تُبَكِّي إِثْرَهُ مُتَهَالِكَـا

اللهو وتركه ثأر أبيـــه :

سَقَيْنَا امْرَأَ الْقَيْسِ بنَ حُجْرِ بْنِ حَارِثٍ ... كُؤُوسَ الشَّجَا حَتَّى تَعَوَّدَ بِالْقَهْرِ
وَأَلْهَاهُ شُرْبٌ نَاعِمٌ وَقُرَاقِـــرٌ ... وَأَعْيَاهُ ثَأْرٌ كَانَ يَطْلُبُ فِي حُجْرِ

وقد كانت بعض النساء تحلف بأن تشرب الخمر إذا أدركت ثأرها إسوة بالرجال، فقد نذرت سلافة بنت سعد بن شهيد " حين قُتل عاصم بن ثابت ابنها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربنّ في قحفه الخمر "(١) ،وكانت قد جعلت جائزة لمن يأتيها برأس عاصم .

من هنا نفهم أن الخمرة حُرّمت في مسألة الثأر حتى لا تُلهي صاحبها عن الوتر - وهذا من المقدّسات المبدئية في المجتمع القبلي - حتى اذا أصاب صاحب الثأر ثاره أُبيحت له من جديد ،فعاد إليها عودة فرحة :

حَلَّتِ الْخَمْرُ وَكَانَتْ حَرَامًا ... وَبِلَأْيٍ مَا أَلَمَّتْ تَحِلُّ
فَاسْقِنِيهَا يَا سَوَادُ بْنَ عَمْرٍو ... إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَخَلُّ(٢)

هذا وقد أشار د. ربرتسون سميث الى أن الولاء للقبيلة عند الفرد البدوي كان يفوق ولاءه الديني ، فقد كان العربي آنذاك قليل الايمان ،وقليل الاهتمام بالشعائر ،ولكنه كان محتفظا بالولاء الحقيقي للقبيلة باعتبارها رمز كيانه ووجوده السياسي (٣) . ولا شك أنّ شرعة القبيلة التي تقوم على مبدأ المروءة

---

(١) -الأغاني : ٤ : ٢٣٠ .
(٢) - ديوان تأبط شرا : ١٦٩ .
(٣) - The Religion of the Semites : 47.
ويسوق لذلك مثال ضرب امرىء القيس للصنم بالقداح حين نهاه عن الثأر لابيـه .

وكل ما يندرج فيها : كالحلم والمروءة والحكمة والشجاعة والكرم الخ.. كانت ملزمة للجاهلي الى حدّ بعيد . وهذا ما يجعلنا نغلّب الأبعاد الأخلاقية المتعلقة بتحريم الخمر على الأبعاد الدينية حتى لو تزيّت السبل الى التحريم بلباس ديني.واذا سلّمنا بأنّ تأثر العرب في تحريم الخمر كان يتّصل بشعائر قديمة فلا بد من القول إنّه كان يفقد أثره تدريجياً قبيل الإسلام ،وليس أدلّ على ذلك من سرقة فتيان قريش لغزال الكعبة وشرائهم الخمر بثمنه [1]،وقبلها قصة بيع أبي غبشان البيت لقصيّ بن كلاب بن مرّة ببعير وزقّ خمر [2].

---

(١) - القصة في المنمق لابن حبيب وهي طويلة : ٥٤ - ٦٧ .
(٢) - راجع القصة في المسعودي : ٢ : ١٧٥ .

## الخمر ولذّات الجاهلية :

إنّ انتشار الخمرة بين العرب جعلها فيطليعة اللذّات الحسية عندهم في الجاهلية . وقد ورد في الشعر أنّ الخمر والميسر هما لذّتا الجاهلية الأساسيّتان : قال لبيد [(١)]

أُغْلِي بِهَا الإِنَّ الجَمِيعُ وَفِيهِمُ قَبْلَ التَّفَرُّقِ مَيْسِرٌ وَنِدَامُ

وقال عنترة [(٢)] مفتخراً بممارستهما ، وقارناً بينهما :

رَبِذٍ يَدَاهُ بِالقِدَاحِ إِذَا شَتَا هَتَّاكِ غَايَاتِ التِّجَارِ مُلَوَّمِ

أما اللذّات الثانوية فقد تنوّعت ، فكان منها النساء والصيد والطرَد والاطعمة والتطيّب بالزعفران وغيرها . وهي لذّات كان العرب يمارسونها قبل الاسلام ، ولكنها كانت تختلف في أهميتها بين فرد وآخر . هذا وقد ارتبط ذكر الخمرة في الشعر بذكر غيرها من لذات الجاهلية ارتباطاً وثيقاً ، اذ يندر أن نقع على أبيات تذكر الخمرةوحدها . وغالباً ما كان ذكر الخمر يستدعي ذكر غيرها من اللذات السائدة وكأن الخمر سبيلها وبابها . قال عديّ بن زيد [(٣)]:

مَنْ سَرَّهُ العَيْشُ ولذاتُهُ فَلْيَجْعَلِ الرَّاحَ لَهُ سُلَّمَا

ولقد حفل الشعر الجاهلي بوصف اللذات ، ولكنه كان دائماً يُبَوِّىءُ الخمرة مكاناً هاماً بينها ، وهو لا يحتوي على قصائد مخصصة لوصف الخمر أو غيرها من

---

(١) - ديوانه : ٢٨٨ .
(٢) - شرح القصائد العشر للتبريزي : ٢٦٩ .
(٣) - ديوانه : ١٦٦ .

اللذات ،ولكنّ هذا الوصف كان يجيء في سياق القصيدة وضمن موضوعات أخرى مختلفة. وكان لوروده على هذا الشكل أسباب هامة هي الأسباب عينها التي دفعت العرب الى الاقبال على شرب الخمور ،وهي الخوف من الموت وما يعنيه من مصير مجهول ،والرّد على العاذلين باسترجاع ذكريات الشباب ولهوه خوفاً من الشيخوخة . ولعلّ ما يفسّر ورود وصف الخمر وغيرها من اللذات هو موقف التعلق بالحياة الذي يتجلّى بأوضح معانيه بمباشرة لذّات هذه الحياة الحسيّة ،والذي يتّخذه الانسان ملجأ وملاذاً من الشعور المطبق باللاجدوى والعجز البشري أمام فكرة الموت .إنّ هذه المواجهة بين الانسان بكلعجزه وضعفه وبين فكرة الموت كمصير محتوم قد أدّت الى فلسفات ذاتية غير معقّدة عند الشعراء . فكان تعبيرهم عنها في الشعر تعبيرا عفوياً عن مشكلة الانسان والموت والهروب من مواجهة هذه المشكلة بالتعلّق بلذّات الحياة في مجتمع لم يبلغ درجة البناء الفلسفي لقضية الوجود .

لقد كان شاهد القبر ماثلاً دائماً في ذهن العربي فيالجاهلية كعنوان لمصير مجهول . وكان عجز الناس أمام هذا المصير يحيلهم الى " عصافير وذبان ودود "(١) رغم ما يتظاهرون به من قوة وبأس . والانسان في عمق الوعي البدوي زائل ،فهو لا يملك خلود هذه الجبال المنتصبة أمامه بصلابة وانما " نَفْسُ الفَتَى رُهْنٌ بِقَمْرَةِ مُؤْرِبِ "(٢)،وهو بالتالي لا يملك أداة يدفع بها هذا المصير عنه ، أو مكاناً يحتمي به ويهرب اليه إذ :

لاَ يَنْفَعُ الهَارِبُ إيغَالُهُ ... وَلاَ يُنَجِّي ذَا الْحَذَرِ الْحَذَارْ(٣)

والموت : هذا المجهول المتربّص بالانسان، المهدد له في كل حين ،ما هو

---

(١) - امروء القيس : ديوانه : ٩٧ .
(٢) - شرح ديوان لبيد : ٥ .
(٣) - المثقب العبدي : ديوانه : ٢٧٥ .

الا " كَالطِّوَلِ الْمُرْخَى وَثِنْيَاهُ في اليَدِ "(١) ،والمنايا في نظر الجاهلي تخبط " خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ "(٢)،ولهذا لم يجد الجاهلي تعريفاً منطقياً للموت، فالموت هو الموت بغموضه وحتميته وتحديه للانسان : " وهذا الموت يسلبني شَبابي "(٣) ،ولهذا أيضاً كان شاهد القبر حاضراً في مخيلة الجاهلي وفي شعره : " فَلَا مُحَالَةَ مِنْ قَبْرٍ بِمُحْنِيَةٍ "(٤)،فكان من وجوه التغلب على الضعف الانساني إزاء الموت مزاولة اللذات وفي مقدمتها معاقرة الخمر :

أَلَا فَاسْقِيَانِي قَبْلَ أَخْبَرِ مُظْلِمٍ بَعِيدٌ مِنَ الأَحْبَابِ مَنْ هُوَ نَازِلُهْ(٥)

أما الشيخوخة فكانت تشعره بالعجز ،وبأنه كان يمشي إلى ذلك المصير بخطوات بطيئة ثابتة ،ولهذا شكّل الحنين الى الشباب وتداعي ذكرياته بحماس غناشي مادة هامة في القصيدة الجاهلية بوجه عام ،شكّلت بدورها ملجأ وملاذاً من هذا المصير القريب حيث كان الشاعر يحاول أن يعيد للشباب نبضه وزخمه : فنراه تارة يقاتل أعداءه بشراسة وبطولة ،وطوراً يقطع المفازات الخطرة على الناقة الصلبة الخ .. وقد كانت اللّذات وفي طليعتها الخمر إحدى أهم المحطّات في انسياب الذاكرة هذا ،واستعادة مآثر الشباب (٦).

---

(١) - ديوان طرفة : ٣٢ .
(٢) - شرح ديوان زهير : ٢٩.
(٣) - امروء القيس : ديوانه : ٩٧ .
(٤) - أوس بن حجر : ديوانه :٧٣ ،ورويت لعبيد بن الأبرص : ديوانه : ٥٢ .
(٥) - قاله مرّة بن محكان السعدي : حماسة البحتري : ٢٣٨ .
(٦) - راجع لهذا الشأن غالب قصائد الأعشى ،وشرح ديوان لبيد : ٤ - ٨ ،وديوان المثقب العبدي ، ٢٧٤ ،والاسود بن يعفر : الصبح المنير : ٢٩٦ .. والشعر في ذلك كثير .

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ أُفْقِدْ بِهِ إِذْ فَقَدْتُهُ أَمَمَا
قَدْ كُنْتُ فِي مَيْعَةٍ أُسَرُّ بِهَا أَمْنَعُ ضَيْمِي وَأَهْبِطُ العُصَمَا
وَأَسْحَبُ الرَّيْطَ وَالبُرُودَ إِلَى أَدْنَى تِجَارِي وَأَنْفُضُ اللِّمَمَا(١)

ولكن الفتى " شُبَابَةٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ مُعَارٌ "(٢) ،ولهذا فهو يستغل هذا الشباب في التمتع باللذات :

تَمَتَّعْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ فَانٍ مِنَ النَّشَوَاتِ وَالنِّسَاءِ الحِسَانِ(٣)

إنّ اقتران فكرة اللّذة بالهرب من الموت عن طريق الخمر تطوّرت عند بعض الجاهليين الى حدّ بعيد ،وقد عبّر عدد من الشعراء عن هذا التطور بما يشبه فلسفات عفوية ذاتية أساسها التعلّق بالحياة والتمسك بها من خلال مبادرة اللذات إبقاءً على وجود الفرد الذاتي وتفرّده . كما كان التعبير عن هذه الفلسفات غطاءً ظاهراً لشعور قاتم بالعجز واللاجدوى ; فتحولت عند امرىء القيس الى مزيج من لذات أربع : الخمر والصيد والمرأة والسفر في الليل (٤) . واتخذت عند طرفة شكل مزيج لذّات ثلاث : الخمر والقتال والمرأة (٥). اما الأعشى فتخيّر الأحامرة الثلاث " : " الخمر واللحم السمين مع الطلى بالزعفران "(٦)،وقرن الحارث بن حلزة بين الخمر والصيد (٧) ،وأما حسان بن ثابت ففضّلها لأنها تذهب الحزن والهمّ(٨).

---

(١) - ديوان عمرو بن قميئة : ٥٠ .
(٢) - ديوان المثقب العبدي : ٢٧٤ .
(٣) - ديوان امرىء القيس : ٨٧ .
(٤) - المصدر السابق : ٢٤٠ .
(٥) - ديوان طرفة : ٢٨ - ٢٩ .
(٦) - الصبح المنير : ٢٤٧ .
(٧) - ديوانه : ٢٨ .
(٨) - ديوانه : ١ : ٤٤٢.

في هذا السياق نستطيع أن نفهم تعلّق العرب بالخمر . فقد كانت بالنسبة اليهم سُلّماً للذات العيش (١) ،وملاذاً من القلق والعجز. وقد بلغ بعضهم حدّاً من التعلّق بها حتى ساواها بمنزلة الاخوة والاصدقاء :

لَعَمْرُكَ إنّني لأُحِبُّ كَعْبًا ... وَسَامَةَ إخْوَتِي حُبّي الشَّرَابَا (٢)

---

(١) – عدي بن زيد : ١٦٦ .
(٢) – الحرث بن ظالم من بني مرّة : ديوان المفضليات : ١ : ٦٢٠ ،والشاعر من سادات بني مرة ،وبه ضرب المثل : " أفتك من الحرث بن ظالم " .

# الفصـــل الثالـــث

## الخمـــرة في الشعـــر الجاهلـــي

الصـــورة الخمرية في الشعر الجاهلي :

لقد استعملت الصور الفنية المتعلّقة بالخمرة وأوانيها ومجالسها وماتثيره في النفس من خدر ونشوة كثيراً في الشعر الجاهلي لوصف غيرها من الاشياء المادية والمواقف وحالات الشعور . وبهذا فتح أدب الخمرة باباً آخر للصور والأدوات التي رفدت غيرها في نسيج ذلك الشعر . وكغيرها من الصور الفنية الجاهلية تميّزت الصور الخمرية بالمادية في التشبيه في الغالب الأعمّ ؛ كوصف الشيء بالشيء بإبراز وجه الشبه بينهما والإشارة إليه تعريضاً أو تصريحاً ،ولكنها سمحت ،في حالات قليلة ،بمستوى من التجريد لم يكن كثير الشيوع في الشعر الجاهلي تجلّى في استعارة حالة الخدر والنشوة لوصف غيرها من حالات الشعور المنفصلة عنها . والواقع أننا حين نبحث موضوع الخمرة في الجاهلية ،ندهش لهذا الموروث من الصور الخمرية التي أدرجت لوصف غيرها من مظاهر الحياة الجاهلية ،مما يؤكد ،كما قد رأينا ، انتشار الخمرة بين العرب ،وتغلغلها في حياتهم فاستخدمت صورها الأليفة لتفسير غيرها من الصور ،وشرحها ،وتقريبها الى الفهم والحسّ والخيال . وهذا يدفعنا بدوره الى التمييز بين نوعين رئيسيين من الصور الخمرية من حيث ارتباطها بالقصيدة الجاهلية فنياً وبنيوياً . فالأول هو الصورة البسيطة الواصفة ، أو الصورة الصغرى التي تدرج في القصيدة مع غيرها من الصور المختلفة لوصف الفكرة على غير وجه ،فتكسب القصيدة نضارة وألواناً جاعلة منها ما يشبه الفسيفساء ولكنّها لا ترتبط ببنية القصيدة ارتباطاً أساسياً ،ولا تشكّل فيها موضوعاً خمرياً بحدّ ذاتها . وهذا النوع من الصور شائع في الشعر الجاهلي الى حدّ بعيد . ويبقى أن التمايز في تخيّر هذه الصور الصغرى مرتبط بتميّز الشعراء وبراعتهم ارتباطاً هاماً ،ولكنّه يبقى محكوماً بالتقليد الجاهلي - المادي في غالبه - الذي رفد أيضاً الصورة الخمرية ،ووضع لها حدودها في التشبيه والوصف وأبرزها تشبيه رضاب الحبيبة بالخمر ،والخمر الصافية بعين الديك،ولعاب

الجندب ،وماء النيء ،ولونها بدم الذبيح أو دم الغزال الخ ...

أما النوع الثاني فهو الصورة المركبة أو الصورة الكبرى : المادة الخمرية التي تشكّل قسطاً هاماً من بنية القصيدة ،وتمدّ لها فيها جذوراً بعيدة وبدونها لا تكون القصيدة إياها . غير أنها لا تحقّق للقصيدة وحدة عضوية كاملة إلاّ في حالات نادرة يسيرة ،وهذه قضية ترتبط بالقصيدة الجاهلية عامة .والصورة الخمرية الكبرى قليلة في الشعر الجاهلي قياساً الى غزارة الشعر إلاّ أن يكون قد ضاع منه ما ضاع . وفي هذا النوع أيضاً تتمايز القصائد بتمايز الشعراء ، فتشكّل الصورة الكبرى عند أَوْس بن حُجْر في (وَدِّعْ لُمَيسَ وَدَاعَ الصَّارِمِ اللاَّحِي )، وعند حسّان بن ثابت في (أَسَأَلْتَ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ ) موضوعاً من موضوعات القصيدة ،ومناخاً من مناخاتها المتعدّدة . وتشكّل عند عديّ بن زيد في ( بَكَرَ العَاذِلُونَ فِي وَضَحِ الصُّبْحِ ) مادة للقصيدة برمّتها على أساس الوصف ،وفي قصيدته ( أَبْلِغْ خَلِيلِي عَبْدَ هِنْدٍ )أحد قطبيّ الصراع النفسي الحاد بين نشوة الذاكرة وترفها من جهةوقساوة الحاضر المشدود الى القدّ في الأسر من جهة أخرى . ثم تتطوّر في قصيدة أبي ذُؤَيْب الهُذَلي (أَبِالصَّرْمِ مِنْ أَسْمَاءَ حَدَّثَكَ الَّذِي ) ،وتتعمّق فتصبح عنده مفتاحاً يهديه الى نوع من الوحدة العضوية الفريدة في القصيدة الجاهلية . وهي تتسع ،وتتطرد لتجعل من شعر الأعشى قاموساً خمرياً ،وسجلاً للصور الوصفية للخمرة لكونها الموضوع والهدف ومحور التغنّي ،جاعلةً من الأعشى المؤسس لمن جاءمن بعده من الشعراء الخمريين من حيث الألفاظ الخمرية والصور الوصفية المتعلقة بها .

ونلمح نوعاً ثالثاً من الصور الخمرية هو في المنزلة الوسطى بين سابقيه . ولعل أبرز مثال لهذا النوع هو صورة تشبيه ريقة المرأة ورضابها بالخمر أو العكس بالعكس . وهي الصورة الغالبة على غيرها من الصور الخمرية حتى ليمكن القول أن شاعراً لم يفته أن يذكرها تقريباً . وقد جعلتها في المنزلة

الوسطى لأنّها في أحيان كثيرة تشكّل مجرد صورة وصفية بسيطة متكرّرة ،وفي أحيان أخرى نراها المفتاح الأساسي لايراد المادة الخمرية في الصورة الكبرى . وهي في أحيان أخرى تراوح حدّاً من التردّد على الحافة بين الصورتين ،فتتعدى الصورة الصغرى طامحة الى الصورة الكبرى ولكنها تعجز عنها قاب قوسين أو أدنى ، كما سنرى .

لقد كثرت الصور الخمرية في الشعر الجاهلي ،وكذلك تعدّدت الاشياء والنواحي الاجتماعية التي وصفتها بدءا بالوقوف على الاطلال والمنازل ،ومروراً بوصف الاشياء المادية المتعددة ،وانتهاء بالفخر والمدح والرثاء ،والتحية بالشراب ، حتى أنه يمكن اعتبار هذه الصور اداة طيّعة لوصف الأغراض المعروفة في الشعر الجاهلي ،مما جعلها قادرة - في بعض الحالات - على استحداث أسلوب جديد للتعرّض لهذه الموضوعات المعروفة في الشعر ،واظهارها بأشكال جديدة ،وأبعاد تتجاوز الحدود المرسومة والمتّفق عليها ،أو تتحدّاها في أحوال نادرة .

لقد كانت بدايات القصائد الجاهلية - ما خلا قصائد الرثاء - تتراوح بين الوقوف على الأطلال ،وتذكر الحبيبة ،وطروق الخيال ،وذكريات الشباب المنصرم ، والشكوى من الأرق والسهادلفراق الحبيبة . وكانت هذه البدايات أشبه ما تكون بعرف مفروض ، أو تقليد موروث . هنا دخلت الخمرة لتشكل استهلالاً جديداً للقصيدة الجاهلية . ولكن هذا الاستهلال ظلّ - الاّفي حالات نادرة - محاولة خجولة متحفّظة للإطاحة بالوقوف بالطلل كفاتحة للقصيدة منذ القديم ، فأبقى البعض عليه ، وطعّمه بصورة خمرية جميلة : هي تصوير الأحاسيس التي يشعر بها الواقف بالطلل بمشاعر الخدر والنشوة والدوار عند المنتشي بالخمر . ولكن هذه البدايات الخمرية ظلت في معظم الاحيان مقتصرة على وصف حالة الشعور ،فلم تنجح في مدّ جذورها البعيدة في القصيدة برّمتها . ويبقى التمايز بين الشعراء في هذه البدايات هو ذلك الوصف التفصيلي الدقيق للخمرة وللحركة التي تحدثها في

الشارب ، لا في علاقتها ببنية القصيدة . وهذان نموذجان للتمثيل والمقارنة :

١ - قال عوف بن عطية الربابي :(١)

| | |
|---|---|
| أمِنْ آلِ مَيٍّ عَرَفْتَ الدِّيَـارَا | بِحَيْثُ الشَّقِيقُ خَلَاءً قِفَـارَا |
| كَأَنَّ الظِّبَاءَ بِهَا وَالنِّعَـا | جَ أُلْبِسْنَ مِنْ رَازِقِيٍّ شِعَـارَا |
| وَقَفْتُ بِهَا أُصُلاً مَا تُبِيـ | ـنُ لِسَائِلِهَا الْقَوْلَ إِلَّا سِـرَارَا |
| كَأَنِّي اصْطَبَحْتُ عُقَارِيَّـةً | تَصَعَّدُ بِالْمَرْءِ صِرْفًا عُقَـارَا |
| سُلَافَةُ صَهْبَاءَ مَاذِيَّـةً | يَفُضُّ الْمُسَابِئُ عَنْهَا الْجِرَارَا |

وهنا يقطع الشاعر الصورة الخمرية فينطلق الى موضوعات القصيدة الأخرى .

٢ - وقال امرؤ القيس :(٢)

| | |
|---|---|
| لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتُهَا بِسُحَـامِ | فَعَمَايَتَيْنِ فَهَضْبِ ذِي أَقْـدَامِ |
| فَصَفَا الْأَطِيطِ فَصَاحَتَيْنِ فَغَاضِـرٍ | تَمْشِي النِّعَاجُ بِهَا مَعَ الْآرَامِ |
| دَارٌ لِهِنْدٍ وَالرَّبَابِ وَفَرْتَنَـى | وَلَمِيسَ قَبْلَ حَوَادِثِ الْأَيَّـامِ |
| عُوجَا عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لِأَنَّنَا | نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ خِذَامِ |
| أَوَمَا تَرَى أَظْعَانَهُنَّ بَوَاكِـرًا | كَالنَّخْلِ مِنْ شَوْكَانَ حِينَ صِـرَامِ |
| حُورٌ تُعَلَّلُ بِالْعَبِيرِ جُلُودُهَـا | بِيضُ الْوُجُوهِ نَوَاعِمُ الْأَجْسَـامِ |
| فَظَلِلْتُ فِي دِمَنِ الدِّيَارِ كَأَنَّنِي | نَشْوَانُ بَاكَرَهُ صَبُوحُ مُـدَامِ |
| أُنُفٍ كَلَوْنِ دَمِ الْغَزَالِ مُعَتَّـقٍ | مِنْ خَمْرِ عَانَةَ أَوْ كُرُومِ شِبَـامِ |
| وَكَأَنَّ شَارِبَهَا أَصَابَ لِسَانَـهُ | مُومٌ يُخَالِطُ جِسْمَهُ بِسَقَـامِ |

---

(١) - ديوان المفضليات : ١ : ٨٣٧ - ٨٣٨ .
(٢) - ديوان امرىء القيس : ١١٤ - ١١٥ .

وبعد هذا الوصف المطوّل لدقائق الأشياء من المنازل الى وصف النعاج والارام، ووصف ظعن القوم يخلص الى وصف خدره ودواره بشارب الخمر الذي أضرته الخمر فمرض وعجز عن الكلام . وهنا أيضاً يقطع الشاعر هذه الصورة ليستكمل باقي موضوعات القصيدة (١) .

وفي الجهة المقابلة نجد محاولتين فريدتين متطوّرتين في خرقهما لحدود المألوف من استهلال القصائد . وهما تبدآن بذكر الخمر دون غيرها مؤسستين لما سيأتي في المستقبل من قصائد خمرية . والقصيدتان لا تحتويان على السخرية اللاذعة من موقف الوقوف بالطلل الذي سنراه عند أبي نواس فيهما بعد ( عَاجَ الشَّقِيّ عَلَى رَسْمٍ يُسَائِلُهُ وَعُجْتُ أَسْأَلُ عَنْ خَمَّارَةِ البَلَدِ )، وانما ترسم كلّ منهما قيمة للخمرة وكفايتها في كونها موضوعاً جديراً باستهلال القصيدة . وفي كلتا القصيدتين ارتباط بين هذا الاستهلال بذكر الخمر وباقي القصيدة بشكل او بآخر .

---

(١) ـ هذه البدايات تكرّرت في الشعر على هذا النحو :

راجع ديوان عدي بن زيد : ١٠٢ :

أَتَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدِ ... نَعَمْ فَرَمَاكَ الشَّوْقُ بَعْدَ التَّجَلُّدِ

ظَلِلْتُ بِهَا أَسْقَى الغَرَامَ كَأَنَّمَا ... سَقَتْنِي النَّدَامَى شَرْبَةً لَمْ تُصَرَّدِ

وعَبيد بن الأبرص : ١٢٣ :

أَمِنْ رُسُومٍ نَأْيُهَا نَاحِلُ ... وَمِنْ دِيَارٍ دَمْعُكَ الهَامِلُ

أَجَالَتْ الرِّيحُ بِهَا ذَيْلَهَا ... عَاماً وَجَوْنٌ مُسْبِلٌ هَاطِلُ

ظَلْتُ بِهَا كَأَنَّنِي شَارِبٌ ... صَهْبَاءَ مِمَّا عَتَّقَتْ بَابِلُ

وسلامة بن جندل : ١٥٨ :

وَقَفْتُ بِهَا مَا إِنْ تُبِينُ لِسَائِلٍ ... وَهَلْ تَفْقَهُ الصُّمُّ الخَوَالِدُ مَنْطِقِي

فَبِتُّ كَأَنَّ الكَأْسَ طَالَ اعْتِيَادُهَا ... عَلَيَّ بِصَافٍ مِنْ رَحِيقٍ مُرَوَّقِ

وكعب بن زهير: ٢٥١: وفيها يفسّر أسباب ارتياد الطلل بالتداوي بها من الشوق كلجوء المخمور الى الخمر:

مَا يَجْمَعُ الشَّوْقُ إِنْ دَارٌ بِنَا شَحَطَتْ ... وَمِثْلُهَا فِي تَدَانِي الدَّارِ مَهْجُورُ

نَشْفَى بِهَا وَهْيَ دَاءٌ لَوْ تُصَاقِبُنَا ... كَمَا اشْتَفَى بِعِيَادِ الخَمْرِ مَخْمُورُ

أمّا القصيدة الأولى فهي قصيدة عدي بن زيد ومطلعها :

بَكَرَ العَاذِلُونَ في وَضَحِ الصُّبْحِ يَقُولُونَ لِيْ أَلَا تَسْتَفِيقُ(١)

والشاعر هنا يفتتح القصيدة بالشكوى من العواذل إذ يلومونه في السّكر المستمرّ . وهي بداية حتمية لقصيدة هدفها وصف الخمرة من خلال وصف طيب الحبيبة . وهذه القصيدة هي من القصائد النادرة التي تُعدّ خمرية برمّتها في الجاهلية ،وهي تقوم على الوصف الدقيق للخمر : لونها وصفاؤها ،وتصفيقها ومزاجها ومواد هذا المزاج من عنبر وغيره ،وطريقة تعتيقها ،وأوانيها : كل ذلك من خلال وصف الحبيبة .

والقصيدة الثانية هي معلقة عمرو بن كلثوم ومطلعها :

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا          وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا(٢)

وهذه القصيدة تختلف عن سابقتها بأنها ليست قصيدة خمرية ،وانّما تأتي الخمرة فيها كفاتحة لها ثم ترتبط بباقي القصيدة من خلال موقف التحدي العام الذي يشكل النبض المتواتر في القصيدة كلها . فالشاعر يبدأ بتحريض الساقية على تقديم الشراب متحدّياً العاذلين والغير ،ثم يصف الخمرة في أربعة أبيات تتميز بغنائية رائعة .وبعدها ينطلق متحدياً عمرو بن هند من خلال الفخر بنفسه وقومه ،ويتجاوزه الى تحدّي الاعداء كلهم . ومن ناحية أخرى يبدو الشاعر وكأنه مرتاح في موقف المتحدّي الى أبعد الحدود ،وواثق من قوته وبأسه ،وشرفه ; فهو يبدأ القصيدة بالتغني بشرب الخمر رغم حراجة الموقف .

---

(١) - ديوان عديّ بن زيد : ٧٦- ٧٩ .
(٢) - شرح القصائد العشر للتبريزي : ٢٨٥ - ٢٨٦ .

وقد كان للخمرة دورها في باقي الأغراض الشعرية كالمدح والرثاء والتحية بالشراب . ولكن الصور الخمرية في هذه المواقف كانت تدرج في سياق ذكر مآثر الممدوح أو المرثيّ - كما رأينا سابقاً - وهي لا تتميّز عادة باستعمال فنيّ خارق للمألوف ،ولا تؤثر في القصيدة بنيوياً .

الصور المغري ومادية التشبيه في الوصف :

استخدمت الصور الخضرية وما ينقل بها من صور المدام ومجالس الحدث وأوانيها لوصف غيرها من الأشياء بأسلوب صادق في غالبه يعتمد على نقل وحد التشبه المباشر بين الأشياء. ومن أهم هذه الصور كان صوت المغني الذي يصدح في مجالس الخمر . فقد استعيرت هذه الصورة لوصف الصوت في الطبيعة ، كالرياحين والمعازف وغيرها ،كما استخدمت لوصف صوت الحيوان الجريح في عملية الصيد والطرد . ولما كان الصوت غالباً على هذه الصور ،وكان هو محور الاهتمام والوصف ، يمكن أن نطلق عليها : الصور الصوتية ،وأبرزها :

١ - وصف صوت الحشرات في الامكنة المقفرة النائية :

وبه الصدى وَالعزفُ تَحْسِبُه ... صدح القيان عزفن للشَّرب(١)

ومن أكثر الأصوات ذكراً من هذه الصور صوت الذباب لانه يكون في الامكنة البعيدة المقفرة ،وقد كان ارتياد هذه الأمكنة من دواعي الفخر عند الشاعر لما تتطلبه من شجاعة وجرأة :

وَمُسْتَأسِد يَنْدَى كأنَّ ذُبابَـهُ ... أخو الخمر هاجت شوقه فتندر(٢)

وقول عنترة يمتاز بشيء من التفصيل في الوصف :

---

(١) - أسماء بن خارجة : الأصمعيات : ٥٠ .

(٢) - كعب بن زهير : ١٢٣ ،ورويت لابيه : ديوانه : ٢٦٢ .

فَتَرَى الذُّبَابَ بِهَا يُغَنِّي وَحْدَهُ هَزِجاً كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ
غَرِداً يَسُنُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فِعْلَ الْمُكِبِّ عَلَى الزِّنَادِ الأَجْذَمِ (١)

فيرفد الصوت في هذه الصورة بحركة مستعارة من قدح الزناد لوصف حفيف أجنحة الذباب .

وعند أبي كبير الهُذلي تدخل في الصورة عوامل الفرح مستعارة من فرح التّجار بالربح :

وَكَأَنَّ أَصْوَاتَ الْخَمُوشِ بِجَوِّهِ أَصْوَاتُ رَكْبٍ فِي مَلاً مُتَرَنِّمِ
عُجِلَ الرَّبَاحُ لَهُمْ فَتَحْمِلُ مِيرُهُمْ مُتَطَافِقَةً فَضَلاتِ مَا فِي الْمَقْتَمِ (٢)

ويصف لنا الحطيئة صورة شائعة في البيئة الجاهلية ،وهي مادية الى أبعد الحدود،فيصف الناقة قائلاً :

تُرَاقِبُ عَيْنَاهَا إِذَا تَلَعَ الضُّحَى ذُبَاباً كَصَوْتِ الشَّارِبِ الْمُتَفَرِّدِ (٣)

٢ - صوت الحمام في هذه الرياض ،وتشبهه بصوت المغني المخمور :

يَظَلُّ بِهَا دَاعِي هَدِيلٍ كَأَنَّهُ عَلَى السَّاقِ نَشْوَانٌ تَمِيلُ بِهِ الْخَمْرُ (٤)

وقول الطفيل الغنوي :

يُغَنِّي الْحَمَامُ فَوْقَهَا كُلَّ شَارِقٍ غِنَاءَ السُّكَارَى فِي عَرِيشٍ مُظَلَّلِ (٥)

---

(١) - ديوانه : ١٤٥ . وهذه إحدى روايات البيتين .
(٢) - شرح أشعار الهذليين : ٣ : ١٠٩٢ .
(٣) - ديوانه : ١٥٥ .
(٤) - البريق : شرح أشعار الهذليين : ٢ : ٧٤٨ .
(٥) - ديوانه : ٦٤ .

٣ - تشبيه صوت الحيوان الجريح في الصيد بصوت المغني :

قال مزرد :

أَجَشُّ صَرِيحِيٌّ كَأَنَّ صَهِيلَـــهُ ... مَزَامِيرُ شَرْبٍ جَاوَبَتْهَا جَلاَجِـلُ(١)

وقال الشماخ :

كَأَنَّ سَحِيلَهُ فِي كُلِّ فَـجْـرٍ ... تَغَرُّدُ شَارِبٍ نَاءٍ فَجُـوعِ(٢)

وقال لبيد في وصف الحمار الوحشي بتغني الشمل :

يُطَرِّبُ آنَاءَ النَّهَارِ كَأَنَّـهُ ... غَوِيٌّ سَقَاهُ فِي التِّجَارِ نَدِيـمُ
أُمِيلَتْ عَلَيْهِ قَرْقَفٌ بَابِلِيَّةٌ ... لَهَا بَعْدَ كَأْسٍ فِي الْعِظَامِ هَمِيمُ(٣)

وأما الصورة الثانية في قول لبيد فتفوق غيرها من الصور لأنّ الشاعر رفدها باحساس إنساني جميل مما يبعدها عن مجرد المادية في الوصف :

كَأَنَّ سَحِيلَهُ شَكْوَى رَئِيسٍ ... يُحَاذِرُ مِنْ سَرَايَا وَاغْتِيَالِ
تَبَكِّي شَارِبٍ أَسَرَتْ عَلَيْهِ ... عَتِيقُ الْبَابِلِيَّةِ فِي الْقِلاَلِ
تُذَكِّرُ شَجْوَهُ وَتُقَاذِفَتَهُ ... مُشَعْشَعَةٌ بِمَفْـرُوضٍ زُلاَلِ(٤)

شانياً : الصور الجامدة :

١ - وصف رؤوس الحيوانات الجريحة بالدنان :

يُصَرِّفُ لِلأَصْوَاتِ وَالرِّيحِ هَادِيـاً ... تَمِيمُ النَّضِيِّ كَدَّحَتْهُ الْمَنَاسِـفُ

---

(١) - ديوان المفضليات : ١ : ١٦٥ .
(٢) - ديوانه : ٢٢٨ .
(٣) - ديوانه : ٩٦ .
(٤) - ديوانه : ٨٤ .

يَرَانَا كُدُنِّ التَّجْرِ خَابًا كَأَنَّمَا    رمى حاجبيه بالحجارة قابف [1]

٢ ـ وصف أواني الشراب ، تشبيه الأواني بقنديل فصح : قال عدي :[2]

بكروا عليَّ بسُحْرَةٍ فصبحتهم    بإناء ذي كرم كقعب الحالب

بزجاجةٍ ملءِ اليدين كأنها    قنديل فصح في كنيسة راهب

٣ ـ تشبيه أباريق الشراب بأعناق الطيور، كالبجع ، وبالظباء : قال أبو زبيد :[3]

وأباريقٌ شِبْهُ أعناقِ طيرِ الماء    قد جيب فوقهن خنيف

وقال علقمة بن عبدة :

كأنَّ ابريقهُم ظبيٌ على شرفٍ    مفدّم بسبا الكتان ملثوم [4]

٤ ـ تشبيه القتلى بالزقاق : قال معن بن أوس :[5]

أرادتْ طريقَ الجفر ثم أضلها    هداة وسالوا بطن ذي المعشر أيسر

وأصبح سعدٌ حيث أمسَتْ كأنه    بزائفة المصروع زق مقيّر

---

(١) ـ أوس بن حجر : ٧٣ . وراجع ديوان كعب بن زهير : ١٤٣ :

يَرَانَا كُدُنِّ التَّجْرِ خَابًا كَأَنَّمَا    رمى حاجبيه بالجلاميد راجم

(٢) ـ ديوانه : ١١٧ .

(٣) ـ ديوان أبي زبيد الطائي : ١١٧ ، وانظر ديوان لبيد : ٢٤٤ .

(٤) ـ علقمة بن عبدة : المفضليات : ١ : ٨١٤ .

(٥) ـ ديوانه : ٣٤ .

وقال المتنخل :(١)

| | |
|---|---|
| التَّارِكُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أنامِلُهُ | كَأنَّهُ مِنْ عُقارٍ قَهْوَةٍ ثَمِــــلُ |
| مُجَدَّلاً يَتَسَقَّى جِلْدَهُ دَمُــــهُ | كَمَا يُقَطِّرُ جِذْعَ النَّخْلَةِ القَطِلُ |

ه ـ تشبيه السكران : قال أبو ذؤيب :(٢)

| | |
|---|---|
| تَرَى شُرْبَهَا حُمْرَ الحِداقِ كَأنَّهُمْ | أُسَاوَى إذا ما مارَ فِيهِمْ سُؤارُهَا |

ثالثا : الصور المتحركة : التي تعتمد على وصف الحركة .

١ ـ وصف صيد الحيوان : قال أبو ذؤيب (٣) في مراك الثور والكلب :

| | |
|---|---|
| فَكَأنَّ سَفُّودَيْنِ لَمَّا يُقْتَــرا | عَجِلاَلهُ بِشِواءِ شَرْبٍ يُنْـــزَعُ |

وقد شبّه قرني الثور وهما يكفان بالدم حين طعن الكلب بهما بسفودي شرب نزعا قبل أن يدرك الشواء فهما يكفان بالدم.

وقال النابغة : وقيل بيته أجود من بيت أبي ذؤيب :

| | |
|---|---|
| كَأنَّهُ خَارِجًا مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِــهِ | سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَأدِ(٤) |

٢ ـ وصف القتل : قال قيس بن الخطيم:(٥)

| | |
|---|---|
| وَكَأنَّهُمْ فِي الحَرْبِ إذْ تَعْلُوهُمْ | غَنَمٌ تَعَبَّطُهَا غُواةُ شُـــرُوبِ |

٣ ـ وصف حركة الطبيب وحيرته عند علاج الجريح بالسكران: قال تأبط شرا:(٦)

---

(١) ـ شرح اشعار الهذليين : ٣ : ١٢٨٢ .
(٢) ـ المصدر السابق : ١ : ٧٥ .
(٣) ـ المصدر السابق : ١ : ٣٠ .
(٤) ـ ديوان النابغة : ١٩ .
(٥) ـ ديوانه : ١٩ .
(٦) ـ ديوانه : ٨٢ .

وَطَعْنَةِ خُلْسٍ قَدْ طَعَنْتُ مُرِشَّةٍ ... لَهَا نَفَذٌ تَضِلُّ فيهِ المَسَابِرُ
إِذَا كُشِفَتْ عَنْهَا السُّتُورُ شَحالُهَا ... فَمٌ كَفَمِ العَزْلاءِ فَيْحَانُ فَاغِرُ
يَظَلُّ لَهَا الآسِي يَمِيدُ كَأَنَّهُ ... نَزِيفٌ هَرَاقَتْ لُبَّهُ الخَمْرُ سَاكِرُ

٤ - وصف المشية والحركة بحركة السكران : مشية المرأة :

وَإِذْ هِيَ تَمْشِي كَمَشْيِ النَّزِيـ ... ـفِ يَصْرَعُهُ بِالكَثِيبِ البَهَرْ(١)

وقال مليح بن الحكم :(٢)

إِذَا هِيَ نَاءَتْ لِلقِيَامِ تَخَضَّدَتْ ... تَخَضُّدَ مَتْنَيْ شَارِبِ الرَّاحِ مَائِلِ

وقول سُحَيْم (٣) يصف الاماء، وكأنهن سكارى :

فَأَدْبَرْنَ يَخْفِضْنَ الشُّخُوصَ كَأَنَّمَا ... قَتَلْنَ قَتِيلاً أَوْ أَصَبْنَ الدَّوَاهِيَا
وَأَصْبَحْنَ صَرْعَى فِي البُيُوتِ كَأَنَّمَا ... شَرِبْنَ مُدَاماً مَا يُجِبْنَ المُنَادِيَا

٥ - وصف حركة الجريح :

وَكَأَنَّ مِشْيَتَهُ إِذَا نَهْنَهْتُهُ ... بِالنَّكْلِ مِشْيَةُ شَارِبٍ مُسْتَعْجِلِ(٤)

٦ - وصف حركة المنتصر ونشوته :

وَلَقَدْ أَسَرْتُ سَرَاةَ القَوْمِ مُقْتَدِراً ... وَغَدَتْ مِنْ فَرَحِي كَالشَّارِبِ الثَّمِلِ(٥)

٧ - وصف حركة المحزون وارتياعه بدوار الخمر ، قالت الخنساء :(٦)

---

(١) - امرؤ القيس : ١٥٦ .
(٢) - شرح أشعار الهذليين: ٣ : ١٠٢٣ .
(٣) - ديوان سحيم عبد بني الحسحاس : ٢٨ .
(٤) - ديوان عنترة : ١٢٣ .
(٥) - ديوان عنترة : ١٣٣ .
(٦) - أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء (تحقيق لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ١٨٩٦ م) : ١٥٩ .

لَقَدْ صَوَّتَ النَّاعِي بِفَقْدِ أَخِي النَّدَى ... نِدَاءً لَعَمْرِي لاَ أَبَالَكَ يُسْمَعُ
فَقُمْتُ وَمَا كَادَتْ لِرَوْعَةِ هُلْكِهِ ... وَإِعْوَازِهِ نَفْسِي مِنَ الْحُزْنِ تَشْبَعُ
إِلَيْهِ كَأَنِّي حِيْبَةٌ وَتَخَشُّعًا ... أَخُو الْكُفْرِ يَسْمُو شَارِلًا ثُمَّ يَصْرَعُ

٨ - ووصف تذكّر الحبيبة بالنشوة :

وَكَأَنَّنِي حِينَ أَذْكُرُهَا ... مِنْ حُمَيَّا قَهْوَةٍ شَارِبُ(١)

٩ - وصف الحزن : وصف الهم في الصدر بالوَتَر الذي تضرب عليه المغنّية :

أَلا بَاتَ مَنْ حَوْلِي نِيَامًا وَرُقَّدًا ... وَعَاوَدَنِي حُزْنِي الَّذِي يَتَجَدَّدُ
وَعَاوَدَنِي دِينِي فَبِتُّ كَأَنَّمَا ... خِلاَلَ ضُلُوعِ الصَّدْرِ شِرْعٌ مُمَدَّدُ
بِأَوْبِ يَدَيْ صَنَّاجَةٍ عِنْدَ مُدْمِنٍ ... غَوِيٍّ إِذَا مَا يَنْتَشِي يَتَغَرَّدُ (٢)

رابعـا : الصور الضوئيـة :

وهي الصور التي ترتبط فيها الخمرة بالبرق والسيل والنار فتطلق منا خمسا متالقا : قال الشمّاخ :(٣)

رَأَيْتُ وَقَدْ أَتَى نَجْرَانُ دُونِي ... وَلَيْلَى دُونَ أَرْحُلِهَا السَّدِيرُ
لِلَيْلَى بِالْغُمَيْمِ ضَوْءُ نَارٍ ... يَلُوحُ كَأَنَّهُ الشِّعْرَى الْعَبُورُ
إِذَا مَا قُلْتُ خَابِيَةٌ زَهَاهَا ... سَوَادُ اللَّيْلِ وَالرِّيحُ الدَّبُورُ
فَمَا كَادَتْ وَلَوْ رَفَعُوا سَنَاهَا ... لِيُبْصِرَ ضَوْءَهَا إِلاَّ الْبَصِيرُ
فَبِتُّ كَأَنَّنِي سَافَهْتُ خَمْرًا ... مُعَتَّقَةً عُقَارًا تَسْتَدِيرُ

---

(١) - ديوان حسان بن ثابت : ١ : ٢٨٢ .
(٢) - ساعدة بن جوءية في شرح أشعار الهذليين : ٣ : ١١٦٥ .
(٣) - ديوان الشمّاخ : ١٥١.

خامسا : الصور الخمرية لوصف مظاهر من حياة الجاهلية وقيمها :

١ - وصف عطش الهامة للدم وصياحها بعطش الندامى للخمر وصياحهم عند التجار :

وَلَوْ جِئْنَ يَحْمِلْنَ الحَدِيدَ بِنَا مَعًا        الا يا لَعَمرو بَعْدَها لَشَوار
لَصَاحَتْ تُنَادِي الهَامُ مِنْهُمْ بِأَرْضِنَا        صياحَ الندامى حَوْلَ بيتِ تجار (١)

٢ - تشبيه الخمرة بالخير في أمثال الجاهلية وشعرها : فمن امثالهم في نعت البخيل : " ما عنده خل ولا خمر " أي ما عنده من الخير شيء (٢).
قال النمر بن تولب :

هَلَّا سَأَلْتَ بِعَادِيَاءَ وَبَيْتِهِ        وَالخَلِّ وَالخَمرِ التي لم تُمْنَعِ (٣)

٣ - تحية الملك بالشراب :

وَاسْلَمْ بِرَاوُوقٍ حُبِيتَ بِهِ        وَانْعَمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الجَبْرُ (٤)

---

(١) - ديوان عمرو بن معديكرب : ١٠٦ .
(٢) - فصل المقال لابي عبيد البكري : ٣٣٩ .
(٣) - النمر بن تولب : ٧٤ .
(٤) - عمرو بن احمر ( تحقيق حسين عطوان ،مجمع اللغة العربية ،دمشق).ديوانه:٩٤ .

فَاشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقاً    فِي رَأْسِ غُمْدَانَ دَاراً مِنْكَ مِحْلالا (١)

وقول النابغة :

وَتُسْقَى إِذَا مَا شِئْتَ غَيْرَ مُصَرَّدٍ    بِزَوْرَاءَ فِي حَافَاتِهَا الْمِسْكُ كَانِعُ (٢)

٤ ـ وصف طيب الأخلاق بطيب الخمر :

لَهُ خَبْطَةٌ فِي الْخَلْقِ لَيْسَتْ بِسُكَّرٍ    وَلَا طَعْمِ رَاحٍ يُشْتَهَى وَنَبِيـــذِ (٣)

كان هذا رصداً عاماً لنسق ورود الصور الخمرية الصغرى في الشعر الجاهلي ، وهي كما رأينا تدرج للوصف المادي في غالب الأحيان فلا تسهم في بناء القصيدة إسهاماً هاماً .

---

(١) ـ ديوان أمية بن أبي الصلت: ٤٥٨ .
(٢) ـ ديوان النابغة : ٣٩ .
(٣) ـ ديوان الحطيئة : ٣٥٨ : ذكر المحقق في الحاشية هذا البيت دون نسبة .

وصف الخمرة في الشعر الجاهلي :

كان لوصف الخمرة ـ كغيره من أساليب الوصف الفنية في الشعر الجاهلي ـ تقليد متّبع يحكمه ويرسم له حدوداً قلّما خرقها الشعراء . وهذا التقليد يقوم على التصوير المادي الدقيق هادفاً إلى إشباع الحواس ،والتمثيل لها دون غيرها. ولهذا كان وصف الخمرة يعتمد في غالبه على وصف لونها وصفائها ورائحتها وأثرها وعلمية تعتيقها . ولم يتمايز الشعراء في هذا الوصف إلا قليلاً . وقد كان الأعشى مميّزاً في هذا المجال إذ جعل من شعره سجلاً لوصف الخمرة مستخدماً كل ما أباحه له هذا التقليد المادي الى حدوده القصوى .

وبما أنّ وصف الخمر كان محكوماً بهذا التقليد في الغالب الأعمّ ،وبقوالب فنية معلومة ،فقد خسر الكثير من أثره في صنع الصورة الخمرية الكبرى التي تبني القصيدة وتنمّيها . ولهذا خلت القصائد التي تحتوي على الصورة الكبرى من الوصف التقليدي الدقيق للخمر في غالب الأحيان ممّا جعلها تستعيض عنه بتحوّل المادة الخمرية في القصيدة الى مناخ من مناخاتها أو قناع من أقنعتها. ولعل قصيدة عديّ بن زيد :( بَكَرَ الْعَاذِلُونَ فِي وَضَحِ الصُّبْحِ) هي من القصائد القليلة النادرة التي تتكوّن فيها الصورة الخمرية الكبرى من خلال الوصف التصويري الدقيق للخمر .

إنّ القوالب الفنية الجاهزة التي أعدت سلفاً لوصف الخمر قد شتّتت الصور الخمرية الكبرى وأعاقتها عن التجمع والتنامي في القصيدة. ولهذا جاءت الصور الوصفية للخمر في منزلة الصور الخمرية الصغرى في غالب الأحيان ،وتعدتها أحياناً لتتأرجح بين الصورتين بتردّد وحذر . ذلك لان الشاعر يجهد في الوصف فيغفل عن تكوين الصورة الكبرى . ولعل قصيدة عَلْقَمَة بن عَبْدَة ( هَلْ مَا عَلِمْتَ

وَمَا اسْتُودِعْتَ مُكْتُومٌ )(١) خير مثال لذلك . فالشاعر على رغم جمال الوصف للخمرة وعملية تعتيقها وتصفيقها لم يستطع أن يبوئ لهذا الوصف مكانة آساسية في بنية القصيدة ،فأتى بالوصف الخمري كموضوع من موضوعات القصيدة التقليدية ، وهذا القول ينطبق كذلك على قصيدة عبدة بن الطّبيب : ( هَلْ حَبْلُ خَوْلَةَ بَعْدَ الْهَجْرِ مَوْصُولُ )(٢) وفي مثل هاتين القصيدتين تتجاوز الصورة الخمرية الصورةَ الصغرى من حيث الاتّساع بمعنى أنّ الأبيات المفردة للمادة الخمرية هي من العدد بحيث تبوّئ لنفسها مساحة في بنية القصيدة ،تنوّع القصيدة وتلوّنها ،ولكنّها لا تشكّل طابعها العام .

أما وصف الخمر فقد انصبّ فيغالبه علىإبراز صفاتها الخارجية . وقد تكررت الصور في وصف لونها وتشابهت عند الشعراء. وقلما أورد أحدهم صورة تخرج عن التقليد الجاري حينئذٍ . وقد عاب الناس على عدي بن زيد وصفه الخمر بأنها خضراء (٣)،إذ آن الصورة الشائعة للون الخمر هي التي تشبّهها بدم الذبيح أو دم الغزال .وفي إيراد هذه الصورة التي التزمها غالب الشعراء لم يأتِ التطوير فيها إلاّ في حدود قليلة : قال حسان :(٤)

تُبْلُتُ فُؤَادَكَ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةٌ ... تَشْفِي الضَّجِيعَ بِبَارِدٍ بَسَّامِ
كَالْمِسْكِ تَخْلِطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ ... أَوْ عَاتِقٍ كَدَمِ الذَّبِيحِ مُدَامِ

وللخمر عند متمّم بن نويرة لون الدم الذبيح أيضاً ,إلاّ أنه أضاف لهذا الصورة

---

(١) - ديوان المفضليات : ١ : ٧٨٦ - ٨٢٢ .
(٢) - المصدر السابق : ١ : ٢٦٨ - ٢٩٣ .
(٣) - ديوانه : ٦٨ - ٧٢ :
وَالْمُشْرِفُ الْمَشْمُولُ يُسْقَى بِهِ ... أَخْضَرَ مَطْمُوثاً كَمَاءِ الْخَرِيضِ "
(٤) - ديوان حسان بن ثابت : ١ : ٢٩ .

الشائعة صفة الألق ومزجها بالإشعاع ، فجاء وصفه متحركاً بحركة الضوء والتماعه :

جفنٌ من الغربيب خالص لونه كدم الذبيح إذا يشن مشعشع (١)

هذا وقد ترددت فكرة تشبيه لون الخمر بحمرة الغزال الذبيح ، قال زهير(٢):

ذاك وقد أصبح الخليل بصهبـ ـاء كميت صاف جوانبها
مثل دم الشادن الذبيح إذا أتاق منها الراووق شاربها

وصفاء الخمر الذي ينتج عن كثرة تصفيقها وتنقيتها باستعمال مختلف الأواني الخاصة قد شكل مادة للوصف عند الشعراء، وفي هذه الناحية أيضا جاء الوصف مباشراً متكرراً : فهي -أي الخمر - " عاتق مثل عين الديك .."(٣).و " سلاف كعين الديك صفى سلافها الراووق " (٤).و " عقار كماء النيء ليست بخطمة ولا خلة .."(٥) . والأعشى متميز في هذا المضمار ، اذ يعجب لغرابة صفائها ويعدي السامع بهذا الإحساس ، اذ يجعل من صفائها ما يشبه الأحجية :

تُريكَ القَذى من دونها وهي دونه اذا ذاقها من ذاقها يتمطق(٦)

وكما رأينا ، فقد وصف الشعراء الخمرة بأنها منعشة ملتمعة ،ولم يزيدوا على هذا الوصف شيئاً . ويتميز الاعشى ايضا في وصف شعاعها عندما يسخر المبالغة لابراز هذا الالتماع :

---

(١) - ديوان متمم : ٩٨ .
(٢) - ديوان زهير بن ابي سلمى : ٢٦٧ .
(٣) - حسان بن ثابت : ١ : ٣٠٢.
(٤) - ديوان عدي بن زيد : ٧٨ ،وراجع شرح أشعار الهذليين ١٢٦٩:٣ : المتنخل ابن عويمر .
(٥) - ابو ذؤيب الهذلي في شرح اشعار الهذليين : ١ : ٤٥ .
(٦) - الصبح المنير : ١٤٧ .

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ عَلَى قُرَاهَــا　　إِذَا مَا صُرِّحَتْ قِطَعًا سِهَامَــا (١)

أو يقول :

كَأَنَّ شُعَاعَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِيهَــا　　إِذَا مَا فُتَّ عَنْ فِيهَا الْخِتَامَــا (٢)

وفي وصف رائحتها عمد الشعراء الى ذكر كل أنواع المطيبات ومزجهم بهـا ، ليشبهوا رائحتها . وهذا ما فعله الأعشى إلاّ أنّه انفرد عن غيره بوصف أرجهـا العابق المتصاعد في أرجاء المكان ،مما أكسب الوصف عنده طغيان مناخه وقـوة حضور هذا المناخ :

سُلَافٌ كَأَنَّ الزَّعْفَرَانَ وَعَنْدَمًـا　　يُصَفَّقُ فِي نَاجُودِهَا ثُمَّ تُقْطَـبُ

لَهَا أَرَجٌ فِي الْبَيْتِ عَالٍ كَأَنَّمَا　　أَلَمَّ بِهِ مِنْ تَجْرِ دَارِينَ أَرْكَـبُ (٣)

وقد ارتبط وصف الخمر بوصف فم الحبيبة ورضابها . وفي غالب الاحيان كـان وصف فم المرأة تعلّة لا يراد وصف الخمر . واختلفت أساليب الشعراء في هـذا الوصف . فمنهم من ربط بين الصورتين بشكل مباشر يقوم على استعمال أداة التشبيه المباشرة ; قال جِرَان الْعَوْد :(٤)

تَجْرِي السِّوَاكُ عَلَى عَذْبٍ مُقَبَّلُـهُ　　كَأَنَّهُ مَنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُـولُ

وبرع بعضهم في سوق وصف يبدو مباشراً في ظاهره الاّ أنّه يتضمّنغير وجه ،كقـول عنترة (٥):

---

(١) - الصبح المنير : ١٣٥ .
(٢) - الصبح المنير : ١٣٥ .
(٣) - المصدر السابق : ١٣٧ .
(٤) - ديوان جران العود : ٥٧ .
(٥) - ديوان عنترة : ٨٩ .

تريكَ مِنْ ثَغْرِها إذا ابتسمت     كأسَ مُدام قد حُفّ بالـــــدررِ

اذ تجاوز مجرد وصف فم المرأة وتشبيهه بكأس شراب الى وصف عملية الابتسام ، والاسنان ، ومقارنتها بكأس مليء بالدرر التي يشبهها بصفيق الخمر .

ويتطوّر ارتباط وصف مـــزج الخمر بوصف رضاب المرأة عند بعض الشعــــراء ليتخذ روافد جديدة : قال مليح بن الحكم :

وَخَدٍّ أَسيلٍ زانَهُ مُتَبَسَّـــــمُ     نَقيٌّ تُغادي ظَلْمَهُ حينَ تُصبِـــحُ
يلَذُّ بِهِ تَمْتاحُ عَذْباً كأنَّمــــا     يُعَلُّ إذا ما ساقطَ الثَّلْجَ يَنْضَـــحُ
بِرَاحٍ إذا ما صُفِّقَتْ في زُجاجَــةٍ     تَزِيدُ بِهِ طَوْراً وطَوْراً تُصَـــرَّحُ
بِطَعْمَةِ رَجْعٍ باتَ تَنْسِجُ مَتْنَـــهُ     صَبَاً حيثُ يَسْتَعْلي لَها حينَ تَنْفَحُ (١)

وكما نرى في وصف مليح ، فقد استعار الشعراء لمزج الخمر ماء المطر الذي يستقر في الاماكن المرتفعة البعيدة ، فلا يطرقه أحد ، ولا يكدره مكذر . وقد ارتبـــــط هذا الوصف الجغرافي لمستقر الغيث الذي يستعمل في مزاج الخمر كثيرا بالصورة الخمرية حتى ردده الشعراء :

قال الحطيئة :

إذا ذقتَ فاها ذقت طعمَ مُدامةٍ     بنُطفةِ جونٍ سالَ منها الأباطِـــحُ
غَريضٍ جَرتْ فيه الصَّبا بَيْنَ مُنْحَنى     وأعْباصِ سِدرٍ بَيْنَهُنَّ مَـــراوِحُ (٢)

وقال المسيب بن علس :

اذ تَسْتَبيكَ بِأَصْلَتيٍّ نــاعِـــمٍ     قامتْ لتفتنه بغير قنـــــاعِ

---

(١) - شرح أشعار الهذليين: ٣ : ١٠٤٠ .
(٢) - ديوانه : ٣٦١ .

وَمِنْهَا يَرِفُّ كَأَنَّهُ إِذْ ذُقْتَهُ ... عَانِيَّةٌ شُجَّتْ بِمَاءِ يَرَاعِ
أَوْ صَوْبُ غَادِيَةٍ أَدَرَّتْهُ الصَّبَا ... بِبَزِيلِ أَزْهَرَ مُدْمَجٍ بِسِيَاعِ (١)

لقد أكثر الشعراء من وصف ريقة المرأة بعد الكرى ،وحشدوا لذلك كل أنواع المطيبات : فمزجوا الخمرة بماء الغيث البارد والعسل والمسك والكافور والعنبر واللبني والزنجبيل والفاكهة : كالعنب والتفاح والرمان . واختاروا الخمر المعتقة التي طال الزمن عليها وهي في الخابية .

قال سُحَيم :

كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا بَعْدَ هَجْعَةٍ ... مِنَ اللَّيْلِ نَامَتْهَا سُلافاً مُبَرَّدَا
سُلافَةُ دَنٍّ أَوْ سُلافَةُ ذَارِعٍ ... إِذَا صُبَّ مِنْهُ فِي الزُّجَاجَةِ أَزْبَدَا(٢)

وقال المرقّش الاصغر :

وَمَا قَهْوَةٌ صَهْبَاءُ كَالْمِسْكِ رِيحُهَا ... تُعَلَّى عَلَى النَّاجُودِ طَوْراً وَتُقْدَحُ
ثَوَتْ فِي سِبَاءِ الدَّنِّ عِشْرِينَ حِجَّةً ... يُطَانُ عَلَيْهَا قَرْمَدٌ وَتُرَوَّحُ
سَبَاهَا رِجَالٌ مِنْ يَهُودٍ تَبَاعَدُوا ... لِجِيلانَ يُدْنِيهَا مِنَ السُّوقِ مُرْبِحُ
بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا إِذَا جِئْتُ طَارِقاً ... مِنَ اللَّيْلِ بَلْ فُوهَا أَلَذُّ وَأَنْصَحُ(٣)

وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوْبَ الْغَمَامِ ... وَرِيحَ الْخُزَامَى وَنَشْرَ الْقُطُرْ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا ... إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرّْ(٤)

---

(١) – الصبح المنير : ٣٥٤ ،وراجع أبا ذؤيب ١: ١١٥ في وصفه الجميل لهذا الغيث .
(٢) – ديوان سحيم : ٤٠ .
(٣) – المفضليات : ١ : ٤٩٥ .
(٤) – ديوانه : ١٥٧ .

وقال عمرو بن معديكرب :

كَأنَّ عَلَى عَوارِضِهنَّ رَاحـــا ... يفضّ عليه رُمّـــانٌ ينيـــعُ (١)

وقـال حسـان :

كأن خبيئة من بيت رأس ... يكون مزاجها عسلٌ وماءُ

على أنيابها أو طعم غضٍّ ... من التفاح هصّره اجتناءُ (٢)

وهناك صور خمرية اتصلت بوصف فم المرأة ورقتها ،ولكنها تجاوزتها لتذكر طريقة تصفيق الخمر ،ومزجهـا ،وذكر اوانيهـا ،من هذه الصور : قول لبيد (٣) :

كأنّ الشّمولَ خالطت في كلامها ... جنيًّا من الرّمّان لدنًا وذابلا

لذيذًا ومنقوفًا بصافي مخيلة ... من النّاصع المختوم من خمر بابلا

يشنّ عليها من سلافة بارق ... سنًا رصفًا من آخر الليل سائلا

تضمّنُ بيضًا كالإوزّ ظروفهـا ... إذا أتأقوا أعناقها والحواصلا

لها غلَلٌ من زارقيّ وكرسُف ... بأيمان عجم ينصفون المقاولا

إذا صفّقت يومًا لأربابِ ربّها ... سمعت لها من واكف العطن واشلا

ان وصف الخمر وأوانيها عند لبيد يتخذ شكل التصوير الدقيق وهي صفة تغلب على وصف لبيد بشكل عام .

وقال زهير (٤) في وصف أثر الخمر :

ذاك وقد أصبح الخليل بمهـ ... ـباء كميتٍ صافٍ جوانبُهـا

مثلِ دم الشّادنِ الذّبيح إذا ... أتأق منها الرّاووقَ شاربُهـا

---

(١) - ديوانه : ١٣٨ .

(٢) - ديوانه : ١ : ١٧ . وارجع الى ديوان عدي بن زيد : ٧٦ ،وزهير بن ابي سلمى : ٣٥ ،والحطيئة : ٣٤١ ،والاصمعيات : ٥٨ .

(٣) - شرح ديوان لبيد : ٢٤٤ .

(٤) - ديوان زهير بن ابي سلمى : ٢٦٧ .

دَبَّتْ دَبِيبًا حَتّى تَخَوَّنَــــةُ ... مِنْهُا حَمَيًّا وَكَفَّ صَالِبُهَــــا
عَمّا تُرَاهُ يَكُفُّ مَنْطِقَـــــهُ ... أَجْمَعُ فِي النَّفْسِ مَا يُغَالِبُهَـــا
عَمّا قَلِيلٍ رَأَيْتَهُ رَبْذُ الْـــ ... ـمَنْطِقِ واسْتَعْجَلَتْ عَجَائِبُهَـــا

وفي قول الأعشى معنى شبيه :(١)

فَقَامَ فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةً تُسَكِّنُنَا بَعْدَ إِرْعَادِهَـــــا
كُمَيْتًا تَكَشَّفُ عَنْ حُمْرَةٍ إِذَا صَرَّحَتْ بَعْدَ إِزْبَادِهَـــا

وقال الأعشى : وتعتبر هذه الأبيات ذروة البراعة في وصف أثر الخمر حينئذٍ ،وكأنها تدري ما تفعل بالشارب :

وَصَهْبَاءَ صِرْفٍ كَلَوْنِ الفُصُوصِ بَاكَرْتُ فِي الصُّبْحِ سَـــوَّارَهَـا
فَطَوْرًا تَمِيلُ بِنَا مُــرَّةً وَطَوْرًا تُعَالِـــجُ إِمْرَارَهَـــا
تَكَادُ تُنَشِّي وَلَمَّا تُذَقْ وَتَغْشِي المَفَاصِـــلَ افْتَارُهَـــا
تَدِبُّ لَهَا فَتْرَةٌ فِي العِظَـــامِ وَتَغْشِي الذُّؤَابَةَ فَوَّارُهَـــا (٢)

---

(١)- الصبح المنير : ٥٢ .
(٢) - الصبح المنير : ٢١٤ .

## الصـــورة الكبـرى في القصيـــدة الجاهليـة

### نمــاذج للـتحليــــل

١ – قال حسان بن ثابت من الكامل : *

أسألت رسم الدار أم لم تسأل ... بين الجوابي فالبضيع فحومل
فالمرج مرج الصفرين فجاسم ... فديار سلمى درسا لم تحلل
أقوى وعطل منهم فكأنه ... بعد البلى آي الكتاب المجمل
دمن تعاقبها الرياح دوارس ... والمدجنات من السماك الأعزل
فالعين عانية تفيض دموعها ... لمنازل درست كأن لم تؤهل
دار لقوم قد أراهم مرة ... فوق الأعزة عزهم لم ينقل
لله در عصابة نادمتهم ... يوما بجلق في الزمان الأول
يمشون في الحلل المضاعف نسجها ... مشي الجمال الى الجمال البزل
الضاربون الكبش يبرق بيضه ... ضربا يطيح له بنان المفصل
والخالطون فقيرهم بغنيهم ... والمنعمون على الضعيف المرمل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل
يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل
يسقون درياق الرحيق ولم تكن ... تدعى ولائدهم لنقف الحنظل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول
فعلوت من أرض البريص إليهم ... حتى اتكأت بمنزل لم يوغل
نغدو بناجود ومسمعة لنا ... بين الكروم وبين جزع القسطل
فلبثت أزمانا طوالا فيهم ... ثم اذكرت كأنني لم أفعل
إما تري رأسي تغير لونه ... شمطا فأصبح كالثغام المحول
فلقد يراني موعدي كأنني ... في قصر دومة أو سواء الهيكل
ولقد شربت الخمر في حانوتها ... صهباء صافية كطعم الفلفل
يسعى علي بكأسها متنطف ... فيعلني منها ولو لم أنهل

---

* ديوانه ١: ٧٣ – ٧٥ .

إنّ التي ناولتني فرددتها ... قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطني ... بزجاجة أرخاهما للمفصل
بزجاجة رقصت بما في قعرها ... رقص القلوص براكب مستعجل
نسبي أصيل في الكرام ومذودي ... تكوي مواسمه جنوب المصطلي
ولقد تقلدنا العشيرة أمرها ... ونسود يوم النائبات ونعتلي
ويسود سيدنا جحاجح سادة ... ويصيب قائلنا سواء المفصل
ونحاول الأمر المهم خطابه ... فيهم ونفصل كل أمر معضل
وتزور أبواب الملوك ركابنا ... ومتى نحكم في البرية نعدل
وفتى يحب الحمد يجعل ماله ... من دون والده وإن لم يسأل
يعطي العشيرة حقها ويزيدها ... ويحوطها في النائبات المعضل
باكرت لذته وما ماطلتها ... بزجاجة من خير كرم أهدل

تحتار الصورة الخمرية كيف تتسلل في نسيج هذه القصيدة ، اتدخلها من خلال المدح، أم من خلال الحنين، أم من خلال التغني ؟ فبأن الوجوه الثلاثة تفسح لها في المجال، ولا يدعيها وجه منها بأكثر مما يدعيها الآخر . القصيدة هذه من القصائد التي تضم عدة موضوعات - وفيها الخمرة - لتصل الى عدة أغراض في آن معاً . ومثل هذه القصائد كثيرة في الشعر الجاهلي . وهي تحتوي على ميزة خطابية غالبة وكأنها أعدّت لتلقى على جمع من الناس ، لتنقل اليهم رسالة ما من عدة نواح : كالفخر والمدح من خلال تذكر الماضي مدعوماً بمجد الحاضر . ولهذا نجد أن المادة الخمرية تتسرب في القصيدة من عدة نواح أيضاً . وهذا ما يفرعها ويشتتها ويجعل منها كصورة خمرية كبرى تشبه الغصون التي تمتد لتخدم غير غرض من أغراض القصيدة ، ولكنها تعجز عن تغيير بنيتها تغييراً جذرياً .

تحتل الخمرة ثلاث محطات في هذه القصيدة : الحزن والحنين الى الندامى ومدحهم بشربهم الخمر ، ثم فخر الشاعر بشربه الخمرة في الحوانيت ، وأخيراً

حديثه عن نديمه الذي يأتي بعد مدح قومه وقبيلته والفخر بنفسه فتجيء كخاتمة للقصيدة .

وتأتي المحطة الاولى بعد الوقوف المطوّل بالطلل وذكر المنازل . فيصف ندمانه من الغساسنة في مجالس الخمر بين الكروم، وهم يصفّقون الخمر بمياه بردى . ويمدحهم الشاعر بصفات النديم وهي الكرم والجود والشرف . فلما انتهت هذه المجالس التي كان الشاعر يشاركهم فيها شعر وكأنها لم تكن. وبعد هذه المحطة يلتفت الشاعر الى مخاطبته ،فيعتذر عن الكبر والشيب باسترجاع ذكريات الشباب وأبرزها شربه الخمر في الحوانيت : وهي المحطة الثانية . وتتضمن صورتين لافتتين للنظر : الأولى في البيت الثالث والعشرين إذ يقول للخمّار : إنّ الخمر التي أعطيتني إياها قد فقدت حدّتها بالمزاج فاعطني أفضلها : " قُتِلَتْ قتلت فهاتها لم تقتل" . والصورة الثانية هي الصورة المادية في وصف الساق الخمر :

بِزُجاجةٍ رَقَصَتْ بِمَا فِي قَعْرِها     رَقْصَ القَلُوصِ بِرَاكِبٍ مُسْتَعْجِلِ

وبعد سبعة أبيات من الفخر بنفسه وبقبيلته تأتي المحطة الثالثة وهي اختيار النديم المناسب الكريم لتشكّل خاتمة للقصيدة.

٢ ـ قال أوس بن حجر* من البسيط :( وفي نسبة أبيات منها خلاف : البعض يعزوها الى عبيد بن الابرص ) .

وَدِّعْ لَمِيسَ وَدَاعَ الصَّارِمِ اللَّاحِي ... إذْ فَنَكَتْ في فَسَادٍ بَعْدَ إصْلَاحِ (١)

إذْ تَسْتَبِيكَ بِمَصْقُولٍ عَوَارِضُهُ ... حَمْشِ اللِّثَاتِ عِذَابٍ غَيْرِ مِمْلَاحِ (٢)

وَقَدْ لَهَوْتُ بِمِثْلِ الرِّئْمِ آنِسَةٍ ... تُصْبِي الحَلِيمَ عَرُوبٍ غَيْرِ مِكْلَاحِ (٣)

كَأَنَّ رِيقَتَهَا بَعْدَ الكَرَى اغْتَبَقَتْ ... مِنْ مَاءِ أَصْهَبَ في الحَانُوتِ نَضَّاحِ (٤)

أَوْ مِنْ مُعَتَّقَةٍ وَرْهَاءَ نَشْوَتُهَا ... أَوْ مِنْ أَنَابِيبِ رُمَّانٍ وَتُفَّاحِ (٥)

هَبَّتْ تَلُومُ وَلَيْسَتْ سَاعَةَ اللَّاحِي ... هَلَّا انْتَظَرْتِ بِهَذَا اللَّوْمِ إصْبَاحِي (٦)

قَاتَلَهَا اللهُ تَلْحَانِي وَقَدْ عَلِمَتْ ... أَنِّي لِنَفْسِي إفْسَادِي وَإصْلَاحِي

إنْ أَشْرَبِ الخَمْرَ أَوْ أُرْزَأْ لَهَا ثَمَنَاً ... فَلَا مَحَالَةَ يَوْمَاً أَنَّنِي صَاحِي

وَلَا مَحَالَةَ مِنْ قَبْرٍ بِمَحْنِيَةٍ ... وَكَفَنٍ كَسَرَاةِ الثَّوْرِ وَضَّاحِ (٧)

دَعِ العَجُوزَيْنِ لَا تَسْمَعْ لِقِيلِهِمَا ... وَاعْمِدْ إلَى سَيِّدٍ في الحَيِّ جَحْجَاحِ (٨)

كَانَ الشَّبَابُ يُلَهِّينَا وَيُعْجِبُنَا ... فَمَا وَهَبْنَا وَلَا بِعْنَا بِأَرْبَاحِ

إنِّي أَرِقْتُ وَلَمْ تَأْرَقْ مَعِي صَاحِ ... لِمُسْتَكِفٍّ بُعَيْدَ النَّوْمِ لَوَّاحِ (٩)

قَدْ نِمْتَ عَنِّي وَبَاتَ البَرْقُ يُسْهِرُنِي ... كَمَا اسْتَضَاءَ يَهُودِيٌّ بِمِصْبَاحِ

---

(١) ـ الصارم : الهاجر القاطع . اللاحي : اللائم . وفنك في الشر فنوكا :لجّ فيه وألحّ .

(٢) ـ العوارض : جمع عارض : ما عرض من الأسنان وهو ما كان بين الناب والضرس . لثة حمشة : قليلة اللحم وكانت عندهم مستحبة .

(٣) ـ الرئم : الظبي الخاص البياض . آنسة : فتاة طيبة النفس . العروب المتحببة الى زوجها . مكلاح : عابسة .

(٤) ـ الغبوق : شراب العشي . النضاح : الراشح ، أو الذي يروي الشرب .

(٥) ـ ورهاء : حمقاء يعني شديدة قوية . الأنابيب هي الطرائق في الرمان .

(٦) ـ اللاحي : فاعل من لحى يلحى أي لام .

(٧) ـ المحنية : ما انعطف من الوادي . سراة الثور: ظهره . وضاح : أبيض .

(٨) ـ العجوزين : الأم والأب . الجحجاح: السيد الكريم .

(٩) ـ المستكف : المطر الهاطل . لواح من لاح البرق : لمح .

* ـ القصيدة في ديوان أوس بن حجر : ١٣ ـ ١٨ .

يا مَنْ لِبَرْقٍ أَبِيتُ الليلَ أَرْقُبُه ... في عارضٍ كمضيءِ الصبحِ لمّاحِ (١)
دانٍ مُسِفٍّ فُوَيقَ الأرضِ هَيدَبُهُ ... يكادُ يدفعُهُ مَنْ قامَ بالرّاحِ (٢)
كأنَّ رَيِّقَهُ لمّا علا شُطُباً ... أقرابُ أبلقَ ينفي الخيلَ رمّاحِ (٣)
هبّتْ جنوبٌ بأعلاهُ ومالَ بهِ ... أعجازُ مُزْنٍ يسُحُّ الماءَ دلّاحِ (٤)
فالتجَّ أعلاهُ ثمّ ارتجَّ أسفلُهُ ... وضاقَ ذرعاً بحملِ الماءِ مُنصاحِ (٥)
كأنّما بينَ أعلاهُ وأسفلِهِ ... رَيْطٌ منشَّرةٌ أو ضوءُ مصباحِ (٦)
ينزعُ جِلدَ الحصى أجشُّ مُبتركٌ ... كأنّهُ فاحصٌ أو لاعبٌ داحي (٧)
فمَنْ بنجوتِهِ كمَنْ بمحفلِهِ ... والمستكنُّ كمَنْ يمشي بقِرواحِ (٨)

---

(١) ـ العارض : السحاب الذي يتعرّض على وجه السماء . أو الذي يسبقه برق شديد الوميض .

(٢) ـ مسفّ : شديد الدنوّ من الارض . هيدبه : ما تدلى منه ( التاج ) : هيدب السحاب ما تهدّب منه إذا اراد الودق كأنه خيوط .

(٣) ـ ريقه : مشرفه ليس بمعظمه والأقراب جمع قرب : الكشح ،يقول : ينكشف البرق كما يرمح الأبلق فيبدو بياضه . ينفي الخيل :يطردها . شطب جبل في بلاد بني تميم

(٤) ـ الجنوب ريح تأتي بمطر غزير . اعجاز جمع عجز : موءخر الشيء. المزن السحاب الأبيض . دلاّح مثقل بالماء .

(٥) ـ التجّ : صوّت وهومن اللجةُ . منصاح : منشقّ بالماء . انصاح البرق اذا تصدّع .

(٦) ـ الريط : ريطةٌ : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين . منشّرة ومنشورة .

(٧) ـ أجش : غليظ الصوت : صفة للرعد الذي يصحب هذا السحاب . المبترك : من ابترك ( اي أسرع في العدو وجدّ فيه . الفاحص : هو الذي يقلب وجه التراب كما تفعل القطاة حين تشق أفحوصتها . الداحي الذي يلعب بالمدحاة : وهي خشبة يدحي بها الصبي فتمر على وجه الأرض لا تأتي على شيء ، الا اجتحفته . فكأن هذا المطر يسوق أمامه كل ما يعترضه على وجه الأرض عمل المدحاة .

(٨) ـ النجوة : ما ارتفع من الأرض . المحفل مستقر الماء. القرواح الارض المستوية الظاهرة ، المستكن الذي في بيته .

كَأَنَّ فِيهِ عِشَارًا جِلَّةً شُرُفًا شُعْثًا لَهَامِيمَ قَدْ هَمَّتْ بِإِرْشَاحِ (١)

هُدْلًا مَشَافِرُهَا بُحًّا حَنَاجِرُهَا تُزْجِي مَرَابِيعُهَا فِي صَحْصَحٍ ضَاحِي (٢)

فَأَصْبَحَ الرَّوْضُ وَالقِيعَانُ مُمْرِعَةً مِنْ بَيْنِ مُرْتَفِقٍ مِنْهَا وَمُنْطَاحِ (٣)

وَقَدْ أَرَانِي أَمَامَ الحَيِّ تَحْمِلُنِي جُلْذِيَّةٌ وُصِلَتْ دَأْيًا بِأَلْوَاحِ (٤)

عَيْرَانَةٌ كَأَتَانِ الضَّحْلِ صُلْبُهَا جَرْمُ السَّوَادِيِّ رَضُّوهُ بِمِرْضَاحِ (٥)

سَقَى دِيَارَ بَنِي عَوْفٍ وَسَاكِنَهَا وَدَارَ عَلْقَمَةَ الخَيْرِ بْنِ صَبَّاحِ

---

(١) - العشار : التي اتى عليها عشرة أشهر من حملها . الجلة المسنة من الإبل والشرف الكبار منها . اللهاميم الغزار ويقال ارشحت الناقة اذا اشتد فصيلها وقوي وهو فصيل راشح. وانما ذكرها بذلك ،لانها تحن .

(٢) - هدل : مسترخية ،تزجي : تسيم وترعى ،الصحصح : المكان المستوي الظاهر. المرباع الناقة التي تضع في ربعية النتاج وهو أوله وانما يعني أولادها.

(٣) - المرتفق ماء راكد قد حبسه شيء يرتفق به . والمنطاح سائل لم يكن له ما يحبسه فسال. ومكان مرتفق فيه ومنطاح فيه.

(٤) - الجلذاة : الأرض الصلبة ومنها قيل للناقة جلذية. وصلت دأيا بألواح اي لمت دأياتها وألواحها كما تقول وصلت جاهلية بإسلام .

(٥) - الجرم نوى النخل . السوادي نخل سواد العراق . أتان الضحل : صخرة تكون على فم الركي فيركبها الطحلب فتكون أشد ملاسة من غيرها . وقيل هي الصخرة بعضها غامر وبعضها ظاهر . العيرانة الناقة الصلبة تشبيهاً بعير الوحش. المرضاح الحجر الذي يرضح به النوى أي يدق .

إن القصائد المؤلفة من عدّة موضوعات ـ تكون إحداها الخمرة ـ كثيرة في الشعر الجاهلي ،ولكن قصيدة أوس بن حجر تتميّز عنها بأن تعدّد الموضوعات فيها قد نجح الى حدّ بعيد في خلق وحدة في المناخ العام القائم على تعدّد الحالات النفسية . والقصيدة في ذلك أشبه ببحيرة ،والشاعر فيها يرمي أحجاره على صفحتها محدثاً دوائر مختلفة ،ولكنّها تتّسع لتنداح في بعضها البعض راسمة إطاراً لمناخ عام. والقصيدة زاهية متألقة ، وللخمرة دورها في هذا الألق . فصورها هنا لا تعتمد على الوصف الدقيق لها بقدر ما تعتمد على الايحاء كجزء من إيحاء القصيدة العام ؛ فهي تلتمع في إشارات متألقة سخية تتطابق مع ما يجود به السيل في القصيدة من إشارات ضوئية متألقة ،تماماً كما تتطابق غالب صور القصيدة الفنية مع بعضها البعض محدثة جواً من الصحو ـ كذلك الآتي بعد السيل ،مع تلألؤ الخمر والألق المنبعث من ذكريات الشباب . إنّ هذا الجوّ من الصحو الذي يخلقه الشاعر من مزيج الصور المشرقة ،والذي تدعمه القافية ـ الحاء المكسورة ـ بالصوت والصدى اللذين يوحيان باشراق الصحو هو الملجأ الذي يرتاح اليه الشاعر ويرتضيه من الصراع الناشئ ،عن الحالات النفسية المختلفة عنده ،وليس الوصول الى الممدوح ـ كما يتضح في نهاية القصيدة . والدليل على ذلك أن الشاعر يذكر الممدوح في عجز البيت العاشر ولكنه يحجم عن ذلك بغتة ،ويستطرد في وصف السيل وقوته وغزارته وجرفه لكل شيء ،معبّراً عن التردد والسخط في هذا الصراع الدائر في نفسه ،وهو إذ يفرّغ في وصف السيل هذه الصور المتلاحقة السريعة الموحية بالتضرّم والسخط ،والتي تتولّد من بعضها البعض بشكل مطرّد ،يخلص الى خلق جو من الصحو الشامل المريح. وعندما يستكمل خلق المناخ العام في القصيدة بما يرضي الشاعر يخلص الى ذكر الممدوح، ويسرع إذ يتخذ من هذا السيل أداة أُخرى يوظّفها في المدح وهي الاستقساء لمنازل الممدوح ،وهذا تقليد جاهلي شائع .

وأما محطات الصراع المؤرق للشاعر فهي : الحزن إزاء الحب الخائب رغم أن الشاعر يحاول أن يظهر بمظهر الصارم الجازم اللاحي ،والارق الذي تحدثه

ذكريات الشباب المنصرم ،والخوف ازاء هذا القبر كمصير محتوم . وتخلق هذه المحطات جواً من التردد في إيجاد البديل للراحة الذي يكتمل باكتمال القصيدة فيما بعد . وهذا التردد يعبّر عن نفسه في غير موقف : فالشاعر يبدأ بالحديث عن شيء ثم ينصرف عنه بجزم الى شيء آخر : فمن الحب إلى ذكريات الشباب ، الى الثورة على الأم والأب ، الى ذكر الممدوح ثم الاستطراد بوصف السيل : فيورد الصور الواحدة تلو الأخرى ،يكرّر في ذلك استعمال : "أو " مما يوحي بتردده . ونرى ان نبض التردد يتصاعد في القصيدة كلما اقتربت من نهايتها ،كاقتراب حلقات الماء من بعضها البعض قبل أن تهمد وتتلاشى لتخلق المناخ العام المريح. وفي هذا الاطار النهائي للقصيدة تكون الخمرة قد اتخذت لنفسها بعداً جديداً ذا طابع فلسفي : فالتغلب على الحزن والتردد والشيخوخة ،وهذا القبر الذي لا بدّ منه يسهل بمعاقرة الخمر في الحاضر والمقبل من الأيام ،وهذا ما يجعل للخمر حيّزاً من الصحو النفسي عند الشاعر وهو يلائم جو الصحو بعد السيل الذي يشيع باكتمال القصيدة .

٣- قال عدي بن زيد لعبد هند بن لخم بن عمر بن كعب بن زيد اللخمي ،من السريع : *

أَبْلِغْ خَليلي ( عَبْدَ هِنْدٍ ) فَلا زِلْتَ قَريباً من سَواد الخُصوص (١)
مُوازيَ الفُورَةِ أو دونَها غَيْرَ بَعيدٍ من غُمَيْرِ اللُّصوص (٢)
تَجْنى لكَ الكَمأةُ رِبْعيّةً بالخَبِّ تَنْدى في أصُولِ القَصيص (٣)
تُقْنِصُكَ الخَيلُ ويَصْطادُكَ الـ طَّيْرُ ولا تَنْكَعُ لَهْوَ القَنيص (٤)
تأكُلُ ما شِئْتَ وتَعْتَلُّها حَمْراءَ من خُصٍّ كلَوْنِ الفُصوص (٥)
غُيِّبْتَ عَنِّي (عَبْدُ) في ساعةِ الشَّـ ـرِّ وجُنِّبْتَ ذَواتِ العُويص (٦)
لا تَنْسَيَنْ ذِكْري على لَذَّةِ الـ ـكَأْسِ وطَوْفٍ بالخَذوفِ النَّحوص (٧)
إنَّكَ ذو عَهْدٍ وذو مَصْدَقٍ مُجانِبٌ هَدْيَ الكَذوبِ اللَّموص (٨)
يا عَبْدُ هَلْ تَذْكُرُني ساعةً في مَوكِبٍ أو رائداً للقَنيص

---

(١) - الخصوص : ياقوت : موضع قريب من الكوفة تنسب إليه الدنان : فيقال دنّ خصي ، وقيل بالكوفة ،وقيل بالحيرة ،وبه فسر قول عدي بن زيد .

(٢) - الفورة : موضع في ديار بني عامر . غُمير اللصوص : قرية من قرى الحيرة.

(٣) - ربعية : في فصل الربيع ،وأول ما يجنى . الخب : سهل بين حزنين تكون فيه الكمأة . القصيص : جمع قصيصة ،وهي شجرة تنبت في أصلها الكمأة .

(٤) - النكع : الاعجال عن الامر . ونكعه عن الامر : اعجله عنه . تقنصك : تصطاد لك.

(٥) - الخص : قرية قرب القادسية . وفي هامش الغفران أن الحُص ( بالحاء المهملة ) بلد بالشام تنسب اليه الخمر . الفصوص جمع فص ،ويطلق على الخاتم وعلى حدقة العين .

(٦) - الخذوف من الدواب : السريعة والسمينة . يقول : لا تنس ذكرى عند الشرب والصيد . النحوص : الحائل التي لم تلقح ،وقيل هي التي منعها السمن من أن تحمل .

(٨) - اللموص الكذوب الخدوع .

* القصيدة في ديوان عدي بن زيد : ٦٨ - ٧٢ .

يَوْماً مَعَ الرَّكْبِ إِذَا أَوْضَعُوا ... تَرْفَعُ فِيهِمْ مِنْ نَجَاءِ الْقَلُـوصْ(١)
قَدْ يُدْرِكُ الْمُبْطِئُ مِنْ حَظِّـهِ ... وَالْخَيْرُ قَدْ يُسْبِقُ جُهْدُ الْحَرِيـصْ(٢)
فَلَا يَزَلْ مُدْرِكُ فِي رِيبَـةٍ ... تَذْكُرُ مِنِّي تَلْفِي أَوْ خَلُـوصْ(٣)
يَا نَفْسُ إِبْقِي وَاتَّقِي شَتْمَ ذِي الْـ ... أَعْرَاضِ إِنَّ الْحِلْمَ مَا إِنْ يَنُـوصْ(٤)
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَأَنَا ( ذُو غِنَىً ) ... مَتَى أَرَى شَرْباً حَوَالِي أَصِيـصْ(٥)
بَيْتَ جُلُوفٍ بَارِدٌ ظِلُّـهُ ... فِيهِ ظِبَاءٌ وَدَوَاخِيـلُ خُـوصْ(٦)
وَالرَّبْرَبُ الْمُكَفُوفُ أَرْدَانُـهُ ... يَمْشِي رُوَيْداً كَتَوَقِّي الرَّهِيـصْ(٧)
يَنْفَحُ مِنْ أَرْدَانِهِ الْمِسْكُ وَالْـ ... ـعَنْبَرُ وَالْغَارُ وَلُبْنَى قُفُـوصْ(٨)
وَالْمَشْرِفُ الْمَشْمُولُ يُسْقَى بِـهِ ... أَخْضَرَ مَطْمُوثاً كَمَاءِ الْخَرِيـصْ(٩)

---

(١) – أوضع البعير :أسرع ،وأوضعوا اسرعوا، وأوفضوا : جدوا . القلوص من الابل الشابة المستمرة على السير . النجاء الإسراع .
(٢) – يسبق جهد الحريص : يفوته .
(٣) – أي لا تزال ترتاب بالشيء من أعدائي ، ومن آمري . خلوص : تخلصي .
(٤) – النوص : الهرب .
(٥) – الأصيص : أسفل الدن،ويعني به أصل الدّن.

(٦) – جـلوف جمع جلف وهو الدنّ الذي لا شيء فيه . الظباء : أباريق ضخام . الدواخيل جمع دُوَّخلة سقيفة تنسج منخوص يجعل فيها التمر . يريد أن البيت مبني بالدنان المكسورة ، ويظلونها بالخصف والظباء .
(٧) – الربرب الظبي او البقرة وقيل القطيع من بقر الوحش وقيل من الظباء ولا واحد له، تُشَبَّه به النساء، المكفوف الذي كف بديباج أي خيط عليه . الرهيص الذي أصابته رهصة فهو يمشي رويداً .
(٨)– لبنى : شجرة لها عسل يتبخر به . قفوص اسم لموضع ينبت اللبنى أو بلد بالشام يجلب منه العود .
(٩) – المشرف : إناء شرب . المشمول الطيب . الطموث الذي طمث بمسك، الخريص السحاب والماء البارد .

ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ فُيُوجٍ عَلَى الـ ـــبابِ وَقَيْدَيْنِ وَغُلٍّ قَــرُوصْ(١)
وَمُرْتَقًى نِيقٍ عَلَى نِقْنِقٍ أَدْبَرَ عَوْدٍ فِي إِكَافٍ قَمُوصْ(٢)
لَا يُثْمِنُ الْبَيْعَ وَلَا يَحْمِلُ الـ ـرِّدْفَ وَلَا يُعْطِي بِهِ قَلْبَ خُوصْ(٣)
أَوْ مِنْ نُسُورٍ حَوْلَ مَوْتَى مَعاً يَأْكُلْنَ لَحْماً مِنْ طَرِيِّ الْفَرِيصْ(٤)

---

في هذه القصيدة تتقمّص الخمرة مناخاً غالباً يسري مع أبياتها ببطء تفرضه تلك الحسرة أو الغصة المنبثقة من انسياب الذاكرة وانفلاتها من واقع الحاضر المتمثّل في الأسر والقيد . فالقصيدة صراع بين قطبين : وجع الذاكرة وقساوة الحاضر : يرفد كل منهما الآخر بطريقة فذّة ، إذ يظهر ألق الأول بشاعة الثاني ويعرّيه ، وتقوّي كآبة الثاني من ألق القطب الاول ونفاذه . والصورة الخمرية غالبة : لأنّ الذاكرة في انسيابها وانفلاتها من حدود الواقع تختار أن تحط في محطة الندام والصيد المترفة . ولكن خطّ انسيابها إلى هذه المحطة متّسم بالمرارة والغصّة مما يفسر البطء في الوصف : فالشاعر يريد ابلاغ صديقه بحاله . وهو يرشد الرسول إلى هذا الخليل ببطء . ثم يبطئ أكثر وهو يصف رفاهية هذا الصديق في القنص والصيد وشرب الخمر ، وكأنه يشتهي ذلك ويتلمّظ به في بطء في محاولة منه لأسر ذكريات لذة هذه الأشياء لقربها إلى نفسه وحبه لها .

---

(١) - الفيوج : جمع فَيْج وهو الحارس او رسول السلطان. الغلّ : الطوق من حديد . القروص المؤذي .

(٢) - النيق : الحبل أو خشبة يحملون عليها المعذّب . النقنق : الظليم . العَوْد الكبير السن. الإكاف البردعة . القموص : الدابة تقمص بصاحبها اي تثب .

(٣) - أثمنت البيع : سميت له سعراً. القلب ها هنا : قلب النخلة .

(٤) - الفريص : أوداج العنق ، واحدته فريصة .

وتكشف الحسرة عن نفسها في البيت الحادي عشر . فالشاعر وهو يتحدث عن حظ المصطاد يومئ الى بشاعة حظه التي أدت به الى الأسر . ويحاول أن يقنع نفسه بالصبر ، والإحجام عن شتم الناس . وهنا تعبّر الصورة الخمرية الكبرى عن نفسها إذ تكون التعويض المريح عما يعتمل في صدر الشاعر من غيظ ، وذلك بتذكّر أيام لذّته المترفة في شرب الخمر بحنين عجيب . ويصف بيت الشراب فيختار أبسط البيوت وأحقرها : إنّه بيت مصنوع من الدّنان المكسورة ومغطى بسعف النخل . ولكنه في الوقت نفسه أجمل البيوت لشرب الخمر : لأنّ الشاعر على غناه لا يطلب أكثر من ذلك وهو في الأسر ، ولأنّ بيت الشراب على هذا النحو بالإضافة الى وصف نسائه وعبق رائحة المسك فيه المنبعثة من النساء الجميلات والخمر الخضراء المطموثة بالمسك هي من أكثر الصور الحسية في الشعر الجاهلي . ربما أوردها الشاعر هنا للتعويض بإشباع الحواس عن الألم الناتج عن قساوة القدّ الذي هو فيه . والأبيات الثلاثة الأخيرة تتّسم بالبطء الشديد في التعبير الذي يعبّر عن قساوة الحافر وطول الأيام واستحالتها في الأسر :

ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ فُيُوجٍ عَلَى الـ ... ـبَابِ وَقَيْدَيْنِ وَغُلٍّ قَرُوصْ
وَمُرْتَقَى نِيقٍ على نُقْنُقٍ ... أَدْبَرَ عُودٍ في إِكافٍ قَمُوصْ

ويبقى أن القافية : الصاد الساكنة تضفي على القصيدة مزيداً من الغصّة ورنين الحزن .

٤-قال الاعشى من الوافر : *

عرفتَ اليومَ من تيّا مقامــا ... بجوٍّ أو عرفتَ لها خِيامــا
فهاجت شوقَ محزونٍ طَـروبٍ ... فأسبلَ دمعهُ فيها سِجامـا
ويومَ الخَرجِ من قَرماءَ هاجتْ ... صِباكَ حمامةٌ تدعو حمامـا
وهلْ يشتاقُ مثلُكَ من رسـومٍ ... عفتْ إلّا الأياصِرَ والثُّمامـا
وقدْ قالتْ قُتيلةُ إذْ رأتني ... وقدْ لا تعدمُ الحسناءُ ذامـا
أراكَ كَبِرتَ واستحدثتَ خُلْقـاً ... وودّعتَ الكواعبَ والمُدامـا
فإنْ تكُ لِمّتي يا قُتلُ أضحتْ ... كأنّ على مفارقِها ثَغامـا
وأقصرَ باطلي وصحوتُ حتى ... كأنْ لمْ أجرِ في دَدَنٍ غلامـا
فإنّ دوائرَ الأيّامِ يُفنـي ... تتابعُ وقعِها الذَّكَرَ الحُسامـا
وقدْ أقري الهمومَ إذا اعترتني ... عُذافرةً مُضبَّرةً عقامـا
مُفرَّجةً يئطُّ النِّسعُ فيهـا ... أطيطَ السَّمهريّةِ إنْ تُقامـا
إذا ما رُعتَها بالزجرِ أجّتْ ... أجيجَ مُصلَّمٍ يَزفي نعامـا
تشقُّ الليلَ والسَّبَراتِ عنها ... بأتلعَ ساطعٍ يَشري الزِّمامـا
وتقتالُ النُّسوعَ بجوزِ قَـرمٍ ... مُواشكةً إذا ما اليومُ صامـا
إذا ما الاثمِداتُ وُنينَ حطّتْ ... على العِلّاتِ تجترعُ الإكامـا
وأدكنَ عاتقٍ جَحلٍ سِبَحلٍ ... صَبحتُ براحِهِ شَرباً كِرامـا
منَ اللّاتي حُملنَ على الرّوايـا ... كريحِ المسكِ تستلُّ الزُّكامـا
مشعشعةٍ كأنّ على قَراهـا ... إذا ما صُرّحتْ قِطَعاً سِهامـا
تخيّرَها أخو عاناتَ شهـراً ... ورجّى أولَها عاماً فعامـا
يؤمّلُ أنْ تكونَ لهُ ثَـراءً ... فأغلقَ دونَها وعلا سَوامـا
فأعطينا الوفاءَ بها وكُنّـا ... نُهينُ لِمثلِها فينا السَّواما

* ( الصبح المنير : ١٣٣ - ١٣٦ ) .

كأن شعاع قرن الشمس فيها ... إذا ما فتّ عن فيها الختاما
وبيضاء المعاصم إلف لهو ... خلوت بشكرها ليلا تماما
حلفت لكم على ما قد نعيتم ... برأس العين إن نفض السقاما
وشيكاً ثم تاب إليه جمع ... ليلتمسن بلادكم إلى ما
ليلتمسن بلادكم بمجر ... يثير بكل بلقعة قتاما
عريض يعجز الصحراء عنه ... ويشرب قبل آخره الجماما
يقود الموت يهديه إياس ... على جرداء تستوفي الحزاما
تباري ظل مطرد ممر ... إذا ما هز أرعش واستقاما
أخو النجدات لا يكبو لضر ... ولا مرح إذا ما الخير داما
له يومان يوم لعاب خود ... ويوم يستمي القحم العظاما
منير يحسر الغمرات عنه ... ويجلو ضوء غرته الظلاما
إذا ما عاجز رثت قواه ... رأى وطأ الفراش له فناما
كفاه الحرب إذ لقحت إياس ... فأعلى عن نمارقه فقاما
إذا ما سار نحو بلاد قوم ... أزارهم المنية والحماما
تروح جياده مثل السعالي ... حوافرهن تهتضم السلاما
كصدر السيف أخلصه صقال ... إذا ما هز مشهوراً حساما

في هذه القصيدة تتفرّد الصورة الخمرية الكبرى بأنّها تقوم على أساس وصف الخمر- باعتبارها إحدى موضوعات القصيدة - على أساس جديدخرج فيه الشاعر عن التقليد المألوف في وصف الخمر : فطوّر الصورة في وصف شعاعها ،واستطرد الى قصة صاحبها ،ووصف وعائها بأسلوب جميل يعتمد على اللفظ والايقاع . ولهذا تشغل الخمرة هنا حيزاً في بنية القصيدة ،ولكنّها لا تمدّ لنفسها جذوراً بعيدة لتتغلغل في بنية القصيدة بأكملها . والسبب في ذلك تعدّد الموضوعات في القصيدة ، وهذه صفة تلازم قصائد الأعشى كلها . فقصائده لا تتميّز بالبراعة في مدّ الصورة

الكبرى في أرجاء القصيدة ،ولكن في جعل شعره سجلاً حافلاً بصور الخمرة ،وقاموساً لألفاظها وأوانيها ،وكل ما يتّصل بها .

والشاعر يستقدم هذه الصورة الخمرية إلى القصيدة بواسطة أسلوب جميل عبّر عنه بالحوار بينه وبين صاحبته ،وفي الحوار نبرة التحدّي ممّا يستدعي الذاكرة لتنشطُ معيدةً زهو الشباب وطيب الشراب ،فيتحدث الشاعر عن لذات الشباب ،وهي في الأساس الخمرة ،لانه يمرّ سريعاً بوصف المرأة في بيت واحد (٢٣) ، بينما يُفرد لرحلة الناقة ستة أبيات تمتاز بالقوة وسرعة الحركة مما يوحي بالشباب وزخمه ويربط بين الصورتين. وعندما يصف الشاعر الوعاء الضخم للشراب الذي كان يقدمه للنّدامى ،نجد أنه يصفه بايقاع قوي جازم مبتور ممّا يوحي بالسرعة وهي صورة تتّفق وصورة وصف الناقة من حيث القوة والزخم ؛ وأَدكَنَ عاتِقٍ جَحْلٍ سِبَحْلِ ..

أما وصف الخمرة فينصبّ على رائحتها وشعاعها . والوصف يتسم بالنفاذ والقوة ؛ لانه يتجه الى الحواس . ويتسم كذلك بالمبالغة الجميلة ؛ والمبالغة هنا هي الأسلوب الفني الذي يستعمله الشاعر ليصف الخمرة من خلال التقليد بدايةً ثم يخرق هذا التقليد بالمبالغة التي تطلق خياله . فهي كريح المسك تستل الزكاما ، وهي مشعشعة " كأن على قراها اذا ما سرّحت قطعاً سهاما " وتتجلّى المبالغة في وصف شعاعها بقوله :

كأنّ شعاع قرن الشمس فيها ... اذا ما فَتّ عن فيها الختاما

وهي صورة جديدة في وصف شعاع الخمر لأنّ غيره من الشعراء لم يصف شعاعها بالشمس .

هذا حظ الصورة الخمرية في قصيدة الأعشى . وهي كما رأينا تندرج مع غيرها من الصور كالوقوف بالمنازل وتذكر الحبيبة ،ثم ذكريات الشباب وأخيراً المدح ، والشاعر يبوّئه مكانة هامة في بنية القصيدة .

٥- قال أبو ذؤيب الهذلي من الطويل : *

أبا لصّرم من أسماء حدثك الذي … جرى بيننا يوم استقلت ركابها (١)
زجرت لها طير الشمال فإن تكن … هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها (٢)
وقد طفت من أحوالها وأردتها … سنين فأخشى بعلها وأهابها (٣)
ثلاثة أحوال فلما تجرّمت … علينا بهون واستحار شبابها (٤)
عصاني إليها القلب إني لأمره … سميع فما أدري أرشد طلابها
فقلت لقلبي يا لك الخير إنما … يدليك للموت الجديد حبابها (٥)
وأقسم ما إن بالة لطمية … يفوح بباب الفارسيين بابها (٦)
ولا الراح راح الشام جاءت سبيئة … لها غاية تهدي الكرام عقابها (٧)

---

* القصيدة في شرح أشعار الهذليين : ١ : ٤٢ - ٥٥ .

(١) - الذي جرى بيننا : يعني جاء وذهب وهو ما سنح وبرح.استقلت ، احتملت. ركابها : إبلها .
(٢) - طير الشمال : أراد طير الشوم. يريد : إن صدق هذا الطير السنيح سيصيبك اجتنابها : تباعدها .
(٣) - من أحوالها : من حولها . أخشى بعلها : أي يخاف أن يتهمه بها. أهابها: كأنه يستحي أن يواجهها .
(٤) - تجرّمت : تكمّلت . علينا بهون : بهوان. وأني كنت أتصغّر واتضاءل لمن هو دوني في سببها. استحار شبابها : تمّ وتحيّر وجرى منها الشباب كل مجرى .
(٥) - الموت الجديد : المفاص الذي يجيء على حين غرة .
(٦) - بالة : وعاء الطيب . لطمية منسوبة الى اللطيمة : عير تحمل الطيب . الفارسيون تجار .وكل شيء يأتيهم من ناحية العراق فهو عندهم فارسي . بابها اي فم وعائها .
(٧) - الراح الخمر ،سبيئة : مشتراة. غاية راية ينصبها الخمار ليعرف أنه تاجر خمر . يشتريها الكرام عقابها رايتها.

عُقَارٌ كَمَاءِ النّيِّ لَيْسَتْ بِخَمْطَةٍ ... وَلا خَلّةٍ يَكْوِي الشُّرُوبَ شِهَابُهَا (١)
تَوَصَّلُ بِالرُّكْبَانِ حِيناً وَتُؤْلِفُ الـ ... جِوَارَ وَيُغْشِيهَا الأَمَانَ رِبَابُهَا
فَمَا بَرِحَتْ فِي النَّاسِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ ... ثَقِيفاً بِزِيزَاءِ الأَشَاءِ قِبَابُهَا (٢)
فَطَافَ بِهَا أَبْنَاءُ آلِ مُعَتِّبٍ ... وَعَزَّ عَلَيْهِمْ بَيْعُهَا وَاغْتِصَابُهَا (٣)
فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ أَحْكَمَتْهُمْ وَلَمْ يَكُنْ ... يَحِلُّ لَهُمْ إِكْرَاهُهَا وَغِلابُهَا
أَتَوْهَا بِرِبْحٍ حَاوَلَتْهُ فَأَصْبَحَتْ ... تَكَفَّتُ قَدْ حَلَّتْ وَسَاغَ شَرَابُهَا (٤)
بِأَرْيِ الَّتِي تَأْرِي لَدَى كُلِّ مَغْرِبٍ ... إِذَا اصْفَرَّ لِيطُ الشَّمْسِ حَانَ انْقِلابُهَا (٥)
بِأَرْيِ الَّتِي تَأْرِي الْيَعَاسِيبُ أَصْبَحَتْ ... إِلَى شَاهِقٍ دُونَ السَّمَاءِ ذُؤَابُهَا (٦)
جَوَارِسُهَا تَأْرِي الشُّعُوفَ دَوَائِباً ... وَتَنْصَبُّ أَلْهَاباً مَصِيفاً كِرَابُهَا (٧)
إِذَا نَهَضَتْ فِيهِ تَصَعَّدَ نَفْرُهَا ... كَقِتْرِ الْغِلاءِ مُسْتَدِرّاً صِيَابُهَا (٨)
يَظَلُّ عَلَى الثَّمْرَاءِ مِنْهَا جَوَارِسٌ ... مَرَاضِيعُ صُهْبُ الرِّيشِ زُغْبٌ رِقَابُهَا (٩)

---

(١) - عقار التي تعاقر الدن. كماء النّيء وهو ما قطر من اللحم، أراد لصفائها . خمطة : التي أُخذت طعم الإدراك ولم تدرك. الخلّة : الحامضة ، شهابها : نارها وحدتها .
(٢) - زيزاء : ظهر منقاد غليظ . الأَشاء : النخل .
(٣) - ابناء آل معتّب : من ثقيف . ولم تحلّ لهم لأنّهم في شهر حرام .
(٤) - تُكُفِّت : تَقبض .
(٥) - أَري : عمل النحل. اي العسل ممزوجة بالخمر . ليط الشمس : قشرها .
(٦) - اليعاسيب : النحل .
(٧) - جوارسها : الجرس : أكل النحل الثمر والشجر . الشعوف : رؤوس الجبال . الألهاب جمع لهب : الشقّ في الجبل . مصيفاً كرابُها : الكربة : فصل ما بين الجبلين ; مصيفاً : أَصابها مطر الصيف .
(٨) - اذا نهضت هذه النحل في هذا الموضع أي طارت فيه وتصعّد نفرها : أي شق على بعضها وأجهده . قِتر : نصال سهام الاهداف : قترة . ( الغلاء من أغاليه مغالاة اذا راميته ) . مستدرّ : ذاهب : صيابها : قواصدها . أي تجيء منفلتة ليست بمسترخية . مُستدرّاً : أي كأنه مجتمع ليس بمنتشر .
(٩) - الثمراء : هضبة بشقّ الطائف ممّا يلي السّراة . مراضيع صغار النحل .

فَلَمَّا رَآهَا الخَالِدِيُّ كَأَنَّهَا ... حَصَى الخَذْفِ تَهْوِي مُسْتَقِلًّا إِيَابُهَا (١)
أَجَدَّ بِهَا أَمْرًا وَأَيْقَنَ أَنَّهُ ... لَهَا أَوْ لِأُخْرَى كَالطَّحِينِ تُرَابُهَا (٢)
فَقِيلَ تَجَنَّبْهَا حَرَامٌ وَرَاقَهُ ... ذُرَاهَا مُبِينًا عُرْضُهَا وَانْتِصَابُهَا (٣)
فَأَعْلَقَ أَسْبَابَ المَنِيَّةِ وَارْتَضَى ... ثُقُوفَتَهُ إِنْ لَمْ يَخُنْهُ انْقِضَابُهَا (٤)
تَدَلَّى عَلَيْهَا بَيْنَ سِبٍّ وَخَيْطَةٍ ... بِجَرْدَاءَ مِثْلِ الوَكْفِ يَكْبُو غُرَابُهَا (٥)
فَلَمَّا اجْتَلَاهَا بِالإِيَامِ تَحَيَّرَتْ ... ثُبَاتٍ عَلَيْهَا ذُلُّهَا وَاكْتِئَابُهَا (٦)
فَأَطْيِبْ بِرَاحِ الشَّامِ صِرْفًا وَهَذِهِ ... مُعَتَّقَةً صَهْبَاءَ وَهْيَ شِيَابُهَا (٧)
فَمَا إِنْ هُمَا فِي صَحْفَةٍ بَارِقِيَّةٍ ... جَدِيدٍ حَدِيثٍ نَحْتُهَا وَاقْتِضَابُهَا (٨)
بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا إِذَا جِئْتُ طَارِقًا ... مِنَ اللَّيْلِ وَالْتَفَّتْ عَلَيَّ ثِيَابُهَا
رَأَتْنِي صَرِيعَ الخَمْرِ يَوْمًا فَسُؤْتُهَا ... بِقُرَّانَ إِنَّ الخَمْرَ شُعْثٌ صِحَابُهَا (٩)
وَلَوْ عَثَرَتْ عِنْدِي إِذَنْ مَا لَحَيْتُهَا ... بِعَثْرَتِهَا وَلَا أَسِيءُ جَوَابُهَا (١٠)
وَلَا هَرَّهَا كَلْبِي لِيُبْعِدَ نَفْرَهَا ... وَلَوْ نَبَحَتْنِي بِالشَّكَاةِ كِلَابُهَا (١١)

---

(١) - حصى الخذف : كأنها حصى الخذف في مغرها تسقط : كلما استقلت في الجبل زلّت ورجعت .

(٢) - عزم بشأنها وقال إنه سيعل مكان النحل( العسل) أو يهوي الى التراب .

(٣) - حرام : اسمه : أي تجنب هذه الشهدة . فأعجبه عرضها : أي عرض الشهدة وذراها .

(٤) - ثقوفته : لباقته في العمل ان لم يخنه انقطاع حبله .

(٥) - الخيطة : دراعة يلبسها المشتار . والسّب : أن يضرب وتداً ثم يشدّ فيه حبلاً فيتدلى به الى العسل . الصخرة جرداء ملساء لا يثبت عليها ظفر الغراب .

(٦) - اجتلاها : طردها . الإيام الدخان . تحيّرت لا تدري اين تذهب . والثبات : جمع ثُبة : وهو القطعة من القوم ومن كل شيء . الاكتئاب : الحزن .

(٧) - وهذه : أي والشهدة . شيابها : تمزج بها .

(٨) - يعني الخمر والعسل في صحفة منسوبة الى بارق منحوتةٌ حديثاً .

(٩) - قرّان : واد . يقول : أصحاب الخمر شُعْثٌ مرّة من أجل أنهم مشغولون من أنفسهم في الحوانيت .

(١٠)- لحيتها : لمتها : ولا ساءها جوابي .

(١١)- هذا مثل : أي لم يأتها مني أذى . الشكاة : القول القبيح . لو نبحتني بالشكاة كلابها : أي ولو شتمني سفهاؤها ومن يقربها .

تتميز الصورة الخمرية الكبرى في قصيدة أبي ذؤيب بأنّها تتجاوز الوصف المألوف للخمر ،وتمدّ جذورها البعيدة في القصيدة بأكثر مما يبدو للقارئ للوهلة الأولى ،لتشكل المفتاح لوحدة عضوية فريدة في القصيدة الجاهلية .فالصّورة هنا قناع لموضوع واحد يتحدث عنه الشاعر بمواربة بارعة . وهذا القناع لا يمثل الفكرة الأساسية في هذا الموضوع بشكل مباشر ،وانما يلمح اليها ،ويوحي بها ،لأنّ التصريح قد يشلّ القصيدة ،وهو بالتأكيد يفقدها أثرها وبراعتها الفنية على حدّ سواء . وهذه القصيدة هي المثال الأكيد بأن الصورة الخمرية الكبرى أصيلة في القصيدة، وبأن القصيدة لا تكون إلاّ بها.

الشاعر يتحدث هنا عن حبه لهذا المرأة . وهو حبّ ممنوع ومحرّم لأنها امرأة متزوجة ( البيت الثالث ). وهو حب دونه صعاب كثيرة قد يعترضها هذا " الموت الجديد " ،ولكن هذه الصعاب هي التي تحفزه الى هذا الحب تماماً كما تحفز تلك الشهدة المستحيلة حراماً الخالدي وتتحدّى براعته وشجاعته : فيحصل عليها أو يصير تراباً مسحوقاً كالطحين اذا ما سقط في الهاوية،وهذه المرأة بالذات هي الأثيرة بين غيرها من النساء الكثيرات الجميلات لأنّها المحرّمة : مثل تلك الخمر التي تجيء من البلاد البعيدة بحراسة شديدة : فهي آمنة لأنها تُؤمّل بالرُّكبان حيناً وتُؤْلف الجُوار ،وهي آمنة أكثر ،لان اصحابها قد استقسموا بالأزلام فأعطتهم الأمان،وهي آمنة أخيراً لأنّها محرّمة : لا يستطيع أحد الحصول عليها بالقوة لان الوقت كان في الأشهر الحرم. وتصل هذه الخمر آل معتّب من ثقيف « رثقيف اصحاب الخمر في الجاهلية - كما رأينا - وهي متوفرة بينهم لأنهم يزرعون العنب ويصنعون الخمر ،ولكنهم يريدونها بالقوة لانها محرّمة . فتعجزهم فيدفعون فيها النفيس من المال حتى لا يلحقهم العار من اغتصابها بالقوة ( لانهم في الاشهر الحرم ). فنما حلّت لهم مزجوها بعسل كان اشتياره أمراً شبيهاً بالمستحيل ، لأنّ الشهدة كانت في جبل عال سفوحه شديدة الانحدار . والصعوبات التي يدرجها الشاعر في اشتيار هذه الشهدة المتحدية ،وكذلك تلك الصحفة النضرة الحديثة

النحت والإنتاج تبالغ في إظهار طيبة هذه الخمر العزيزة ولذّتها.

والقصيدة مترابطة الى حدّ بعيد . فإنّ كل بيت فيها يرفد الوحدة العضوية في القصيدة التي لا تنشأ الا في ظل هذا الفهم للقصيدة . فالبيت الأول هو ذكر رحيل هذه المرأة وفراقها ،وهو بالتالي المحرّض للقصيدة : لأنّ الشاعر غير واثق من لقائه لهذه المرأة المتزوجة . أمّا الأبيات الخمسة التالية ففيها مفتاح هذا القناع إذْ يفهمنا الشاعر أنّ المرأة متزوجة : وأن حبّها يقرّب من الموت .. ثم يصف معوبات هذا الحب دون التصريح السافر حتى لا يهتدى القارىء بسرعة الى مفتاح القصيدة إذ يقول :

فقُلْتُ لِقَلْبي يَا لَكَ الخيرُ انّمَا يُدَلّيك للموتِ الجديدِ حِبابُهَا.

انّ براعة الشاعر تكمن في أنه أدرج الصورة الخمرية بشكلها التقليدي: أدرجها من خلال وصف ريقة المرأة ،ولكنّه ذهب ـ بعدذلك ـ بعيداً حين وظّف هذه الأداة الفنية ،وسخّرها لإحداث تطوير أساسيّ في بنية القصيدة .

يبقى أن نبحث في الأبيات الثلاثة الأخيرة في القصيدة ومدى ارتباطها بالوحدة الفنية فيها . الشاعر لا يرتوي بما قاله ؛ أليس هذا شأن الإنسان في مواجهته مع المحرّمات والممنوعات ، التي لا يفهم ـ بفطرته ـ لها معنى ؟

وهو يشكو حبيبته بأنها لامتهُ لسُكره وعَثرته ،ثم يقول لنا انّه لم يكن ليلومها لو عثرت عنده . هل هذا مألوف عند الجاهليين ؟ أم ترى الشاعر يطالب حبيبته والناس على حد سواء بالتسامح معه لانه خرق المألوف ؟

ولا بدّ أخيراً من التوقف أمام المحطات الرمزية الهامة في قصيدة أبي ذؤيب ، فقد أسهمت هذه المحطات في إحكام نسيج القصيدة إسهاماً بعيداً ،وفي إظهار التطابق بين موضوع القصيدة والصورة المعبّرة عنه ،مما يدلّ على أنّ الشاعر

يتحدث عن موضوع واحد بصورة ترمز إليه ،ولا بد من الإشارة الى أنّ الصورة الخمرية وصورة اشتيار العسل هما قناع واحد لأنّ الثانية تجيء رافداً للصورة الأساسية الاولى :

| الحبيبة | الخمرة |
|---|---|
| ١- أبالصّرم من أسماءَ حدّثك الذي<br>جَرى بَيْنَنا يَوْمَ اسْتَقَلّتْ رِكابُها | تَوَصّلُ بالرُّكبانِ حيناً وَتُؤلفُ الـ<br>جِوارَ وَيُغْشيها الأمانَ رِبابُها |
| ٢- وَقَدْ طفتَ مِنْ أحوالِها وَأردتها<br>سِنين فأخشى بَعلَها وأهابُها | فطافَ بها أبناءَ آلِ مُعتّبٍ<br>وعزَّ عليهمْ بيعُها واغتِصابُها |
| ٣- عَصاني إليْها القلبُ إنّي لأمْرِهِ<br>سميعٌ فَما أدري أرُشدٌ طِلابُها | فقيلُ تَجَنّبْها حرامٌ وراقهُ<br>ذُراها مُبيناً عُرفُها وانتصابُها |
| ٤- فقلتُ لقلبي يا لكَ الخَيْرُ إنّما<br>يُدلّيك للموتِ الجديدِ حبابُها | فأعلقَ أسْبابَ المَنيّةِ وارتضى<br>ثُقوفَتَهُ إنْ لم يَخُنْه انقضابُها |

١ - انّ استعمال الرمز الماورائي في كلا الحالين يؤكد وحدة الموضوع :الاستقسام بالقداح لمعرفة الاتي لان الحال صعبة وشاقة، و زجر الطير في حال الفراق لمعرفة إمكانية اللقاء ،والاستقسام بالقداح للاستعانة بمعرفة إمكانية السفر دون مخاطر .

٢ - حركة الطواف حول الحبيبة توحي بالحيرة والمراوغة والعجز ولكنها لا توحي بالتخلّي ،وهي حركة تتطابق مع الحركة حول الخمر .

٣ - التساؤل حول الرشد والغواية هو تساؤل العارف ،ولهذا يتأكد في الحالة المقابلة باستخدام الرمز الأساسي في القصيدة " تجنبها حرام ". انّ اسم الخالدي حرام هو من الوضوح والمباشرة بحيث يتلبّس القصيدة برمّتها ويشير الى ماهية هذا الحب.

٤ - الموت الجديد رمز لمعاناة شاقة في هذا الحب وهي معاناة لا تشبه الموت المعروف ولهذا أطلق عليها الشاعر الموت الجديد بكلّ ما يحمل من رهان وتحدّ ،وهذا ما عبر عنه مباشرة في البيت المقابل .

والتعبير عن نصائح الناس بتجنّب هذا الحب أو هذه الشهدة باستعمال الفعل الماضي المبني للمجهول : "فقيل تجنبها حرام " هو تعبير مجتزأ مختصر بالمقارنة مع الوصف المسهب للذائذ هذا الحب أو هذه الخمرة الممزوجة بالعسل ،وكأن الشاعر يحاول أن يجد لنفسه العذر في استمراره في هذا الحب الممنوع رغم اللوم والعذل .

ونلحظ أنّ الأبيات التي تختصّ بوصف حالة الحب تحمل أسئلة محتارة مراوغة، أما الأبيات المقابلة ففيها أجوبة واضحة مباشرة ،ومواقف حاسمة أساسها إشباع العاطفة بكل ما تعنيه من حب وجرأة وتحدّ . بينما تحمل الأبيات الأولى هواجس العقل والضمير . ويدلّ ذلك على براعة الشاعر في نسج القناع المناسب لموضوعه ، وهذا ما يبعد القصيدة عن المباشرة المملّة.

## دراسة هذه النمـــــاذج

نستنتج من مما سبق أنّ الصورة الخمرية الكبرى موجودة في الشعر الجاهلي على غير وجه ،وأنّ تنوّع هذه الصورة ومدى إسهامها في رفد بنية القصيدة وتطويرها مرتبط بتمايز الشعراء من جهة ،وبالأهمية الفنية للصورة الخمرية عندهم وقربها الى أنفسهم من جهة اخرى . وهناك عدة أنماط لورود هذه الصورة في القصيدة الجاهلية :

**أولاً:** تعرّض الصورة الخمرية الكبرى في القصيدة من مسارب عدة لتخدم أغراض مختلفة في آن معاً. والمثال على ذلك قصيدة حسان بن ثابت . وفيها تأتي الصورة الخمرية لتخدم الحنين والتغنّي والفخر ،متفاعلة مع طبيعة القصيدة التي تهدف الى غير غرض .

**ثانياً:** تشكّل الصورة الخمرية الكبرى مناخاً واحداً من مناخات عدّة في القصيدة ، ومع هذا لا تكون القصيدة إلاّ بها ، لأنّ إسهامها في خلق المناخ العام النهائي الذي يكتمل باكتمال القصيدة هو أساسيّ . ومثالنا على ذلك قصيدة أوس بن حَجَر .

**ثالثاً:** تكون الصورة الخمرية الكبرى أحد قطبي الصراع النفسي عند الشاعر حيث تكوّن الملاذ والأمل مقابل العبودية والأسر كما جاء في قصيدة عُديّ بن زيّد (أبلغ خليلي عبد هند فلا).وفي مثل هذه الحال تفيد الصورة الخمرية الكبرى من حالة التناقض لدعم ترفها وجمالها ، بينما تزداد الحالة المقابلة (أي العبودية) ذلاّ وقبحاً.

**رابعاً:** قد تقوم الصورة الخمرية الكبرى على أساس تطوير الوصف التقليدي للخمر الى حدوده القصوى كما جاء في قصيدة الأعشى ،وفي قصيدة عَدي بن زيد

( بكر العاذلون في وضح الصبح ) على نحو أشمل . إلاّ أنّه في قصيدة الأعشى تأتي الصورة على أساس الوصف جزءاً من قيمة الصورة الخمرية الكبرى في القصيدة ، بينما يشكّل التغني بالخمر من خلال سرد ذكريات الشباب المنصرمة حيّزاً هاماً من قيمة الصورة الخمرية الكبرى ، وهذه ظاهرة متكررة كثيراً في القصيدة الجاهلية .

خامساً: تتلبّس الصورة الخمرية الكبرى شكل القناع لموضوع آخر كما في قصيدة أبي ذؤيب الهذلي ، وهي تتميّز ببراعة فذّة بحيث تتطابق ملامح القناع مع ملامح الموضوع نفسه محقّقة وحدة عضوية فريدة في القصيدة . وتجدر الاشارة هنا إلى أنّ استخدام أسلوب القناع على النحو الذي جاء في قصيدة أبي ذؤيب يتّسم بمحاولة فنية متقدّمة لإحداث تغيير أساسي في بنية القصيدة ، وبهذا الأسلوب تتقمّص الصورة الخمرية الشعرية أعلى مراحل تطورها حينئذٍ .

## خاتمـــة

لم يكن تعاطي العرب للأشربة المسكرة في الجاهلية يقتصر على الخمر المستوردة، وخمر التجار من يهود ونصارى وأعاجم، بل لقد صنع العرب أشربتهم بأنفسهم . وكان انتباذهم لمختلف مواد الخمر دليلاً على حبّهم للشراب المسكر . ولهذا تعدّدت أشربتهم وتنوّعت موادّها، فكانت لهم خمور من التمر أطلقوا عليها اسم الفَضِيخ، ومن العسل وهي البِتْع، ومن الذرة والشعير وهي المِزْر، كما كانت لهم أشربة من القمح ومن بعض النباتات الموجودة في الجزيرة كالسُّكّب . أما الخمر من الأعناب فقد فضّلها العرب على غيرها من الأشربة وخصّوها باسم الخمر، وأطلقوا على سائر الاشربة اسم النّبيذ تمييزاً لها .

هذا وقد تركت الخمر وسائر الأشربة المسكرة آثاراً هامة في حياة العرب الاقتصادية في الجاهلية من حيث الزراعة والصناعة والتجارة . اما الزراعة، فقد تميّزت الجزيرة العربية بمناطق عرفت منذ القدم بالخصوبة وبوفرة المياه وكان أبرزها اليمن الخضراء وشمال الحجاز والطائف واليمامة والمدينة وغيرها . وقد تبيّن لنا مكانة الأعناب في العملية الزراعية الكثيفة في اليمن التي عرفت ما يفوق عشرين نوعاً من الأعناب المختلفة الأحجام والألوان . أما في سائر أنحاء الجزيرة فقد تميّزت الطائف بزراعة الأعناب وتعدّد أنواعها واستعمال العنب في صناعة الخمر . وهناك مناطق أخرى في الجزيرة اهتمّت بزراعة العنب بمستوى أدنى من اهتمام الطائفيين كبعض مناطق شمال الحجاز واليمامة وعدد من أودية الجزيرة .

اما الحبوب المختلفة من ذرة وقمح وشعير فقد كثرت في اليمن، وفي مناطق شمال الحجاز كَدُومَة وتَيْماء وخَيْبر، وبعض أنحاء المدينة . وشهرة الجزيرة بالنخيل

والتمور تفوق البحث التفصيلي في زراعته وتفنني عنه وليس أدلّ على ذلك من شهرة المدينة بحوائط النخيل ، ومأرب والجُوف واليمامة والواحات الكثيرة المنتشرة في الصحراء ، مما جعل من التمور مادة متوفرة للانتباذ فكانت غالب خمور العرب من التمر .

إنّ زراعة العرب لمواد الخمر وتوفّر هذه المواد قد يسّرت صناعة الخمر المحليّة الى حد بعيد . وقد عرف العرب أدوات لصناعة الخمر كالعواصر ، وأواني الانتباذ المختلفة كالحَنْتَم والنّقير والدُبّاء والمُزَفّت والجرار الخُضر والمُهَاريس وغيرها . وتفننوا في انتباذ الأشربة وذلك بخلط مختلف المواد المنتبذة رغبة منهم في شدة إسكارها ، كما تفنّنوا في تطييب هذه الأشربة وتعتيقها . وكانت لهم أنواع من أنبذة التمور اختلفت شدّتها وسورتها وموادها الاضافية . اما خمر العسل فقد تميّز بها أهل اليمن لوفرة العسل فيها ، كما اشتهرت بها أمكنة أخرى في باقي الجزيرة كبلاد هُذَيل وحِداب بني شُبابة ، وغُزوان من جبال الحجاز . ويبدو أنّ العسل كان متوفراً أيضاً في مكة والطائف .

ولم تكن صناعة الخمر المحلية رافداً للسلع التي حملتها قوافل قريش في تجارتها البرية ، وانما شكّلت الخمر احدى أهم السلع المستوردة في هذه التجارة . ويبدو أنّ السبب وراء ذلك يرجع إلى ولوع العرب بالخمر المستوردة من مصادرها البعيدة ، وهي فكرة يؤ يدها ذلك المخزون الكبير من الشعر الجاهلي الذي يذكر الخمر المستوردة ويمدحها . يضاف الى ذلك أنّ الخمر المحلية لم تشكّل فائضاً عن الاستهلاك المحلي لتوظّف في عملية التصدير . ولما كانت تجارة الخمر رابحة لشدة اقبال الناس عليها ، كثر تجّارها وتعددّت أنواعهم من عرب وعجم ونبط ويهود ونصارى . وكانت الخمر الآتية في عملية التجارة تعرف في الأسواق العربية في الجاهلية التي كانت تقام على مدار السنة ، وفي الحانات ، وفي التجارة المتنقلة بين القبائل ومدن الجزيرة . وقد تعددت مصادر الخمر المستوردة وهي

الشام والعراق وفارس وحوض الفرات وغيرها . وكانت أثمان الخمرة في الجاهلية مرتفعة جداً إذا ما قيست بغيرها من السلع الاستهلاكية المطلوبة حينئذٍ . وقد كان سباء الخمر يتم بمقايضتها بأفضل النياق والبعران على قيمتها في حياة الجاهليين. وربما يرجع ذلك إلى النفقات الكثيرة التي تستلزم نقلها الى الجزيرة إضافةً الى دفع الخفارة وغيرها ، أو لعله يرجع الى كثرة الطلب عليها إذ أنّها تنفذ قبل ورود قافلة أخرى .

ولما كان أثر الخمرة بارزاً في مختلف مرافق الحياة الاقتصادية التي حكمت الحياة العربية في الجاهلية كان لا بدّ أن يتغلغل هذا الاثر الى حياة العرب الاجتماعية حينئذٍ ويحكم سلوكهم في الشراب ،ويطوّر عندهم مفهوماً لتعاطي الخمور منسجماً مع المفهوم الأخلاقي البدوي السائد القائم على فكرة المروءة . كما أنّ انتشار الاشربة بينهم قد جعل من فكرة الشراب شيئاً أسمى من مجرد وسيلة لقضاء الوقت باللهو والمتعة . ويدل على ذلك أوقات شرب الخمر عندهم وكثرتها بحيث تشمل يومهم كله ،وتوءثر بالتالي على كافة أوجه نشاطهم. لهذا شربوا الخمرة في أيام السلم وفي حروبهم وأسفارهم ومجالسهم ،وفي زياراتهم للحانات والاديرة . وارتبطت الخمرة عندهم بغيرها من اللذات كالغناء والزنا والميسر ارتباطاً وثيقاً . وكان لهم نظام خاص لمجالس الشراب ومستلزماتها من سقاة وقيان وأدوات شراب . وكان نصيب المرأة الحرّة في هذه المجالس يكاد يكون منعدماً . وقد تركت الخمرة آثاراً هامة في حياة العرب الاجتماعية انقسمت بين إيجابية وسلبية . فأما الآثار الايجابية فمنها أنّ الخمرة قد ارتبطت بفضائل عربية هامة كالجود والشجاعة والامانة ،وكانت دافعاً هاماً لممارسة هذه الفضائل. ولمّا كانت هذه الفضائل أساس المفهوم الأخلاقي القبلي ،كان ارتباط الخمرة بها على هذا الشكل سبباً في حبّهم للخمر واقبالهم عليها ضمن حدود لا تخلّ بالمعيار الخلقي العام ،ولهذا كرهوا السكر الشديد القبيح ونهوا عنه .

اما الآثار السلبية المتعلقة بالخمر فهي السكر والعربدة والزنـــــا والانتحار بشربها صرفاً للخلاص من العار . وغالباً ما كان العار المشار اليـــه يتأتى من خرق واضح للأعراف المتوارثة كما يدلّ انتحار أربعة من سادة العــرب بشرب الخمر الصّرف .

وكان للخمرة أثر هام في حياة العرب الدينية في الجاهلية إذ كانت تتّخذ قرابين للاصنام . وربما ارتبطت الخمرة بأحد الأوثان في الجاهلية بناء لاشـــارات جاءت في الشعر الجاهلي من جهة ،ونظراً لقيمتها في حياة العرب كما رأينا . أمـا تحريم الخمر في الجاهلية ،في وقت سبق التحريم الاسلامي ،فمردّه أخلاقي فـــي الغالب الاعمّ على الرغم من وجود حافز تديّني عند قلة من العرب ،وتأثر البعض بشعائر قديمة كانت تحرّم الخمر . ودليلنا على ذلك أن غالبية الذيـــن حرّموا الخمر في الجاهلية انما حرموها لاسباب لا تتّصل بالدين بقدر ما ترتبط بالمعيار الاخلاقي القبلي . وقد كان التحريم عقاباً يفرضه الرجل على نفسه لاخلاله بالأعراف المرسومة . وهناك نوع آخر من التحريم للخمر ولكنه تحريم موءقت ارتبط بتحريم سائر اللذات في حالة الثأر . فاذا أدرك الموتور ثأره أبيحت له من جديـــد .

هذا وقد ارتبطت الخمر بغيرها من لذات الجاهلية ارتباطاً وثيقاً ،وشكلت معها مفهوماً عفوياً ذا طابع فلسفي : فكانت فكرة مبادرة اللذات سلاحاً نفسيـــاً مريحاً للتغلب على فكرة الموت والشيخوخة والمصير المجهول الماثل في خيــــال البدوي .

وكان للخمرة دور هام في الشعر الجاهلي . فقد رفدت الصور الخمريـــــة المختلفة سائر الصور في نسيج هذا الشعر ،وخدمت غالب أغراض القصيدة الجاهلية . واستعملت هذه الصور الخمرية في التشبيهات التوضيحية لغيرها من مرافق الحيـــاة الجاهلية . وتنقسم هذه الصور الى صور صغرى وأخرى كبرى . وقد أفردت رصـــداً عاماً لنسق ورود الصور الصغرى في الشعر وبرهنت على مادية الوصـــف والتشبيـــه

فيها كجزء من التقليد المادي الذي ينسحب على الشعر الجاهلي بمعظمه .
أما الصورة الكبرى فقد أثبت مدى إسهامها في تطوير بنية القصيدة وذلك يتدرّج من كونها تشكل مُناخاً من مُناخات القصيدة ، الى كونها المفتاح لوحدة عضوية فريدة في القصيدة الجاهلية كما برزت في قصيدة أبي ذؤيب الهذلي ( ابالصرم من اسماء حدثك الذي ). وقد اعتمدت قصائد معينة وحلّلتها لدرس كيفية ورود الصورة الخمرية الكبرى في الشعر الجاهلي .

## ملحـــــــــق

## بأسمـــــاء الخمـــر حســب صفاتهـا ومصادرهـــــا

## أسمـاء الخمر حسب صفاتهـا

أولاً : أسماؤها بحسب أوقات شربها :

١ - الصَّبُوح : ما يشرب صباحاً [١]. قال امروء القيس [٢]:

نَازَعْتُهُ كَأْسَ الصَّبُوحِ وَلَمْ ... أَعْمِلْ مُجِدَّةَ عِذْرَةِ الرَّجُلِ

وقال الحادرة :[٣]

فَسُمَيَّ مَا يُدْرِيكِ أَنْ رُبَّ فِتْيَةٍ ... بَاكَرْتُ لَذَّتَهُمْ بِأَدْكَنَ مُتْرَعِ
مُحْمَرَّةٍ عَقِبَ الصَّبُوحِ عُيُونُهُمْ ... بِمَرًى هُنَاكَ مِنَ الْحَيَاةِ وَمُسْمَعِ

٢ - القَيْل : شرب نصف النهار [٤] . قالت أمّ تأبّط شرّاً ترثيه :[٥]

وَابْنَاهِ وَابْنَ اللَّيْلْ ... لَيْسَ بِزُمَّيْلْ شَرُوبٍ لِلْقَيْلْ

٣ - الغَبُوق : ما يشرب عشاء [٦] ،قال عمرو بن الأهتم [٧]:

فَبَاتَ لَنَا مِنْهَا وَلِلضَّيْفِ مَوْهِنًا ... شِوَاءٌ سَمِينٌ زَاهِقٌ وَغَبُوقٌ

٤ - التَّغْلِيس : الشرب في ظلمة آخر الليل [٨]

---

(١) - الازمنة والامكنة : ٢ : ٦٥ .
(٢) - ديوانه : ٢٣٩ .
(٣) - ديوان المفضليات : ١ : ٥٩ .
(٤) - الازمنة والامكنة : ١ : ٦٦ .
(٥) - شرح أشعار الهذليين : ٢ : ٨٤٦ .
(٦) - الازمنة والامكنة : ٢ : ٦٥ .
(٧) - ديوان المفضليات : ١ : ٢٥٣ .
(٨)- قطب السرور :٣٢٤ .

٥ - الجاشرية : وهي شرب السحر :

وَنَدْمَانٍ يَزِيدُ الكَأْسَ طِيباً     سَقَيْتُ الجَاشِرِيَّةَ أَوْ سَقَى لِي(١)

٦ - التمهّق : يقال ما زال يتمهّق إذا شرب يومه أجمع (٢)

ثانياً : التعتيق :

- الخَنْدَرِيس : سميت به لقدمها ،ومنه حنطة خندريس للقديمة . وقال أبو حنيفة : لا تكون خَنْدَريساً حتى يتبين القدم عليها في رائحتها فتنشم(٣).وهي معربة من الرومية (٤) ،وقيل من الفارسية (٥).

قال الاعشى :(٦)

مَضَى لِي ثَمَانُونَ مِنْ مَوْلِدِي كَذَلِكَ تَفْصِيلُ حُسَّابِهَا
فَأَصْبَحْتُ وَدَّعْتُ لَهْوَ الشَّبَابِ وَالخَنْدَرِيسَ لِأَصْحَابِهَا

وقال عنترة (٧):

تَطُوفُ عَلَيْهِمْ خَنْدَرِيسٌ مُدَامَةٌ     تَرَى حَبَباً مِنْ فَوْقِهَا حِينَ تُمْزَجُ

- الرَّحِيق : قال ابن الأعرابي : الرحيق : هي ما عتق من الخمر(٨).

---

(١) - الازمنة والامكنة : ٢ : ٦٨ .
(٢) - المصدر السابق : ٢ : ٦٩ .
(٣) - المخصص :١١: ٧٤ وفي البلغة ٩٢ :"اسم من اسمائها يدل على العتق".
(٤) - المعرب : ١٢٤ .
(٥) - المعرب : ١٢٤ .
(٦)- الصبح المنير : ١٢٢ .
(٧) - ديوانه : ٣٥ .
(٨)- المخصص : ١١: ٧٤ .

- العَاتق والعَتيق : قال أبو عبيد : القديمة ،وقيل التي لم يفضّ ختامها .

وقال أبو حنيفة : اذا مضى لها حول فقد عُتّقت وعَتقت ،وقد عتّقت ثم ما أديمت من الزمان. وقال أبو علي : أن تكون العَتيق القديمة أولى لان العتق القدم في الموات من كل شئ ، وقيل العتيق القديم من جميع الأشياء ،والعتيق الطلاء والخمر[1] . قال حسان بن ثابت [2]:

وَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى الحَانُوتِ يُصْبِحُني　　　مِنْ عَاتِقٍ مِثْلِ عَيْنِ الدِّيكِ شَعْشَاعِ

وقال الحادرة [3]:

بَكَرُوا عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهُمْ　　　مِنْ عَاتِقٍ كَدَمِ الْغَزَالِ مُشَعْشَعِ

وقال قيس بن الخطيم [4]:

لَهُ سُجْلَانِ : سُجْلٌ مِنْ صَرِيحٍ　　　وَسُجْلٌ تَرِيكَةٍ بِعَتِيقِ خَمْرِ

وقال عنترة [5]:

كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءُ شَنٍّ بَارِدٍ　　　إِنْ كُنْتِ سَائِلَتِي غَبُوقًا فَاذْهَبِي

- العَانسة [6]: من أسمائها التي تدلّ على الكبر .

---

(١) - المخصص ١١ : ٧٦ .
(٢) - ديوانه : ١ : ٣٠٢ .
(٣) - ديوان المفضليات : ١ : ٥٩ .
(٤) - ديوانه : ١٢٤ .
(٥)- ديوانه : ٢٠ .
(٦)- نهاية الارب : ٤ : ٨٧ .

- العجـــوز(١) : من أسمائها التي تدل على العتق .

- العُقار والعُقاريّة : قال الأصمعي : يقال لها العُقار لأنّها عاقرت الدنّ زماناً(٢). وقال ابن السكّيت : سميت بذلك لأنّها عاقرت الدن - أي لازمته ، وقال بعضهم : كلأ أرض بني فلان عُقار . اي يعقر الماشية - فمن ثمّ قيل للخمر عُقار لأنّها تعقر شاربها . قال أبو حنيفة : القول الأول أشبه لأنّا لم نجد العرب سمّت الخمر عُقاراً على جهة الذمّ لها (٣) . وقال الاعشى :(٤) :

لَهُ خُلُقٌ عَلَى الدَّهْرِ يَمْضُو ... كَما رَقَّتْ عَلَى دَهْرٍ عُقَارُ

وقال المرقش الأصغر:(٥)

كَأَنَّ فِيهَا عُقَاراً قَرْقَفاً ... نَشَّ مِنَ الدَّنِّ فَالكَأْسُ رَذُومْ

وقال بشر بن أبي خازم:(٦)

فَبِتُّ مُسَهَّداً أَرِقاً كَأَنِّي ... تَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِيَ العُقَارُ

وقال عطية الرّبابي:(٧) :

كَأَنِّي اصْطَبَحْتُ عُقَارِيَّةً ... تَصَعَّدَ بِالْمَرْءِ صِرْفاً عُقَارَا

---

(١) - البلغة : ٩٢ ، وجاء في المخصص : ٨١:١١ : " العجوز : الخمر ".
(٢) - البلغة : ٩٣ .
(٣) - المخصص : ١١: ٧٥ .
(٤) - الصبح المنير : ٢٤٣ .
(٥) - ديوان المفضليات : ١ : ٥٠٤ .
(٦) - ديوانه : ٦٥ .
(٧) - ديوان المفضليات : ١ : ٨٣٧ .

- المُدام والمدامة : قال ابن السكّيت : سميت كذلك لأنّها أُديمت في ظرفها ، وقال أبو حنيفة : سمّيت بذلك لأنّ صاحبها أدامها اي عتّقها[١] . وقال الطائفي : والمُدامة الخمر الكثيرة بين الرجال لا تُنزف لكثرتها[٢].

قال امرؤ القيس :[٣]

إذا ذقتَ فاها قلتَ طعمُ مُدامةٍ    مُعتّقةٍ مِمّا يَجيءُ بِهِ التُّجُرْ

وقال بشر بن أبي خازم :[٤]

لَيالِيَ تستبيكَ بذي غُروبٍ    كأنَّ رُضابَهُ وَهْنًا مُدامُ

وقال عمرو بن معديكرب :[٥]

وكأنَّ طعمَ مُدامةٍ جَبَليّةٍ    بالمِسْكِ والكافورِ والرَّيْحانِ
والشَّهْدِ شِيبَ بِماءِ وَرْدٍ بارِدٍ    مِنْها عَلَى المُتَنَفَّسِ الوَهْنانِ

- المُعتّقة : الخمر التي أطيل حبسها في الدّن[٦]. قال أوس بن حجر[٧]:

كأنَّ رِيقَتَها بَعْدَ الكَرى اغْتَبَقَتْ    مِنْ ماءِ أَصْهَبَ في الحانوتِ نَضّاحِ
أَوْ مِنْ مُعَتَّقَةٍ وَرْهاءَ نَشْوَتُها    أَوْ مِنْ أَنابيبِ رُمّانٍ وَتُفّاحِ

---

(١) - المخصص : ١١ : ٧٥ .
(٢) - البلغة : ٩١ .
(٣) - ديوانه : ١١٠.
(٤) - المفضليات: ١: ٦٤٩ ،وديوانه :٢٠٢ ،(الروايةهناك:" يَرِفُّ كأنّه وهنًا مُدامُ".
(٥) - ديوانه : ١٨٤ .
(٦)- البلغة : ٩٣ .
(٧) - ديوانه : ١٤ . ورهاء : حمقاء أي شديدة ،قوية .

ثالثاً : تسميتها بأوّل ما يُنزل منها :

- الأُنُـف : قال أبو حنيفة : " الأُنُف أوّل ما ينزل من الخمر "(١) . وقال امروء القيس :(٢)

أُنُفٌ كلَوْنِ دَمِ الْغَزالِ مُعَتَّقٌ ... مِنْ خَمْرِ عَانَةَ أَوْ كُرُومِ شِبَامِ

- الخُرطوم : من أسماء الخمر ،وهو أول ما ينزل منها قبل أن يُداس عنبها(٣)، وقال الطائفي : الخُرْطُوم اسم من اسمائها . وقال الاصمعي : أول ما يخرج من الدنّ إذا بُزل . وخُرْطُوم الخمر زعم حدّها حين تنحدر من الابريق . قال ،والخمر نفسها اسمها الخرطوم (٤). قال علقمة ابن عبدة :(٥)

قَدْ أَشْهَدُ الشَّرْبَ فِيهِمْ مِزْهَرٌ رَنِمٌ ... وَالْقَوْمُ تَصْرَعُهُمْ صَهْبَاءُ خُرْطُومُ

- الرَّحيـق : وهي الرَّحاق،وصفوة الخمر(٦). قال بشر بن مَرْثد :(٧)

وَتَرَاهُمُ يَغْشَى الرَّفِيضُ جُلُودَهُمْ ... طَنِزِينَ يُسْقَوْنَ الرَّحِيقَ الأَصْهَبَا

وقال حسان بن ثابت :(٨)

---

(١) - المخصص : ١١ : ٨٠ .
(٢) - ديوانه : ١١٥ .
(٣) - المخصص : ١١ : ٧٨ .
(٤) - البلغة : ٩٢ .
(٥)- ديوانه : ٦٨ .
(٦) - المخصص :١١: ٧٤ ،وذكرت في البلغة : ٩١.
(٧)- المفضليات : ١ : ٥٥٥ ،والبيت في الحاشية .
(٨) - ديوانه : ١ : ٧٤ .

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِم      بَرَدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

- السُّلاف والسُّلافة : اسم للخمر . والسُّلاف والسُّلافة الخالص منها . الأصمعي : هو أول ما يبزل منها [١]. وقال ابن السكيت : ما سال منها من غير أن تعصر . وقال أبو حنيفة : اذا كانت أول ما بُزلت أو قدحت فهي سلاف ،قال ، واذا انقعت الزبيب أياماً فأوّل ما يرفع من عصارته السُّلاف ثم يصب الماء فيكون مايخرج بعد الماء نطلا [٢] . قال أبو ذؤيب الهذلي : [٣]

كَأَنَّ عَلَى فِيهَا عُقَاراً مُدَامَةً      سُلافَةَ رَاحٍ عَتَّقَتْهَا تِجَارُهَا

- العُنْقُوَان : قال أبو حنيفة :" الأُنُف أول ما يبزل من الخمر وكذلك العُنْقُوان [٤]".

- النَّاجُود : أول ما يخرج من البزال إذا بزل الدن [٥]،سميت الخمر به [٦] :

كَأَنَّمَا الْمِسْكُ نُهْبَى بَيْنَ أَرْحُلِنَا      مِمَّا تَضَوَّعَ مِنْ نَاجُودِهَا الْجَارِي

---

(١) - البلغة : ٩٢ .
(٢) - المخصص : ١١ : ٧٨ .
(٣) - شرح أشعار الهذليين: ١ : ٧٣ .
(٤) - المخصص : ١١ : ٨٠ .
(٥) - المخصص : ١١ : ٧٨ .
(٦)- نهاية الأرب : ٤ : ٨٧ .

رابعاً : الخمر الصِّرْف والخمر المَمْزوجة :

- الشَّمُوس: قيل : سميت الخمر شَمُوساً لشماسها عند المزاج لأنّها تنافر الماء اذا شُجَّت به وتَمَيّزُ وترمي بالحَباب رمي السهام(١).

- صُرَاح وصُرَاحية : الخمر الخالصة التي لم تشب بمزج(٢).

- صِرْف : الخمر اذا شربت بغيرمزاج(٣) . قال امرؤ القيس.(٤)

لَقَدْ أَصْبَحَ الفِتْيَانَ صَهْبَاءَ صِفْوَةً     مُعَتَّقَةً صِرْفاً إذَا الدِّيكُ أسْحَرا

وقال الأعشى.(٥)

وَصَهْبَاءَ صِرْفٍ كَلَوْنِ الفُصُوصِ سَرِيعٍ إلَى الشَّرْبِ أَكْسَالُهَـــا

وقال عَبيد بن الأَبْرص .(٦)

إذَا اتَّكَوْا فَأَدَارَتْهَا أَكُفُّهُمُ     صِرْفاً تُدَارُ بِأَكْوَاسٍ وَأَقْدَاحِ

- صَفْوُ الفِضَال: قال الأعشى .(٧)

وَالشَّارِبِينَ إذَا الذَّوَارِعُ غُولِيَتْ     صَفْوَ الفِضَالِ بِطَارِفٍ وَتِلَادِ

---

(١) - المخصص : ١١ : ٧٧ .
(٢) - المخصص : ١١ : ٨٨ .
(٣) - المخصص : ١١ : ٨٨ .
(٤) - ديوانه : ٢٦٥
(٥) - الصبح المنير : ١١٧ .
(٦)- ديوانه : ٤٩ .
(٧) - الصبح المنير : ٩٩ .

- الطِّــلاء " الذي لم يمزج . وأنشد للطائفي :(١)

حَسِبْتُ طِلاءَ الخمرِ حين شربته     بدومة شرب الراشب المتفرق "

وقال عبيد بن الأبرص :(٢)

..الخمرُ تكنى الطِّـلاءَ     كما الذئبُ يكنى أبا جعدة

- العُسيقـة : الشراب الكثير الماء الرديء(٣)

- المُـرُوح : الخمر التي تمرح في الإناء عند المزاج(٤) . قال أبو ذؤيب(٥) :

مُصفقة مُصفّاة عقار     شآمية إذا جُليت مـروح

- المُشعشعة : الممزوجة . كل شيء مزج فارق مزجه فهو مشعشع (٦). قال عمرو ابن كلثوم (٧) :

مشعشعة كأن الحصّ فيهـا     إذا ما الماء خالطها سخينا

وقال لبيد :(٨)

مُشعشعة مما تعتّق بابل

- المُعـرّق : الممزوج . "عُرّق من ماء أي ليس بكثير "(٩) .

---

(١) - البلغة : ٩١ .
(٢) - ديوانه : ٢١ .
(٣) - المخصص : ١١ : ٨٨ .
(٤) - المخصص : ١١ : ٧٧ .
(٥) - شرح أشعار الهذليين : ١ : ١٧١ .
(٦) - البلغة : ٩٠ .
(٧) - شرح القصائد العشر : ٢٨٤ .
(٨) - شرح ديوان لبيد : ٢٥٦ .
(٩) - نهاية الارب : ٤ : ٨٧ .

- المُقْطَب: من القُطْب: "القُطْبُ خلط الخمر بالماء ومن ذلك يقال جاء القوم قاطبة أي جميعاً مختلطين بعضهم ببعض"(١). قال بشر بن أبي خازم:(٢)

وَقَهْوَةٍ تَنْشقُ الْمُسْتَامُ نَكْهَتَهَا صَهْبَاءُ صَافِيَةٍ مِنْ خَمْرِ ذي نُطَفِ
يَقُولُ قَاطِبُهَا لِلشُّرْبِ: قَدْ كَمُلَتْ وَمَا بِهَا ثَمَّ بَعْدَ الْقَطْبِ مِنْ كُلَفِ

- النُّطَاف والنُّطَافة: قال بشر بن ابي خازم(٣)

كأَنَّ نطافةً شِيبَتْ بِمِسْكٍ هُدُوءاً في ثَنَايَاهَا بِرَاحِ

خامساً: تسميتها بحسب لونها:

- أخضر: لم يصف أحد من العرب الخمرة بالخضرة سوى عديّ بن زيد، وقد عيب عليه ذلك، قال:(٤)

وَالمشرف المشمول يُسقى به أخضر مطمُوتا كماءِ الخَرِيصِ

- الارجوانية: "الخمر الحمراء فاذا قنأت حمرتها فهي الارجوانية"(٥)

- ام ليلى: إذا كانت الخمر سوداء قيل لها أُمّ ليلى(٦).

- أمهق: من المهق، وهو بياض في زرقة(٧)، يقال شراب أمهق.

---

(١) - فقه اللغة: ١٤١.
(٢) - ديوانه: ١٥٩.
(٣) - ديوانه: ٤٤. وورد في البلغة في شذور اللغة: ٩٢: ان النطاف والنطافة من اسماء الخمر.
(٤) - ديوانه: ٧١.
(٥) - المخصص: ١١: ٧٨.
(٦) - المخصص: ١١: ٨١، والبلغة: ٩٢.
(٧) - المخصص: ١١: ٧٩.

- الجِرْيَاء : من أسمائها (١)

- الجِرْيَال : سميت الخمر جريالاً لحمرتها (٢)،والجريال " صبغ أحمر ،ويقال جريان وقيل هو ماء الذهب .. وزعم الأصمعي أنه رومي معرب "(٣). قال الأعشى :(٤)

وصهباءُ صِرْفٍ كلون الفُصُوص سريع إلى الشرب أكسالُها
تُريك القذى وهي من دونه إذا ما تُصَفَّقُ جِرْيالُها
شَرِبْتُ إذا الرّاح بعد الأصيل طابَتْ ورَفَّعَ أطلالها

- الحَمْراء : من أسمائها . قال عديّ بن زيد :(٥)

إذ غَبقته حمراء صافيةٌ والخمر وهل يُهيمُ شاربَها

- الزَّرَجُون : فارسية معربة ،وأصله " زرّكون " أي لون الذهب . والزرجون العنب بلغة أهل الطائف(٦).

- سُخامِيَّة : " السخامي من الخمر ،الذي يضرب الى السواد "(٧)

- الصَّفْرَاء : اسم من أسمائها(٨)،قال أمية بن أبي الصلت :(٩)

---

(١) - نهاية الأرب : ٤ : ٨٧ .
(٢) - المخصص : ١١ : ٧٨ ،والبلغة : ٩٢ .
(٣) - المعرب :١٠٢ .
(٤) - الصبح المنير : ١١٧ .
(٥) - ديوانه : ٤٨ .
(٦) - المعرب : ١٦٥ .
(٧) - لسان العرب مادة : (سخم).
(٨) - البلغة : ٩٢ .
(٩) - ديوانه : ٦٨١ .

يُسْقَوْنَ فيهَا بِكَأْسٍ لَذَّةٍ أُنُفٍ      صَفْرَاءُ لَا نَزَفٌ فِيهَا وَلَا سُكَرُ

- الصَّهْبَاءُ: التي عصرت من عنب أبيض ،وذلك إذا ضربت إلى البياض ،وقال أبو حنيفة : اذا رقت حمرتها كثيراً فلم تُرَ الا يسيراً فهي صهباء : اسم لها كالعلم [1]. قال امرؤ القيس [2]:

فَظَلِلْنَ فِي رَوْضَاتِ مُخْنِيَةٍ      بَيْنَ الْعِضَاهِ وَسَامِقِ الْبَقْلِ
فَسَقَيْنَنِي صَهْبَاءَ صَافِيَةً      وَسَتَرْنَ حَدَّ الشَّمْسِ بِالْعُقَلِ

- الكُلْفَاءُ: الكُلَف : " أن تعلو الخمر الحمراء لمَعُ سُود وبذلك قيل لها كلفاء، وهي اشتداد الحمرة الى السواد" [3].

- الكُمَيْت: الحمراء الى الكلفة [4]،فإذا اشتدت حمرتها حتى تضرب الى السواد فهي كلفاء . وقيل لون الخمر الى الكمتة [5]قال امرؤ القيس: [6]

أسْقِيًا حجراً على عِلاَّتِهِ      مِنْ كُمَيْتٍ لَوْنُهَا لَوْنُ الْعَلَقْ

وقال الأعشى: [7]

كُمَيْتٍ عَلَيْهَا حُمْرَةٌ فَوْقَ كُمْتَةٍ      يَكَادُ يُفَرِّي الْمِسْكَ مِنْهَا حُمَاتُهَا

وقال أيضاً: [8]

كُمَيْتاً تَكَشَّفُ عَنْ حُمْرَةٍ إِذَا صُرِّحَتْ بَعْدَ إِزْبَادِهَا

---

(١) - المخصص : ١١ : ٧٧ ،والبلغة : ٩١ .
(٢) - ديوانه : ٢٦٣ .
(٣) - المخصص : ١١: ٧٧ .
(٤) - المخصص :١١: ٧٧ .
(٥) - البلغة : ٩٣ .
(٦) - ديوانه :١٩٤ .
(٧) - الصبح المنير : ٦٠ ،وحماتها :حميت .
(٨) - الصبح المنير: ٥٢ .

- مُاتـــع : شراب ماتع إذا اشتدّت حمرته (١).

- المُدَمَّـاة : الخمر الحمراء (٢).

- وَرْدَة ـــ : اذا رقّت الخمر قليلاً في لون الورد الأحمر قيل لها وردة (٣).

سادساً : تسميتها بحسب طعمها :

- البَسيلَة : الخمر الحامض ،وقيل الكريه . وهي ما يبقى في الآنية من شـــراب القوم فيبيت فيها (٤).

- الحَاذِقَـة : الخمر الحامضة اذا جاوزت القُروص وقويت فهي حاذقة (٥)

- الخَلَّـة : الخمرة الحامضة (٦). قال أبو ذُؤَيب : (٧)

- عُقَارٌ كماءِ النيءِ لَيْسَتْ بِخَمْطَةٍ ولاَ خَلَّةٍ يَكْوِي الشُّرُوبَ شِهَابُهَا

- الخَمْطَـة : الخمر التي تغيّر طعمها وفيه حلاوة ،وقيل الخمطة التي أخـــذت شيئاً من الريح كريح التفاح،وقيل هي الحامضة مع ريح (٨) ويقال للخمر ليست بخمطة ولا خلّة (٩)ـ كما في بيت أبي ذوءيب . قـــال

---

(١) ـ المخصص : ١١ : ٧٩ .
(٢) ـ المخصص : ١١ : ٧٨ .
(٣) ـ المخصص : ١١ : ٧٨ .
(٤) ـ المخصص : ١١ : ٧٩ .
(٥) ـ المخصص : ١١ : ٧٩ .
(٦) ـ المخصص : ١١ : ٧٩ .
(٧) ـ شرح أشعار الهذليين ١ : ٤٥ .
(٨) ـ البلغة في شذور اللغة : ٩٣ .
(٩) ـ المخصص : ١١ : ٧٥ .

المتنخل الهذلي (١) :

مُشَعْشَعَةٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ لَيْسَتْ إِذَا ذِيقَتْ مِنَ الْخَلِّ الْخِمَاطِ .

- رَيَّة : قال المرقش الأكبر: (٢)

يَا خَوْلَ مَا يُدْرِيكِ رُبَّتَ حُرَّةٍ خَوْدٍ كَرِيمَةِ حَيِّهَا وَنِسَائِهَا

قَدْ بِتُّ مَالِكَهَا وَشَارِبَ رَيَّةٍ قَبْلَ الصَّبَاحِ كَرِيمَةٍ بِسِبَائِهَا

- السُّخام ،والسُّخامية : الخمر اللينة السلسة من قولهم شَعر سُخام (٣)،قال الأعشى : (٤)

فَبِتُّ كَأَنِّي شَارِبٌ بَعْدَ هَجْعَةٍ سُخَامِيَّةً حَمْرَاءَ تُحْسَبُ عَنْدَمَا

وقال ربيعة بن مقروم (٥) :

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ قَدْ صَبَحْتُ سُلَافَةً إِذَا الدِّيكُ فِي جَوْشٍ مِنَ اللَّيْلِ طَرَّبَا

سُخَامِيَّةً صَهْبَاءَ صِرْفًا وَتَارَةً تَعَاوَرُ أَيْدِيهِمْ شِوَاءً مُضَهَّبَا

- سَلْسَل وسُلْسَال : إذا كانت الخمر سهلة الدخول في الحلق : (٦)

أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى الشَّبَابِ وَذِكْرُهُ أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ (٧)

- السَّهْوَة : الخمر اللينة السهلة ،وكل سهل سهو (٨) .

---

(١) - شرح أشعار الهذليين : ٣ : ١٢٦٩ .
(٢) - ديوان المفضليات : ١ : ٤٨٠ .
(٣) - المخصص : ١١ : ٧٧ .
(٤) - الصبح المنير : ٢٠٠ .
(٥) - الاصمعيات : ٢٢٤ .
(٦) - المخصص : ١١ : ٧٧ .
(٧) - ابو كبير الهذلي واسمه عامر بن الحليس ،شرح اشعار الهذليين: ٣: ١٠٦٣ .
(٨) - المخصص : ١١ : ٧٧ .

- الطُّلَّـــة : الخمر اللذيذة(١). قال حُميد بن ثور(٢):

سَيَكْفِيكُمْ جلّ مِنَ اللّيلِ وَابِعٌ   وَصَهْبَاءُ للحَاجِ الْمُشِتِّ طَلُـــوبُ
رُكُودِ الحُمَيا طَلّةٌ شَابَ مَاءُها   لَهَا مِنْ عُقَارَاءِ الْكَرُومِ رَبِيبُ

- المَاذِيَّــة: الخمر سميت بذلك لسهولة مدخلها ،ومنه قيل عسل ماذي(٣).

قال عوف بن عطية الربابي :(٤)

سُلافَةُ صَهْبَاءُ مَاذِيَّـــة   يَفُضّ المُسَابِىءُ عَنْهَا الْجِرَارَا

- المَرَّاءُ: " من قولك هذا أمرى من هذا اي أفضل "(٥)

- المُزَّاءُ: قيل ضرب من الأشربة : وروى :

بئس الصحاة وبئس الشرب شربهم   اذا جرى فيهم المزاء والسكر

قال السكري : " والصواب المَزّاء بالفتح لأنها أمزّ الأشربة أي أفضلها ،وبالضم فهي المُزة ولا خير فيها لانها آخذة في حق الحموضة وهي بين الحامضة والحلوة ، التي تحذي اللسان ليس من الحموضة "(٦)

قال الاعشى :(٧)

فُعُجِبْتُ ...
مِنْ شَرِبِهَـــا المزاءَ مَا اسْتَبْطَنْـــتَ من إشرابِهَـــــا

---

(١) - المخصص : ١١ : ٧٧ .
(٢) - ديوانه : ٥٢ .
(٣) - المخصص : ١١ : ٧٨ .
(٤) - المفضليات : ١ : ٨٣٨ .
(٥) - نهاية الارب : ٤ : ٨٧ .
(٦) - المخصص : ١١ : ٧٦ .
(٧) - الصبح المنير : ١٧٩ ،هكذا ورد .

- المُطَّار والمُطَّارَة : وقد اختلف فيها ،فقال قوم انها الخمر الحامض [(١)]،وفي المعرب : " المطار من صفات الخمر يقال هو رومي معرب ويقال مسطار بالسين أيضاً ،وهي التي فيها حلاوة "[(٢)]. قال عدي بن الرقاع :[(٣)]

مُطَّارَةٌ ذَهَبَتْ في الرَّأْسِ نَشْوَتُها كَأَنَّ شَارِبَهَا مِمَّا بِهِ لَمَمُ

سابعاً : تسميتها بحسب ما تحدثه في شاربها :

- الاثم : اسم من أسماء الخمر " وقع عليها لما في شربها من الاثم" [(٤)]

- الحمق : اسم وقع عليها لما في شربها من الحمق [(٥)].

- الحُمَيَّا : اسم من أسمائها لما تسببه من سورة الشراب وصدمته في الرأس ، وحُمَيّا كل شيء شدته [(٦)]. قال الشماخ بن ضرار:[(٧)]

فَبِتُّ كَأَنَّني سَافَهْتُ خَمْراً مُعَتَّقَةً حُمَيَّاهَا تَدُورُ

- الخَنْدَرِيس : جاء في المعرّب : " قال قوم إنها معربة من الفارسية وانما هي كَنْدَرِيش أي ينتف شاربها لحيته لذهاب عقله ،فعربت خندريس "[(٨)].

---

(١) - المخصص : ١١ : ٧٥ .

(٢) - المعرب : ٣٢١ ،وفي نهاية الأرب :٤ : ٨٧ : المضطار بالضاد أيضاً.

(٣) - البيت في المخصص : ١١ : ٧٥ .

(٤) - نهاية الأرب : ٤ : ٨٤ .

(٥) - نهاية الأرب : ٤ : ٨٤ .

(٦) - البلغة في شذور اللغة : ٩٣ .

(٧) - ديوانه : ١٥٢ .

(٨) - المعرب : ١٢٤ .

- الـرَّاح : سميت الخمر راحاً لأنّ صاحبها يرتاح إذا شربها -أي يهشّ للسخاء والكرم، وكل خمر راح(١) . قال الأعشى :(٢)

لَعَمْرُكَ إنَّ الرّاحَ إنْ كُنْتَ سائِلاً ... لَمُخْتَلِفٌ غَدِيُّها وَعَشاتُها
لَنا مِنْ ضُحاها خُبْثُ نَفْسٍ وَكَآبَةٌ ... وَذِكْرَى هُمُومٍ ما تُغِبُّ أذاتُها
وَعِنْدَ العَشِيِّ طِيبُ نَفْسٍ وَلَذَّةٌ ... وَمالٌ كَثِيرٌ غُدْوَةً نَشَواتُها

وقال امرؤ القيس :(٣)

وَأَقامَ يَسْقِي الرّاحَ في هاماتِهِمْ ... مَلِكٌ يُعَلُّ بِشُرْبِها تَعْلِيلا

- رَيَّاح : يقال للراح أيضاً رَيَّاح ،وقيل لأنها تكسب صاحبها الأريحية أي خفة العطاء(٤).

- الشَّمُوس: سميت الخمر كذلك لأنها تجمح بصاحبها (٥)،شبهت بالدابة التي تجمح براكبها (٦).

- الشَّمُول: لأنّها تشمل الناس بريحها(٧)،ولأنّ لها عصفة كعصفة الشمال (٨) ، وقال أبو حنيفة : " سميت شمولاً لأنها تشتمل على العقل فتذهب به"(٩).
قال الأعشى (١٠):

---

(١) - المخصص : ١١ : ٧٤ .
(٢) - الصبح المنير : ٦١ .
(٣) - ديوانه : ٣٦٠ .
(٤) - المخصص : ١١: ٧٤ .
(٥) - البلغة : ٩٢ .
(٦) - نهاية الأرب : ٤ : ٨٧ .
(٧) - المخصص : ١١ : ٧٤ .
(٨) - البلغة : ٩١ .
(٩) - المخصص : ١١ : ٧٤ .
(١٠)- الصبح المنير : ١٦٢ .

وشمول تحسبُ العينَ إذا صفقت وردتها نور الذبح

وقال الحطيئة (١):

وتبسمُ عن عذبٍ مجاجٍ كأنه سلافة مزنٍ صفقت بشمول

— الترقف: اسم للخمر، وهي التي يُترقِّف منها صاحبها تأخذه منها رعدة (٢)

وقال أبو عبيد: اسم للخمر، وأنكر أبو عمرو من يقول لانها تترقف يعني ترعد الناس (٣). قال عدي بن زيد (٤):

بالترتين ترقف كدم الحو ف تريك القذى كميت رحيقة

وقال جران العود: (٥)

كأن ثناياها العذاب وريقها ونشوة فيها خالطتهن قرقف

وقال أيضاً: (٦)

وبتنا كأنا بيتتنا لطيمة من المسك أو خوارة الريح قرقف

— قرقوف: القرقوف لغة في القرقف، وأنشد في المخصص (٧):

كأن قرقوفاً بكأس تسري

— القفقف: لغة في القرقف أيضاً (٨).

---

(١) — ديوانه : ٥ .
(٢) — البلغة : ٩٣ .
(٣) — المخصص : ١١ : ٧٤ .
(٤) — ديوانه : ٧٧ .
(٥) — ديوانه : ١٥ .
(٦) — ديوانه : ٢١ .
(٧) — المخصص : ١١ : ٧٤ .
(٨) — نهاية الارب : ٤ : ٨٦ .

- القَهْوَة: من أسماء الخمر ،لأنّ شاربها يُقهي عن الطعام أي لا يشتهيه [١].

قال الأعشى: [٢]

فَقَامَ فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةً تُسكّننا بَعْدَ إرْعَادِهَا

وقال عدي بن زيد: [٣]

أَصْبَحَ الْقَوْمُ قَهْوَةً في الأَبَارِيقِ تُحْتَذَى
مِنْ كُمَيْتٍ مُدَامَةٌ حَبَّذَا تِلْكَ حَبَّذَا

وقال المرقّش الأصغر: [٤]

وَمَا قَهْوَةٌ صَهْبَاءُ كَالْمِسْكِ رِيحُهَا تُعَلَّى عَلَى النَّاجُودِ طَوْرًا وَتُقْدَحُ
ثَوَتْ فِي سِبَاءِ الدَّنِّ عِشْرِينَ حِجَّةً يُطَانُ عَلَيْهَا قَرْمَدٌ وَتُرَوَّحُ
سَبَاهَا رِجَالٌ مِنْ يَهُودٍ تَبَاعَدُوا لِجِيلاَنَ يُدْنِيهَا مِنَ السُّوقِ مُرْبِحُ
بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا إِذَا جِئْتُ طَارِقًا مِنَ اللَّيْلِ بَلْ فُوهَا أَلَذُّ وَأَنْصَحُ

- اللَّهْوَة: سميت لَهْوَة لانها تلهي شاربها [٥] قال عبيد بن الأبرص [٦]:

وَلَهْوَةٍ كَرُضَابِ الْمِسْكِ طَالَ بِهَا في دَنِّهَا كَرُّ حَوْلٍ بَعْدَ أَحْوَالِ

- المُدَام: سميت بذلك لأنّ صاحبها أدامها أي عتّقها ،وقيل سميت بذلك لأنّها تُدام فلا تُمَلّ [٧].

---

(١) - المخصص : ١١ : ٧٤ ،والبلغة : ٩١ .
(٢) - الصبح المنير : ٥٢ .
(٣) - ديوانه : ١٢٦ .
(٤) - المفضليات : ١ : ٤٩٥ .
(٥) - المخصص : ١١ : ٧٧ .
(٦) - ديوانه : ١١٠ .
(٧) - المخصص : ١١ : ٧٥ .

- النُّسْءُ ،والنَّسَاءُ: والنسء ما أنسأ العقل ،ويقال لكل مسكر نسء(١). قال عُروة بن الوَرْد :(٢)

سَقَوْنِي النَّسْءَ ثُمَّ تَكَنَّفُونِي عُدَاةُ اللهِ من كَذِبٍ وَزُورِ

وقال تأبط شراً :(٣)

وَحَرَّمْتِ النِّسَاءَ وَإِنْ أُحِلَّتْ بِشَوْرٍ أَوْ بِمَزْجٍ أَوْ لِصَابِ
حَيَاتِيَ أَوْ أَزُورَ بَنِي عُتَيْرٍ وَكَاهِلِهَا بِجَمْعٍ ذِي ضَبَابِ
إِذَا وقعت لِكَعْبٍ او خُثَيْمٍ وَسَيَّارٍ يَسُوغُ لَهَا شَرَابِي

ثامناً : أسماء أُخرى للخمر في المصادر :

- أُمّ الخَلّ : من اسمائها، وروى :(٤)

رُمِيتُ بِأُمِّ الْخَلِّ حَبَّةَ قَلْبِهِ فَلَمْ يَنْتَعِشْ مِنْهَا ثَلَاثَ لَيَالِ

- أُم زَنْبَق: من أسمائها المعموم بها(٥)

- بنت الكُروم: قال عنترة :(٦)

كَاعِبٌ رِيقُهَا أَلَذُّ مِنَ الشَّهْدِ إِذَا مَازَجَتْهُ بِنْتُ الْكُرُومِ

---

(١) - أورد ذلك محقق ديوان عروة بن العبد نقلاً عن الأصمعي ولم يذكر المصدر ، ديوان عروة (تحقيق عبد المعين الملوحي ،وزارة الثقافة والارشاد القومي، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم): ٥٨ .
(٢) - ديوان عروة : ٥٨ .
(٣) - ديوانه : ٧٣ .
(٤) - المخصص : ١١ : ٧٩ .
(٥) - المخصص : ١١ : ٧٨ ،ونهاية الأرب : ٤ : ٨٧ .
(٦) - ديوانه : ١٦١ .

- البَهْوري : من أسمائها، ذكرها النويري[١].

- الرازقي : سميت نسبة الى الرازقي وهو نوع من العنب [٢].

- الرَّاووق : والراووق في الأصل : " هو كل ما صُفيت به الخمر "[٣] وقد يكون اسماً للخمر : قال عمرو بن أحمر الباهلي[٤]:

وأسلم براووق حُبيت به وأنعِمْ صباحاً أيها الجبرُ

والراووق هنا الخمر وليس اناءها ،فالعرب تحيي الملوك بالشراب .

- السِّباء والسَّبيئة : وهي المشتراة . يقال سبأت الخمر : اشتريتها[٥]. قال امرؤ القيس:[٦]

كأنَّ التجار أصعدوا بسبيئةٍ من الخصِّ حتى أنزلوها على يُسُرْ

- الطابَة : من اسماء الخمر،ذكرها ابن سيده [٧].

- الطُّوس : من أسماء الخمر . ذكرها النويري[٨].

- العُفارطة : اسم من اسمائها[٩].

---

(١) - نهاية الأرب : ٤ : ٨٧.
(٢) - البلغة في شذور اللغة : ٧٥ .
(٣) - المخصص : ١١ : ٨١ .
(٤) - ديوانه : ٩٤.
(٥) - نهاية الارب : ٤ : ٨٧ .
(٦) - ديوانه : ١١١ .
(٧) - المخصص : ١١ : ٧٧ .
(٨) - نهاية الارب : ٤ : ٨٧ .
(٩) - البلغة : ٩٢ ،ونهاية الأرب : ٤ : ٨٧ .

- العَـلَـقُ: الخمر . وروى :(١)

إذا ذُقْتَ فاها قُلْتَ عِلْقٌ مُدَمَّسٌ    أُرِيدَ بِهِ قَيْلٌ فغُودِرَ في سَابِ

- عُلَيق: اسم للخمر . قال لبيد:(٢)

اسقِ هذا وذا وذاكَ وعَلِّق    لا تُسَمِّ الشَّرابَ إلاّ عَلِيقَا

- الغَرَبُ: من أسمائها المعموم بها(٣).

- الكأس: اسم من اسمائها . قال كعب بن زهير:(٤)

اذا غَلَبتَهُ الكأسُ لا مُتَعَبِّسٌ    حَصُورٌ ولا مِنْ دونِها يَتَبَسَّلُ

- المَأبيَّة : سميت كذلك كأن التجار يأبون بيعها(٥).

- مَشْمُولَة: تُسَمّى الخمر أيضاً مشمولة وهي "التي عُرِّضت للشمال فبردت"(٦) ، قال عديّ بن زيد:(٧)

نادَمْتُ في الدَّيرِ بني عَلْقَما    عاطيتُهم مشمولةً عَنْدَمَا

كأنَّ ريحَ المِسْكِ في كأسِها    إذا مَزَجْناها بماءِ السَّمَا

- النّاطل : وقيل الناطل : ما يبقى في المكيال . وفي أمثال العرب :"ما بها طَلٌّ ولا ناطِلٌ" ،فالطلّ اللبن ،والناطل الشراب(٨).

---

(١) - المخصص : ١١ : ٧٩ ،والعلق : النفيس من كل شيء.
(٢) - ديوانه : ٣٦٥ .
(٣) - المخصص : ١١ : ٧٨ ،ونهاية الارب : ٤ : ٨٧ .
(٤) - ديوانه : ٤٤ .
(٥) - المخصص : ١١ : ٧٨ .
(٦) - المخصص:١١ : ٧٤ .
(٧) - ديوانه : ١٦٦ .
(٨) - المخصص : ١١ : ٧٩ .

تاسعاً : الخمر الأعجمية :

- الإسفِنْط والرَّسَاطون :

فالاسفِنْط والأسْفَنْط والإسْفِنْد والأسْفَنْد ، اسم من أسماء الخمر " وروي لي عن ابن السكيت إنه قال : هو اسم بالرومية معرّب وليس بالخمر ،وانما هو عصير عنب . قال : ويسمى أهل الشأم الاسفنط الرّساطون ،يطبخ ويجعل فيه أفواه ثم يعتق . وروي لنا عن ابن قتيبة الاسفند والاسفَند الخمر . وقال ابن أبي سعيد الاسفنط والاصفند قالوا هي أعلى الخمر وأصفاها "(١)

و" في اللسان عن أبي منصور الأزهري : " أهل الشام يسمون الخمر الرساطون وسائر العرب لا يعرفونه . قال : وأراها رومية دخلت في كلام من جاورهم من أهل الشام ،ومنهم من يقلب السين شيناً فيقول رشاطون"(٢)، " وفي القاموس : " الإسْفِنْط بالكسر وتفتح الفاء : المطيّب من عصير العنب أو ضرب من الاشربة ، أو أعلى الخمر سميت لأنّ الدّنان تسفطها أي تشرب أكثرها أو من السفيط ،للطيّب النفس" ،ونقل في اللسان عن الجوهري انه فارسي معرب وعن الأصمعي أنه عن الرومية "(٣).

وقد ذكرت العرب الاسفنط في أشعارها . قال الأعشى :(٤)

كَأَنَّ جَنِيًّا من الزَّنْجَبِيل خَالَطَ فَاهَا وَأَرْيًا مَشُورًا
وَإِسْفِنْطَ عَانَةَ بَعْدَ الرُّقَادِ شَكَّ الرِّصَافُ إِلَيْهَا غَدِيرًا

---

(١) - المعرب : ١٨ ،وذكرت في : البلغة مع تفسير مشابه : ٩١ ،وفي المخصص : ١١ : ٧٦ .
(٢) - هذه حاشية محقق المعرب الاستاذ أحمد محمد شاكر : ص ١٨ .
(٣) - حاشية المحقق : ١٨ . وجاء في فقه اللغة : ١٦٥ : أن الاسفنط والرساطون أشربة رومية .
(٤) - الصبح المنير : ٦٨ .

وقال [١]:

يُعلّ منهُ فو قتيلة بالإسفنط قد بات عليه وظل

- البَاذَق: " ضرب من الأشربة فارسي أصله باذه : أي باق " [٢]

- البختج: ضرب من الأشربة . فارسي [٣].

- الجِرْيَال: رومي معرّب ،ويقال جريان بالنون . وقيل هو ماء الذهب [٤]،وبه سميت الخمر .

- خندريس: قال ابن دريد انها رومية معربة ،وقال قوم انها معربة من الفارسية [٥].

- الخَيديقون : شراب رومي [٦].

- الترْياقة والدرْياقة: رومية معربة . وهي الخمر . قال حسان بن ثابت [٧]:

مِنْ خمر بيسان تخيّرتها   درياقة توشك فتر العظام

وقال ابن مقبل [٨]

سقتني بصهباء درياقة   متى ما تلين عظامي تلن

- الزَّرَجُون: اسم للخمر . فارسي معرب . أصله " زرّكون " أي لون الذهب [٩].

---

(١) - الصبح المنير : ١٩١ .
(٢) - المعرب : ٨١ .
(٣) - نهاية الأرب : ٤ : ٨٧ .
(٤) - المعرب : ١٠٢ .
(٥) - المعرب : ١٢٤ .
(٦) - فقه اللغة : ١٦٥ .
(٧) - ديوانه : ١ : ١٠٦ .
(٨) - ذكر البيت في المعرب :١٤٢ لابن مقبل ،وهو في الصبح المنير ديوان الأعشى: ٢٠٩.
(٩) - المعرب : ١٦٥ .

- الطِّرَّاق: لغة في الدِّرياق، رومي معرب (١).

- الفَيهج: من أسماء الخمر (٢).

- القِنديد: مثل الإسفنط (٣). قال الأعشى (٤):

بِبَابِلَ لَمْ تُعْصَرْ فَجَاءَتْ سُلَافَةً تُخَالِطُ قِنْدِيدًا وَمِسْكًا مُخَتَّمَا

- المُصطار: من صفات الخمر. " يقال هو رومي معرب، ويقال هو مُسطار بالسين أيضاً، وهي التي فيها حلاوة "(٥).

عاشراً: أسماء الخمرة بحسب مصادرها كما وردت في الشعر الجاهلي:

- أذرعات: " بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمّان ينسب إليه الخمر "(٦)، قال أبو ذؤيب (٧):

فَمَا إِنْ رَحِيقٌ سَبَتْهَا التِّجَا رُ مِنْ أَذْرِعَاتٍ فَوَادِي جَدَرْ

وقال النمر بن تولب (٨):

كَأَنَّ مُدَامَةً مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَمَاءَ الْمُزْنِ وَالْعِنَبَ الْقَطِيفَا

عَلَى أَنْيَابِ جَمْرَةَ بَعْدَ وَهْنٍ إِذَا مَا خَالَطَ النَّسَمُ الرَّشِيفَا

---

(١) - المعرّب: ٢٢٣.
(٢) - المخصص: ١١: ٧٨، ونهاية الأرب: ٤: ٨٧.
(٣) - البلغة: ٩١.
(٤) - الصبح المنير: ٢٠٠.
(٥) - المعرب: ٣٢١.
(٦) - معجم البلدان: ١: ١٣٠، ومعجم ما استعجم: ١: ١٣١.
(٧) - شرح أشعار الهذليين: ١: ١١٥.
(٨) - ديوانه: ٧٧.

وقال بشر بن أبي خازم[١]:

كَأَنَّ مُدامَةً مِنْ أَذْرِعَاتٍ     كُمَيْتاً لَوْنُها لَوْنُ الرُّعَافِ

- خمور الأندرين: " اسم قرية في جنوبي حلب بينهما مسيرة يوم . وقال الأزهري: الأُنْدَر قرية بالشام فيها كروم وجمعها الأندرين "[٢].

قال عمرو بن كلثوم :

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا     وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا

- باب أفَّان : قال أعشى نهشل :[٣]

وَقَدْ ثَوَى نِصْفَ حَوْلٍ أَشْهُراً جُدُداً     بِبَابِ أَفَّانَ يَبْتَارُ السَّلالِيمَا

- البَابِلِيَّة ،وهي المنسوبة الى بابل : قال عدي بن زيد :[٤]

هَذَا وَرُبَّ مُسَوِّفِينَ صَبَحْتُهُمْ     مِنْ خَمْرِ بَابِلَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِ

بَكَرُوا عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهُمْ     بِإِنَاءِ ذِي كَرْمٍ كَقَعْبِ الحَالِبِ

وقال الأعشى :[٥]

وَسَبِيئَةٍ مِمَّا تُعَتِّقُ بَابِلٌ     كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلَبْتُهَا جِرْيَالَهَا

وقال لبيد :[٦]

كَأَنَّ سَحِيلَهُ شَكْوَى رَئِيسٍ     يُحَاذِرُ مِنْ سَرَايَا وَاغْتِيَالِ

تُبَكِّي شَارِبٍ أَسْرَتْ عَلَيْهِ     عَتِيقُ البَابِلِيَّةِ فِي القِلاَلِ

وقد ذكرتها العرب كثيراً .

---

(١) - ديوانه : ١٤٣ .
(٢) - معجم البلدان : ١ : ٢٦٠ .
(٣) - الصبح المنير : ٣٠٧.
(٤) - ديوانه : ١١٧ .
(٥) - الصبح المنير : ٢٣ .
(٦) - ديوان لبيد : ٨٤ .

- بانقيا: ناحية من نواحي الكوفة (١) ذكرتها العرب . قال بشر بن أبي خازم (٢):

فَقَدْ أَرَانِي بِبَانِقْيَاءَ مُتَّكِئاً يَسْعَى وَلِيدَانِ بِالْحِيتَانِ وَالرُّقُفِ
وَقَهْوَةٍ تُنْشِقُ الْمُسْتَامَ نَكْهَتُهَا صَهْبَاءَ صَافِيَةٍ مِنْ خَمْرٍ ذِي نُطَفِ

- خمر بُصْرى: " بصرى بالشام من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران "(٣) .

قال النابغة (٤):

كَأَنَّ مُشَعْشَعاً مِنْ خَمْرِ بُصْرَى نَمَتْهُ الْبُخْتُ مَشْدُودَ الْخِتَامِ

- البقاعية : قال الطائي (٥):

بِقَاعِيَّةٌ تَجْرِي عَلَيْنَا كُؤُوسُهَا فَتُبْدِي الَّذِي نُخْفِي وَتُخْفِي الَّذِي تُبْدِي

- خمر بعلبك : قال عمرو بن كلثوم (٦):

وَكَأْسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبَعْلَبَكٍّ وَأُخْرَى فِي دِمَشْقَ وَقَاصِرِينَا

- بَنَات مَشْيَع: " قرى معلومة بالشام تنسب اليها الخمر الجيدة ". قال الأعشى: (٧)

مِنْ خَمْرِ عَانَةَ أَعْرَقَتْ بِمِزَاجِهَا أَوْ خَمْرِ بَابِلَ أَوْ بَنَاتِ مَشِيعَا

- خمر بيت رأس: كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ

---

(١) - ياقوت : ١ : ٣٣١ .
(٢) - ديوانه : ١٥٩ .
(٣) - ياقوت : ١ : ٤٤١ .
(٤) - ديوانه : ١٣١ .
(٥)- معجم ما استعجم : ١ : ٢٦٣ ،والبقاع بالشام تنسب اليها الخمر الجيدة .
(٦) - شرح القصائد العشر : ٢٨٥ .
(٧) - معجم ما استعجم : ١ : ٢٨٠ ،ولم يذكرها ياقوت .

عَلى أنْيَابِهَا أو طَعْمَ غَضٍّ ... مِنَ التُّفَاحِ هَصَّرَهُ اجْتِنَـاءُ[1]

وقال أيضا:[2]

شُجَّتْ بِصَهْبَاءَ لَهَا سَوْرَةٌ ... مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ عُتِّقَتْ فِي الخِيَامْ

وقد ذكرتها العرب كثيراً . وهي " اسم لقريتين في كل واحدة منهما كروم كثيرة ينسب اليها الخمر احداهما بالبيت المقدس .. ،والاخرى من نواحي حلب "[3].

- خمر بَيْسَان : " هي مدينة بالأردن بالغور الشامي بين حوران وفلسطين واليهما فيما أحسب ينسب الخمر"[4] قال حسان بن ثابت [5]:

مِنْ خَمْرِ بَيْسَانَ تَخَيَّرْتُهَا ... دِرْيَاقَةٌ تُوشِكُ فَتْرَ العِظَامْ

- خمر جُدُر : هو واد بين حمص وسلمية تنسب إليها الخمر[6] وإياها عنى أبو ذؤيب .

- الحَارِيَّة : تُنسب الى الحيرة ; قال الأعشى :[7]

مِنْ زِقَاقِ التُّجْرِ مِنْ بَاطِيَةٍ ... جُونَةٍ حَارِيَّةٍ ذَاتِ رَوَحْ

- الحَانِيَّة : تنسب الى الحانات أينما كانت :

---

(١) - ديوان حسان بن ثابت : ١ : ١٧ .
(٢) - ديوانه : ١ : ١٠٦ .
(٣) - معجم البلدان : ١ : ٥٢٠ .
(٤) - ياقوت : ١ : ٥٢٧ .
(٥) - ديوانه : ١ : ١٠٦ .
(٦) - ياقوت : ٢ : ١١٣ .
(٧) - الصبح المنير : ١٦٢ .

كَأْسُ عَزِيزٍ مِنَ الأعنابِ عَتَّقَها ... لِبَعْضِ أَرْبَابِها حَانِيَّةٌ حُومٌ (١)

– خمر حُدَيجاء : قرية بالشام تنسب إليها عدي بن الرّقاع الخمر المقدية :(٢)

مَقَدِيَّةٌ صَهْبَاءُ تَنْشُنُ شَرْبَها ... إِذَا مَا أَرَادُوا أَنْ يَرُوحُوا بِهَا صَرْعَى
عُصَارَةُ كَرْمٍ مِنْ حُدَيْجَاءَ لَمْ تَكُنْ ... مَنَابِتُها مُسْتَحْدَثَاتٍ وَلَا قُرْعَا

– خمر حُصّ : جاء في هامش المحقق لديوان عدي بن زيد " وعن هامش الغفران: أنّ الحُصّ بالشام تنسب إليه الخمر "(٣) .

– الخسرواني (خِسْرُوشاه ): قال عدي بن زيد (٤)، ونسب البيت الى الأعشى (٥):

وَشَرَابٍ خُسْرُوانيٍّ إِذَا ... ذَاقَهُ الشَّيْخُ تَغَنَّى وَارْجَحَنّ

– خمر الخُصّ : وهي قرب القادسية (٦)،قال امروء القيس (٧):

كَأَنَّ التِّجَارَ أَصْعَدُوا بِسَبِيئَةٍ ... مِنَ الخُصِّ حَتَّى أَنْزَلُوهَا عَلَى يُسُرْ

وقال عدي بن زيد:(٨)

تَأْكُلُ مَا شِئْتَ وَتَعْتَلُّهَا ... حَمْرَاءُ مِنْ خُصٍّ كَلَوْنِ الفُصُوصْ

---

(١) – المخصص : ١١ : ٧٨ ،والبيت لعلقمة بن عبدة ، ديوان المفضليات : ١: ٨١٢، وروي (لِبَعْضِ أَحْيَانِها) .
(٢) – معجم البلدان: ٢ : ٢٣٢ .
(٣) – ديوان عدي بن زيد : ٦٩ .
(٤) – ديوانه : ١٧٢ .
(٥) – ديوانه : ٢٢٧.
(٦) – ياقوت : ٢ : ٣٧٥ .
(٧) – ديوانه : ١١١ .
(٨) – ديوانه : ٦٩ .

- الشَّامِيَّة : نسبة الى الشام ،قال أبو ذؤيب الهذلي [١]:

مُعَتَّقَةٌ مُصَفَّاةٌ عُقَارٌ    شَآمِيَّةٌ إذَا جُلِيَتْ مَرُوحُ

- خمر كروم شبام : قال امروء القيس [٢]:

فَظِلْتُ فِي دِمَنِ الدِّيَارِ كَأنَّنِي    نَشْوَانُ بَاكَرَهُ صَبُوحُ مُدَامِ
أُنُفٍ كَلَوْنِ الغَزَالِ مُعَتَّقٍ    مِنْ خَمْرِ عَانَةَ أَوْ كُرُومِ شِبَامِ

- صَرْخَدِيَّة: نسبة الى صَرْخَد " بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهي قلعة حصينة، واليها ينسب الخمر"[٣]. قال سُحَيم عبد بني الحَسْحَاس[٤]

وبيضاء كأن حصا مزنــق    تَهَادَى بِهِ صَرْخَدِيًّا رِصَافَا
كَأَنَّ القَرَنْفُلَ وَالزَّنْجَبِيـ    ـلَ وَالمِسْكَ خَالَطَ جَفْنًا قِطَافَا
يُخَالِطُ مِنْ رِيقِهَا قَهْوَةً    سُبَاهَا الَّذِي يَشْتَرِيهَا سُلَافَا

- الخمر الصَّلِيفِيَّة ،وخمر صريفون : قال الاعشى:[٥]

صَلِيفِيَّةٌ طَيِّبًا طَعْمُهَا لَهَا زَبَدٌ بَيْنَ كُوبٍ وَدَنّ

ويروي ياقوت البيت : صريفية .. " وصريفون في سواد العراق "[٦]

- العَانِيَّة : منسوبة الى عانة " بلد مشهور بين الرّقة وهيت يعد من أعمال الجزيرة ،وجاء في الشعر عانات كأنه جمع بما حوله ونسبت العرب اليه

---

(١) - شرح أشعار الهذليين: ١ : ١٧١ .
(٢) - ديوانه : ١١٥ .
(٣) - ياقوت : ٣ : ٤٠١ ،ومعجم ما استعجم : ٣ : ٨٣١ ،نسب اليها الخمر الجيدة.
(٤) - ديوانه : ٤٤ .
(٥) - الصبح المنير : ١٥ .
(٦) - ياقوت : ٣ : ٤٠٣ .

الخمر "(١) قال المسيب بن علس :(٢)

إذْ تَسْتَبِيكَ بأَصْلَتِيٍّ نَاعِمٍ ... قَامَتْ لِتَفْتِنَهُ بِغَيْرِ قِنَاعِ
وَمُهًا يَرِفُّ كَأَنَّهُ إذْ ذُقْتَهُ ... عَانِيَّةٌ شُجَّتْ بِمَاءِ يَرَاعِ

وقال الأعشى :(٣)

كَأَنَّ جَنِيًّا مِنَ الزَّنْجَبِيلِ خَالَطَ فَاهَا وَأَرْيًا مَشُورَا
وَإِسْفِنْطَ عَانَةَ بَعْدَ الرُّقَادِ شَكَّ الرِّصَافُ إِلَيْهَا غَدِيرَا

- خمر غزة : قال أبو ذؤيب (٤) :

سُلافَةُ رَاحٍ ضُمِّنَتْهَا إِدَاوَةٌ ... مُقَيَّرَةٌ رِدْفٌ لِمُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ
تَزَوَّدَهَا مِنْ أَهْلِ بُصْرَى وَغَزَّةٍ ... عَلَى جَسْرَةٍ مَرْفُوعَةِ الذَّيْلِ وَالكِفْلِ

ولا أعرف فيما إذا كانت الخمر تصنع في غزة أم أنها كانت مجرد سوق للخمر .

- خمر فارس : قال مالك بن حريم الهمداني:(٥)

كَأَنَّ جَنَا الكَافُورِ وَالمِسْكِ خَالِصًا ... وَبَرْدَ النَّدَى وَالأُقْحُوَانَ المُنَزَّعَا
وَقُلْتًا قَرَتْ فِيهِ السَّحَابَةُ مَاءَهَا ... بِأَثْنَابِهَا وَالفَارِسِيَّ المُشَعْشَعَا

وقال الأعشى :(٦)

---

(١) - ياقوت : ٤ : ٧٢ .
(٢)- الصبح المنير : ٣٥٤ .
(٣) - الصبح المنير : ٦٨ .
(٤) - شرح اشعار الهذليين ١: ٩٤ .
(٥) - الاصمعيات : ٦٣ .
(٦) - الصبح المنير : ٢٤٨ .

مِنْ قَهْوَةٍ بَاتَتْ بِفَارِسَ صَفْوَةً          تَدَعُ الْفَتَى مَلِكاً يَمِيلُ مُصَرَّعا

– الخمر المنسوبة الى فِلَسْطِين : قال الأعشى :(١)

مَتَى تُسْقَ مِنْ أَنْيَابِهَا بَعْدَ هَجْعَةٍ          مِنَ اللَّيْلِ شِرْباً حِينَ مَالَتْ طُلَاتُهَا
تَخَلْهُ فِلَسْطِيا إِذَا ذُقْتَ طَعْمَهُ          عَلَى رَبَذَاتِ النَّيِّ حُمْشٍ لِثَاتُهَا

– خمر قَاصِرِين: قال أمية بن أبي الصلت :(٢)

وَكَأْسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِمَاءِ ثَلْجٍ          وَأُخْرَى قَدْ شَرِبْتُ بِقَاصِرِينَا

– خمر لُدّ : أنشد ابن الأعرابي :

فَبِتُّ كَأَنَّنِي أُسْقَى شَمُولاً          تُكُرُّ غَرِيبَةً مِنْ خَمْرِ لُدِّ

ولُدّ قرية بالشام (٣)" قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين "(٤).

– خمر مَآب: " مآب مدينة في طرف الشام من نواحي البَلْقاء ينسب اليها الخمر:

قال حاتم الطائيّ :

سَقَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ سَحّاً وَدِيمَةً          جَنُوبَ السَّرَاةِ فِي مَآبَ الى زُغَر
بِلَادَ امْرِئٍ لَا يَعْرِفُ الذَّمَّ بَيْتُهُ          لَهُ الْمَشْرَبُ الصَّافِي وَلَا يَعْرِفُ الْكَدَر"(٥)

– المُقَدِّي: شراب ينسب الى مُقَدّ قرية بالشام ينسب اليها الخمر . " وهي من قرى البثنية ،وهي أطيب بلاد الله خمراً ،ومنها كانت تصطفي ملوك غسان الخمر ،ولذكر خمرها في العرب تركوا النسب وسموها المَقَدّي .. وقال ابن دريد : المَقَدِّي والمُقَدِّي : شراب من عسل "(٦).

---

(١) – الصبح المنير : ٦٠ .
(٢) – ديوانه : ٥١٤ .
(٣) – معجم ما استعجم : ٤ : ١١٥٣ ،والبيت فيه .
(٤) – ياقوت : ٥ : ١٥ .
(٥) – ياقوت : ٥ : ٣١ .
(٦) – معجم ما استعجم : ٤ : ١٢٥٠ ،وياقوت : ٥ : ١٦٥ .

قال عديّ بن الرقاع :(١)

مُقَدِيَّةٌ صهباءُ تَثْخِنُ شربَهَا        إذَا مَا أرادُوا أنْ يَروحوا بِهَا صَرْعَى

- خمر هَجَر : لقد ورد في الأغاني في قصة أسر عمرو بن ملك أحد فرسان بكر للمهلهل : " ومرّ تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر ،وكان صديقا للمهلهل يشتري منه الخمر ،فأهدى إليه وهو أسير زقخمر.."(٢)

(١) - ياقوت : ٥ : ١٦٥ .
(٢) - الاغاني : ٦ : ١٢١ .

## المصـــادر والمراجـع

### أولاً: المصـادر:

#### ١- دواوين الشعر:


- أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، ضبط وتعليق الاب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩٦ م.

- ديوان ابن مقبل، تحقيق عزةحسن، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم، دمشق، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

- ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت، تحقيق حسن باجودة، دار التراث، القاهرة، ١٣٩١هـ - ١٩٧٣ م.

- ديوان أبي محجن الثقفي، نشره صلاح الدين المنجد، بيروت، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠ م.

- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م - ١٣٧٩ هـ.

- ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق عبد الحفيظ السطلي، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٧٧م.

- ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م.

- ديوان بشر بن أبي خازم الاسدي، تحقيق عزة حسن، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم، دمشق، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م.

- ديوان جران العود النميري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م.

- ديوان حسان بن ثابت (١-٢) ،تحقيق وليد عرفات ،لندن،١٩٧١م .
- ديوان الحطيئة ،تحقيق نعمان أمين طه ،مطبعة البابي الحلبي ،مصر ،١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨م.
- ديوان حميد بن ثور الهلالي ،تحقيق عبد العزيز الميمني ،دار الكتب المصرية ، القاهرة ،١٣٧١هـ - ١٩٥١م.
- ديوان خفاف بن ندبة ،حققه نوري القيسي ،مطبعة المعارف ،بغداد ،١٩٦٧ .
- ديوان ذي الاصبع العدواني ( حرثان بن محرِّث) ،تحقيق عبد الوهاب محمد علي العدواني ومحمد نائف الدليمي ،مطبعة الجمهورية ،الموصل ،١٣٩٣هـ -١٩٧٣م.
- ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ،تحقيق عبد العزيز الميمني ،دار الكتب المصرية ،القاهرة ،١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.
- ديوان سلامة بن جندل ،تحقيق فخر الدين قباوة ،المكتبة العربية ،حلب ،١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.
- ديوان شعر الحادرة ،تحقيق ناصر الدين الاسد ،دار صادر بيروت ،١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
- ديوان شعر الحارث بن حلزة اليشكري ،تحقيق فريتس كرنكو ،المطبعة الكاثوليكية بيروت ،١٩٢٢م.
- ديوان شعر عمرو بن كلثوم التغلبي ،تحقيق فريتس كرنكو ،المطبعة الكاثوليكية بيروت ،١٩٢٢م.
- ديوان شعر المثقب العبدي ،تحقيق حسن كامل الصيرفي ،القاهرة ،١٣٩١هـ - ١٩٧١م. ( مجلد معهد المخطوطات العربية ،مجلد ١٦).
- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ،تحقيق صلاح الدين الهادي ،دار المعارف ، مصر ،١٣٨٨هـ - ١٩٦٨ م.
- ديوان طرفة بن العبد البكري ،تحقيق ماكس سلغسون شالون ،باريس ،١٩٠٠ م.

- ديوان الطفيل الغنوي ،تحقيق محمد عبدالقادر أحمد ،دار الكتاب الجديد ،بيروت، ١٩٦٨م.

- ديوان عبيد بن الابرص ،دار صادر ،ودار بيروت،بيروت ،١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

- ديوان عدي بن زيدالعبادي ،تحقيق محمد جبار المعيبد ،دار الجمهورية لوزارة الثقافة والارشاد ،بغداد ،١٩٦٥م.

- ديوان عروة بن الورد ،تحقيق عبد المعين الملوحي،وزارة الثقافة والارشاد القومي ،مطبوعات مديرية احياء التراث القديم .

- ديوان علقمة الفحل ،تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب ومراجعة فخر الدين قباوة ،دار الكتاب العربي ،حلب ،١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

- ديوان عمرو بن قميئة ،تحقيق خليل ابراهيم العطية ،دار الحرية للطباعة ،بغداد، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢ م.

- ديوان عمرو بن معديكرب الزبيدي ،صنعة هاشم الطعان ،وزارة الثقافة والاعلام، مديرية الثقافة العامة، الموءسسة العامة للصحافة والطباعة . التاريخ والمكان غير مذكورين .

- ديوان عنترة بن شداد ،تحقيق عبد المنعم شلبي ،وقدم له ابراهيم الابياري ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة .

- ديوان قيس بن الخطيم ،تحقيق ناصر الدين الاسد ،مكتبة المدني ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢م.

- ديوان معن بن أوس المزني ،صنعة نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن ، دار الجاحظ ،بغداد ،١٩٧٧م.

- ديوان النابغة الذبياني ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار المعارف ،مصر، ١٩٧٧م.

- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ،دار الكتب المصرية ، القاهرة ،١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م.

- شرح ديوان كعب بن زهير ،دار الكتب المصرية ، القاهرة ،١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.

- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ،تحقيق احسان عباس ، الكويت ،١٩٦٢م .

- شعر ابي زبيد الطائي ،تحقيق نوري القيسي ،مطبعة المعارف ،بغداد ،١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧م.

- شعر تأبط شرا ،تحقيق سلمان داود القره غولي وجبار تعبان جاسم ،مطبعة الاداب ، العراق ،١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م.

- شعر عمرو بن احمر الباهلي ،تحقيق حسين عطوان ،مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، التاريخ غير مذكور .

- شعر مالك ومتمم ابني نويره ،تحقيق ابتسام مرهون الصفار ،بغداد ،١٩٦٨م .

- شعر النابغة الجعدي ،تحقيق عبد العزيز رباح ،دمشق ،١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

- شعر النمر بن تولب ،صنعة نوري القيسي ،مطبعة المعارف ،بغداد ،١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

- الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس الاعشى والاعشين الاخرين ،تحقيق غوير ،بيانة ،١٩٢٧م.

٢- المجاميع الشعرية :

- الاصمعيات ، اختيار الاصمعي ،تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ،القاهرة ، دار المعارف ، التاريخ غير مذكور .

- ديوان المفضليات بشرح ابن الانباري ،تحقيق تشارلس ليال ، المطبعة الكاثوليكية بيروت .

- الحماسة للبحتري ،تحقيق الاب لويس شيخو ،بيروت،١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

- شرح اشعار الهذليين، تحقيق عبد الستار فراج ومراجعة محمود محمد شاكر،دار العروبة القاهرة،١٣٦٣ هـ - ١٩٦٥م.

- شرح القصائد العشر الطوال للتبريزي ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميـــد، مطبعة المدني ،القاهرة، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م.

٣- المصادر الاخرى :

- القرآن الكريم .

- الازمنة والامكنة للمرزوقي ،(١-٢ في مجلد واحد ) ،دائرة المعارف ،حيدر آباد الدكن، ١٣٣٢هـ .

- الاشتقاق لابن دريد ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ،مطبعة الخانجي ،مصـــر ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨م.

- الاصنام لابن الكلبي ،تحقيق احمد زكي مع شروح لروزنبرغ ،لسبرغ ،هـــــــرا سوفيتس، ١٩٤١م .

- الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ( ١ - ٢٥ ) ،دار الثقافة ،بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

- الامالي لابي علي القالي ،دار الكتب المصرية ،مصر، ١٩٢٦ م .

- البلغة في شذور اللغة ،نشرها أوغست هفنر ولويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، ١٩٠٨م .

- تاريخ العرب العاربة من القحطانية من كتاب نشوة الطرب في جاهلية العرب ، لابن سعيد المغربي( ج١) ،تحقيق
Manfred Kropp, Ludwigshafen/ Rhein, Heidelberg, 1975.

- تاريخ المستبصر لابن المجاور ،صححها اوسكر لوفغرين ،ليدن ،بريل، ١٩٥١- ٥٤.

- تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن للواسعي ، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٦هـ .

- الجامع الصحيح للترمذي ،تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ،دار الفكر ،بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

- جمهرة الامثال لابي هلال العسكري ( ١-٢) ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعبد المجيد قطامش ، الموسسة العربية الحديثة ، القاهرة ،١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

- الحيوان للجاحظ ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ،مطبعة البابي الحلبي ،القاهرة ، ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م.

- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي،هذبه ابن منظور ،حققه احسان عباس ، الموسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- سنن ابن ماجة ،تحقيق محمد فوءاد عبد الباقي ،دار الفكر ،بيروت .

- سنن ابي داود ،دار الكتاب العربي ،بيروت .

- سنن النسائي بشرح السيوطي ، المطبعة المصرية بالازهر .

- صحيح البخاري بشرح الكرماني ، المطبعة البهية المصرية ،١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .

- صحيح مسلم بشرح النووي ، المطبعة المصرية بالازهر ،١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م.

- صفة جزيرة العرب للهمداني ،تحقيق محمد بن علي الاكوع ،مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء ودار الاداب - بيروت ،١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- العقد الفريد لابن عبد ربه ،تحقيق أحمد أمين وابراهيم الابياري وعبد السلام هارون ، (ج٦) ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م.

- غريب الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام ،مراقبة محمد عبد المعيد خان ،دار المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ، الهند ،١٣٤٨هـ - ١٩٦٤م.

- فصل المقال في شرح كتاب الامثال لابي عبيد البكري ،حققه وقدم له احسان عباس وعبد المجيد عابدين،دار الامانة ،بيروت ،١٩٧١م٠

- فقه اللغة للثعالبي ،تحقيق الشيخ رشيد الدحداح ،باريس ،١٨٦١م٠

- قطب السرور في أوصاف الخمور للرقيق النديم ،تحقيق احمد الجندي ،مجمع اللغة العربية بدمشق ٠

- الكامل في التاريخ لابن الاثير (١-٢) دار صادر ودار بيروت ،بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م٠

- كتاب الاشربة لابن قتيبة ،تحقيق محمد كرد علي ،المجمع العلمي العربي ،دمشق ، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م٠

- كتاب فتوح البلدان للبلاذري ،نشره صلاح الدين المنجد ،القاهرة ،مكتبة النهضة المصرية ،( لا٠ت)٠

- كتاب النبات للدنيوري ( الجزء الثالث والنصف الاول من الجزء الخامس ) ، حققه برنهارد لفين،دار شتايتر ،فيسبادن ،١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ،وقطعة من الجزء الخامس ،عني بنشرها ب ٠ لوين ،ليدن ،بريل ،١٩٥٣م٠

- لسان العرب لابن منظور ،دار صادر ، بيروت ٠

- المحبر لابن حبيب ،صححته ايلزه ليختن شتيتر ،دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد - الدكن ،١٣٦١هـ - ١٩٤٢م٠

- المخصص لابن سيده ،( ١١-١٢) ،بولاق ،١٣١٦هـ ٠

- مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ،حققه شارل بلا ،منشورات الجامعة اللبنانية ،بيروت ،١٩٧٠م ٠

- مسند أحمد بن حنبل ، المكتب الاسلامي - دار صادر ، الطبعة الاولى ،بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م.

- معجم البلدان لياقوت الرومي ،دار صادر ،بيروت ،١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

- معجم ما استعجم للبكري ،تحقيق مصطفى السقا ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

- المعرب للجواليقي ،تحقيق احمد محمد شاكر ،دار الكتب المصرية ،القاهرة ١٣٦١هـ .

- المعمرون للسجستاني ،تحقيق جولد سيهر ،ليدن ،بريل ،١٨٩٩م.

- منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء لكلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميري ،تصحيح عظيم الدين احمد ،وزارة الاعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٩٨١م.

- المنمق لابن حبيب ،صححه خورشيد أحمد فارق باشراف محمد عبد المعيد خان ، حيدر آباد - الدكن ،١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

- الميسر والقداح لابن قتيبة ،نسخه وصححه محب الدين الخطيب ،المطبعة السلفية القاهرة ،١٣٤٢هـ .

- نهاية الارب في فنون الادب للنويري (ج- ٤) ، دار الكتب المصرية ،القاهرة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥م.

- وفاء الوفا باخبار دار المصطفى للسمهودي ،مكتبة الاداب والمؤيد بمصر ١٣٢٦هـ .

## ٤ - المراجع :

- أسواق العرب في الجاهلية والاسلام للافغاني ،المطبعة الهاشمية ،دمشق ،١٣٥٦ هـ -١٩٣٧م.

- تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ،(ج٨) ،مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.

- تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام، اسرائيل ولفنســون ، مصر ،١٣٤٥هـ - ١٩٢٧م.

- تطور الخمريات في الشعر العربي ،جميل سعيد ،مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٥م.

- العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ،بتعليق حسين مونس ،دار الهلال ،القاهرة .

- العرب في سوريا قبل الاسلام لديسو ،ترجمة عبد الحميد الدواخلي ،مراجعــة محمد مصطفى زيادة ،لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،١٩٥٩م.

- مجلة المجمع العلمي العراقي (ج٤) ،١٩٥٦م.

- النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية . للاب لويس شيخو مطبعة الاباء اليسوعيين بيروت ،١٩١٢- ١٩٢٣ .

- اليمن وحضارة العرب ،عدنان ترسيسي ،منشورات مكتبة الحياة ،بيروت .

٥ - المراجع الاجنبية :

- Encychlopedia of Islam, ed.M.Th. Houstsma, T.W. Arnol, R. Basset, and R. Hartmann.Old ed., Leiden, Brill, 1913.

- Goldziher, Ignaz. Muslim Studies, vol.I, ed. S.M. Stern, from German by C.R. Stern, London, George Allen & Unwin lid, 1967.

- Robertson Smith, W.Religion of the Semites . New ed. Rev. London, Black, 1923.

- Semple, E.G. Influences of Geographic Environment, New York, Henry Halt & Co., London : Constable & Company Ltd., 1947.

- Strabo, Geography, Vol.VIII, Harvad & Cvillian Hememann, Ltd. London, 1954.

## محتويــات الرسالـــة

الصفحة

الصفحة